تعليقات جمال مرسلي على

حاشية ابن الحاج (ابن حمدون)

ت 1273هـ

على شرح ميّارة

ت 1072هـ

لمنظومة ابن عاشر

ت 1040هـ

المسمّاة بـ(المرشد المعين على الضروري من علوم الدين)

على مذهب الإمام مالك بن أنس

ت 179هـ



شرح مقدّمة الناظم

تعليقــات جمال مرسلي على

حاشية ابن الحاج (ابن حمدون)

ت 1273هـ

على شرح ميّارة

ت 1072هـ

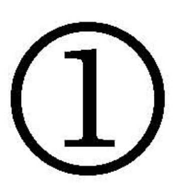
لـمنظومة ابن عاشر

ت 1040هـ

المسمّاة بـ(المرشد المعين على الضروري من علوم الدين)

على مذهب الإمام مالك بن أنس

ت 179هـ





شرح مقدّمة الناظم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، الحمد لله الذي فضّل الذين يعلمون على الذين لا يعلمون، والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين محمّد ﷺ القائل: «من يرد الله به خيرا يفقّهه في الدين».

وبعد: فإنّ نظم ابن عاشر قد كتب له القبول، فبورك فيه وانتشر في الأرض يدرسه النّاس شرحًا وتوضيحًا وتعليقًا.

وقد وفّقنا الله لدراسته في مجلس شيخنا البركة العلّامة لخضر الزاوي، ولمسنا تلك البركة فيه، وكان اختيارنا لكتاب حاشية ابن الحاج (ابن حمدون) على شرح ميّارة الصغير.

وهذا الاختيار لم يكن عفويًّا، بل أردنا -نحن طلبة شيخنا الزّاوي- أن يكون لنا سند متّصل بالكتاب، فهو بدوره درسه على شيخه سيدي عبد القادر بن مصطفى الطاهريّ الإدريسيّ.

والنسخة التي توفّرت بين أيدينا هي التي طبعها راجي فضل ذي الجلال صالح مراد الهلالي في 1348هـ.

ونظرا لصعوبة القراءة منها قمت بإعادة كتابتها بالحاسوب، مع التنسيق بين الفقرات، وضبط الكلمات.

وقمت بتخريج الآيات والأحاديث، وحاولت جهدي أن أعزو النصوص إلى مصادرها، وشرح بعض ما أشكل عليّ، أو رأيت أنّه يحتاج إلى توضيح في زماننا هذا.

وقد جعلت شرح ميّارة في أعلى الصفحة، وأسفل منه حاشية ابن الحاج (ابن حمدون) مفصولا بينهما بخطّ، وأسفل منه تعليقاتي مفصولًا بينهما بخطّين متقاربين.

واللهَ أسأل أن يتقبّل منّا هذا العمل، وينفع به من اطّلع عليه.

جمال مرسلي

قال ميّــارة: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: 3] {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

الـحمد لله مرشدِ هذه الأمّة لِـما اختار لـها من الإيمـان والإسلام شرعة ومنهاجا❶، معينِ مـن أراد بـه خـيرًا علـى فهم قواعدهما وحفظ فروعهمـا حتّى امتزجت بلحومهم ودمـائهم امتزاجـا❷، فـانتفعوا بمعرفـة ضروريّ علـم ديـنهم ونفعوا به من الـخلق أفرادًا وأزواجا❸، نحمده ونشكره علـى نعمه التي لا نحصيها❹، وكيـف يُـحصَى البحـرُ سيّاحا والقطرُ ثجّاجا❺، ونسعينه ونستغفره لذنوبنا التـي ارتكبنـا انحرافًـا واعوجاجـا، ونـؤمن بـه وتوكّـل عليـه افتقـارًا إليـه واحتياجا، ونبرأ من الـحول والقوّة إليه براءةً نجدها سرورًا وابتهاجا، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمـالنا التـي صيّرت حلونا مرّا وعذبنا أُجّاجا❻، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلن تـجد لداء ضلاله علاجا.

حاشية ميّارة: ....

تعليقات مرسلـي:

❶ فنعمة الهداية إلـى الإسلام والإيمـان هي أعظم نعمـةٍ وُجـدت علـى وجـه الأرض، أنعمهـا الله علـى عبـاده علـى الإطلاق، قال تعالى: {وَقَالُوا الْـحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِـهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ}الأعراف: 43

❷ فقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يقول: «مَـن يُـرِدِ الله بِـهِ خـيراً يُفَقِّهْـهُ فـي الـدِّين»، رواه البخـاري فـي الـجهاد، باب قول الله تعالى: {فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ} [الأنفال: 41]، وفـي العلم، باب مـن يـرد الله بـه خـيراً يفقهـه في الدين، وفـي الاعتصام، باب قول النّبيّ -صلّـى الله عليه وسلّم-: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الـحق»، ومسلم فـي الإمارة، باب فضل الرمي والـحثّ عليه وذم من علمه ثم نسيه.

❸ الضّروريّ من الدّين هو الـمسائل الـمشتهرة والواضحة الـمعروفة بأنّها مـمّـا جاء به نبيّنا مـحمّد -صلّـى الله عليه وسلّم-، كالصلاة والزكاة والصوم والـحجّ.

❹ قال تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُـحْصُوهَا} [إبراهيم: 34]

❺ سَيَّحَ الـمـاءَ: جَعَلَهُ يَسيحُ، يَـجْرِي، والثّجّاج: صيغة مبالغة من ثَجَّ، أي: اِنْصَبَّ، وتَدَفَّقَ.

❻ قال الشاعر:

لـــهيبُ ذنبـــيَ نفســـي منـــهُ تـحـــترقُ	وجـمـــرةُ الذنـــبِ فـــي الأحشـــاءِ تلتهـــبُ
والـــروحُ ضـــاقت وكانـــت قبـــلُ فـــي ســعةٍ	كأنّهـــا مـــن ألـــيمِ الـــموتِ تضـــطربُ
كـــفَّ الـــهوى نـــاظريّ ثـــمّ صيرنـــي	كحاطـــبٍ فـــي ظـــلامٍ نالـــهُ عطـــبُ
أرخصـــتُ ســـاعاتِ عمـــري وهـــي غاليـــةٌ	فـــي لـــذةٍ أثقلـــت ظهـــري...فيـــا عجـــبُ!!
قـــالوا:(الـــهوى طـــربٌ) خابـــت مـــزاعمهم	فكيـــفَ يطـــربُ مـــن فـــي جسـمهِ لـــهبُ
إنّ الـــــهوى حســـــرةٌ ذلٌ ومقـــــبرةٌ	خـــــوفٌ، نهايتـــــهُ الآلامُ والنّصـــــبُ

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه شـهادة تـمتزج بـالروح والضـلوع امتزاجـا، وتكـون لكـلّ خـير سُلّمًـا ومعراجا، ونشهد أنّ سيّدنا ونبيّنا ومولانا مـحمّدًا عبده ورسوله الذي أطلعـه الله فـي ظلمـات الشرك سراجـا، وأمـره بمحاربة أهل الكفر حتّى دخلوا فـي دين الله أفواجا، صلّـى الله عليه وسـلّم وعلـى آلـه وأصحابه الـذين حفظـوا دينـه وأذاعوه فصار سراجًا وهّاجا، صلاة وتسليمًـا نستمطر بهمـا العفو ونستنتج الغفران استنتاجا.

وبعد: فيقول أفقرُ العبيد إلـى مولاه❶، وأحوجُهم إلـى فضله ونعمـاه، الغنيُّ بـه عمّـن سـواه، عبيـدُ الله -تعالـى- وأقلّ العبيد، طالبًا من مولاه التوفيق بمنّه والتسديد، مـحمّد بـنُ أحمـد بـنِ مـحمّد الفـاسيّ أصـلًا ودارًا ومنشـأً الشـهير بميّاره❷، سدّد الله رأيه وأنظاره، وستر عيوبه وغفر أوزاره.

....

❶ قال تعالـى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْـحَمِيدُ} [فاطر: 15]

والعبد يقال علـى أضرب أربعة: الأوّل: عبد بحكم الشرع، وهو الإنسان الذي يصحّ بيعه. الثانـي: عبد بالإيـجاد، وذلك ليس إلّا لله، وإياه قصد بقوله: {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِـي الـرَّحْمَنِ عَبْـدًا} [مـريم: 93]. الثالـث: عبـد بالعبوديّـة، وهـو الـمقصود بقولـه: {وَاذْكُـرْ عَبْـدَنَا أَيُّـوبَ} [ص: 41]، ومنـه: {سُـبْحَانَ الَّـذِي أَسْرَى بِعَبْـدِهِ لَـيْلًا} [الإسراء: 1]. الرابع: عبد الدنيا وأعراضها، وهو الـمعتكف علـى خدمتها، وإياه قصد النّبيّ -صلّـى الله عليـه وسـلّم- بقوله: «تعس عبد الدينار والدرهم» فالعبوديّة إظهار التذلّل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنّها غاية التذلّل، ولا يسـتحقّها إلا مـن له غاية الأفضال، وهو الله -سبحانه وتعالـى-. شرح مختصر خليل للخرشي (1/ 12-13)

❷ هو مـحمّد ميارة الفاسي ولد سنة 999هـ نحو 1590م، فقيه مالكيّ من أهل فاس، كان إماماً علّامـة متبحّـرًا فـي العلوم، وكان ثقة أمينا معروفا بالورع والدّين.

أخذ العلم عن كبار علمـاء عصـره، مـنهم: عبـد الـرحمن العـارف الفـاسي، والفقيـه العلامـة عبـد الواحـد بـن عـاشر، والحافظ أبو العباس أحمد بن مـحمّد الـمقّري، والعلامة القاضي أبو القاسم بن مـحمّد بن أبي النعيم الغسـاني، والعلامـة النحوي أبو الفضل قاسم بن أبي العافية الشهير بابن القاضي، والفقيه سيدي محمد بن أحمد العياشي.

وأخذ عن العلامة مـحمّد ميارة الفاسي وانتفع به خلق كثير، منهم: الفقيه العلامـة مــحمّد ميّـارة الــمعروف بالصـغير، والفقيه مـحمد الـمجاصي، والعلامة الأديب أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي.

للعلامة محمد ميارة الفاسي تآليف منها: الدر الثمين والمورد المعين (شرحه الكبير والصغير على المرشد المعين على الضروري من علوم الدين للفقيه العلامة عبد الواحد بن عاشر)، فتح العليم الخلاق بشرح لامية الزقاق، زبدة الأوطاب فـي اختصار الحطاب، الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام. توفي يوم الثلاثاء ثالث جمادى الأخـيرة سـنة 1072هــ نحـو 1661 م، ودفن بالدرب الطويل من مدينة فاس بمقربة من ضريح سيدي عزيز.

قد كنت قبلُ بمدّة وضعت على النظم المسمّى بـ(المرشد المعين على الضروريّ من علوم الدين)، تأليف شيخنا الإمام العالم العلّامة الحاج الأبرّ أبي محمّد سيدي عبد الواحد ابن عاشر الأندلسيّ ثمّ الفاسيّ -رحمه الله ونفع به- ❶. شرحًا يحلّ ألفاظه ويظهر معانيه، ويقرّب قاصيه، ويبسط دانيه، ويستدرك ما تتأكّد معرفته من الضوابط والقواعد، وما لا بدّ منه من النظائر والفروع الغريبة، سمّيته بـ(الدرّ الثمين والمورد المعين على الضروريّ من علوم الدين).

فلمّا أكملته وأخرجته من مبيّضته وجدته لطوله غير مناسب لمشروحه ولا جارٍ على طريقته، فهممت باختصاره واقتطاف أنواره؛ كي يناسب المشروح، وتغتبطه من كلّ قارئ لأصله النفس والروح.

....

❶ ولد بمدينة فاس عام 990هـ/ 1582م، وسكن بدار أسلافه الكبرى بحومة درب الطويل من فاس القرويّين. بدأ تحصيل علومه بحفظ القرآن الكريم، فقرأه على يد الشيخ أبي العبّاس أحمد بن عثمان اللّمطيّ، وأخذ القراءات السبع على يد الشيخ أبي العبّاس الكفيف، ثمّ على الشيخ أبي عبد الله محمّد الشريف التلمسانيّ (ت1052هـ)، كما أخذ الفقه عن جماعة من شيوخ عصره، أمثال: أبي العباس ابن القاضي المكناسيّ (ت1025هـ)، وابن عمّه أبي القاسم، وابن أبي النعيم الغسّانيّ، وقاضي الجماعة بفاس علي بن عمران، وأبي عبد الله الهوّاري، وقرأ الحديث على العلّامة محمّد الجنان (ت1050هـ)، وعلى أبي علي الحسن البطّيويّ، وكان يتردّد على الزاوية الدلائية، فأخذ عن علمائها المبرّزين، وحضر مجالس محمّد بن أبي بكر الدلائي (ت1046هـ) في التفسير والحديث. رحل إلى المشرق، فأخذ عن الشيخ سالم السنهوريّ (ت1015هـ)، وعن الإمام المحدّث أبي عبد الله العزّيّ، وعن الشيخ بركات الحطاب، وغيرهم، وحجّ سنة (1008هـ)، فالتقى بالشيخ عبد الله الدنوشريّ، وأخذ التصوّف عن العالم العارف ابن عزيز التجيبيّ (ت1022هـ). لعبد الواحد ابن عاشر مشاركة قوية في جلّ الفنون والعلوم، خصوصًا علم القراءات، والرسم، والضبط، والنحو، والإعراب، وعلم الكلام، والأصول، والفقه، والتوقيت، والتعديل، والحساب، والفرائض، والمنطق، والبيان، والعروض، والطبّ، وغيرها. تولّى التدريس، والخطابة. من أبرز طلبته: أبو عبد الله محمّد بن أحمد ميّارة (ت1072هـ)، وأحمد بن محمّد الزموريّ الفاسي (ت1057هـ)، ومحمّد الزوين (ت1040هـ)، وعبد القادر الفاسيّ (ت1091هـ)، والقاضي محمّد بن سودة (ت1076هـ)، وغيرهم. ألّف الشيخ ابن عاشر أربعة عشر كتابًا، كان أهمّها وأشهرها نظمه في قواعد الإسلام الخمس ومبادئ التصوّف الذي سمّاه (المرشد المعين على الضروريّ من علوم الدين)، وبه اشتهر وعرف. ومن تآليفه -أيضًا-: (شرح مورد الظمآن في علم رسم القرآن)، و(شرح على مختصر خليل، من النكاح إلى العلم)، و(رسالة في عمل الربع المجيب)، و(تقييد على العقيدة الكبرى للسنوسيّ)، وغيرها.

فلم تزل مؤن الدهر عنه تصرفني، والأمل يسوّفني، حتّى مَنَّ ذو العظمة والـجلال، الكريم الـمتفضّل الـمتعال، بزيارة الولـيّ الصالح، العالـم العامل السائح، قطب الزمان، وكهف الأمان، الـمجاهد فـي سبيل ربّ العالـمين، الـمرابط فـي الثغور مدّة عمره لـحياطة الـمسلمين، ذو الكرامات العديدة، والفتوحات العظيمة الـحميدة، من لا شبيه له فـي عصـره وما قرب منه ولا نظير، ولا معي له علـى نصرة الإسلام ولا نصير إلّا الله الذي تفضّل به علينـا، وأقـرّه بمنّـه وجـوده بـين أظهرنا، فهو كمـا قيل:

حلف الزمان لَيَاتِيَنّ بمثله * حنثت يمينك يا زمان فكَفِّرِ ❶

البركة القدوة الـمجاب الدّعوة أبو عبد الله سيّدي مـحمّد بن أحمد العيّاشيّ❷، أبقى الله بركته، وعظّم حرمتـه، وبلّغـه من خير الداريْن أمنيته، وأطال للمسلمين عمره وقوّاه، وجعل الـجنّة نزله ومأواه، مع جماعة مـن الأعيـان السـادات، مـن الشرفاء والفقهاء والقادات، وذلك أواسط الـحجّة الـحرام متمّ سبعة وأربعين وألف عام، وهو -رزقنا الله رضـاه- بثغـر سلا أمّنها الله من كلّ مكروه وبلا.

فاجتمعتُ إذ ذاك بنجله السّعيد، الـموفّق الرشيد، العالـم الـهمـام، حجّـة الله فـي الإسـلام، ذي العقـل الـراجح، والـهدي الواضح، عهود من الآباء، توارثتها الأبناء، الـمتواضع الـخاشع، صاحب القلم البـارع، سـيّدي وسـندي أبـي مـحمّد سيدي عبد الله، سلّمه الله من كلّ مكروه ووقاه، فحضّني حفظه الله علـى اختصار الشرح الـمذكور، بعد أن طالع جلّه وسُرّ به كلّ السرور، وحثّ علـيّ فـي تقديم ذلك علـى جميع الأمور.

---

❶ معنى البيت: أنّ جنس ذلك الـممدوح نادر، بل لا يُوجَد، وكأنّ الزمان قد حَلَف أن يَـجود بمثله، وأن يأتـي بشبيه له، فعجز عن تـحقيق ذلك، فَحَنَث فـي يمينه، ولزِمته الكفّارة.

❷ مـحمّد بن أحمد الـمـالكيّ الزيّانـيّ العيّـاشيّ الـمعروف بالـمجاهد العيّـاشي (ولـد 980 هــ - تـوفي 1051 هــ) مـجاهد ومتصوّف مغربـيّ، بطل شعبيّ، بزغ نجمه فـي أواخر عهد الدولة السعديّة، فـي النصف الأوّل من القرن السابع عشر.

فرضت شخصيّة العيّاشي نفسها بقوّة فـي تاريخ الـمغرب فلم تترك مـن سـبيل إلـى تـجاوز الإشـارة إليهـا فـي كـلّ الـمصادر التي تناولت الـحقبة التي تلت وفاة الـمنصور الذهبيّ، والتي عرفت اضطرابات سياسـيّة متتاليـة تسـبّب فيهـا صراع أبناء الـمنصور علـى السلطة وانقضاض البرتغاليين والإسبان علـى شواطئ الـمغرب، منتهـزين فرصـة الفـوضى العارمة التي سادت الـمغرب يومئذ. فخاض الـمجاهد العيّاشيّ حربًا ضروسًا دامت أربعين عامًا ضدّ الغزو الأجنبيّ.

كان مقتل العيّاشيّ عام 1051 هـ 30 أبريل 1641 م، تنفست علـى إثره القوى الأوروبية الصعداء، واحتفلـوا بسـقوطه حسب ما روى الناصري. وأقيم له ضريح بقبيلة أولاد ابني عزيز فـي دكالة.

فلمّا قفلت من وجهتي شرعت في ذلك تاركًا للتسويف، طالبًا من المولى سبحانه السّلامة من الخطأ والتحريف، مقتصرًا فيه على حلّ الألفاظ وبيان المعنى، محيلا على الشرح المذكور فيما يطول ذكره ممّا له تعلّق بذلك المبنى. واللهَ أسأل أن ينفع به وبأصله النفع العميم، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، ومن الأعمال التي لا تنقطع بالموت، ولا تعْقُبُ صاحبَها حسرة الفوت، إنّه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

قال الناظم –رحمه الله-:

يَقُولُ عَبْدُ الْوَاحِدِ① بْنُ عَاشِرِ	مُبْتَدِئاً بِاسْمِ الإِلَهِ الْقَادِرِ
أَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَلَّمَنَا	مِنَ الْعُلُومِ مَا بِهِ كَلَّفَنَا
صَلَّى وَسَلَّمَ عَلَى مُحَمَّدِ	وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَالْمُقْتَدِي

① قال ابن حمدون (ابن الحاج)❶: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} (وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد وآله وصحبه وسلّم): قوله: (يقول عبد الواحد) الخ... مضارع للحال، ومحكيُّه: (الحمد لله) إلى آخر الرَّجَز❷، فمجموع تلك الجمل في موضع نصب على المفعوليّة لـ(يقول)، فيكون الكتاب كلّه جملة واحدة؛ لأنّ المحكيّ في قوّة المفرد.

فإن قلت: كون الناظم قائلا لهذا النظم في حال إخباره بأنّه قائل له متنافيان؛ لأدائه إلى اجتماع تكلّمه بالحكاية في آن واحد، وذلك محال؛ لاستحالة اجتماع المثليْن، كاستحالة اجتماع الضدَّيْن. أجيب: بأنّه يمكن أن يكون زوّر النظم في نفسه ورتّبه وتكلّم به كلامًا نفسيًّا، ثمّ أخبر بلسانه بأنّه قائل له في نفسه حال الإخبار، فحصل بحكايته له وإخباره بلسانه إبرازه للعيان. والأصل: (أقول) على أنّ الفاعل ضمير المتكلّم، فعدل إلى الظاهر ليعرفه من يقف على كتابه بعدُ، فإنّ الضمير إنّما يفيد تعيين مسمّاه عند حضوره. ويحتمل أن يكون المضارع بمعنى الماضي، بناء على تأخّر نظم هذا البيت على نظم ما بعده، أعني قوله: (الحَمْدُ للهِ الذِي عَلَّمَنَا) إلى آخر الرّجز، وعدل عن الماضي إلى المضارع؛ لإحضار صورة قائليّته لهذا النظم العجيب، إذ هو علم غزير في لفظ يسير. ولا يجوز كون المضارع للاستقبال؛ لتوقّف الصّدق حينئذ على أن يعيد قوله: (الحَمْدُ للهِ) إلى آخر النظم مرّة أخرى بعد الفراغ، كما لا يخفى، وظاهر أنّ ذلك ممّا لا وجه له.

---

❶ هو أبو عبد الله محمّد الطّالب ابن الشيخ العلّامة الأديب حمدون ابن الحاج السُّلَميّ، المرداسيّ، الأندلسيّ أصلا ثمّ الفاسيّ، يقدّر مولده سنة 1217هـ 1803م، وتوفّي سنة 1273هـ، كان رحمه الله عالمًا عاملًا صالحًا أصوليًّا منطقيًّا لغويًّا، وكانت له الباع الطُّولى في سائر الفنون، من مؤلّفاته: هذه الحاشية، والأزهار الطيّبة النشر فيما يتعلّق ببعض العلوم من المبادئ العشر.

❷ الرَّجَز: هو بحر من بحور الشعر العربيّ، وزنه التّامّ: (مستفعلن مستفعلن مستفعلن * مستفعلن مستفعلن مستفعلن). وضابطه: (في أبحرِ الأرجازِ بحر يسهل * مستفعلن مستفعلن مستفعلن).

بدأ رحمه الله بتسمية نفسه؛ لأنّ معرفة مؤلّف الكتاب من مهمّـات الأمور؛ لِـمَـا عُلم أنّ العمـل والفتـوى مـن الكتـب التي جُهل مؤلّفوها ولـم يُعلم صحّةُ ما فيها لا يـجوز①.

---

① قول م: (ولـم يُعلم صحّةُ ما فيها) أي: وأمّا ما عُلم صحّةُ ما فيه فيجوز العمل به وإن جُهِل مؤلّفه، وكذا إن عُلم مؤلّفه ولم يُعلم صحّةُ ما فيه وكان مـمّن يوثق به. نصّ عليه القرافـيّ ونقله فـي ك.

وقال الشيخ سيدي عبد الرحمن الفاسيّ❶ فـي نوازله ما نصّه: أفتـى أئمّـة الـمذهب كالقابسـيّ❷ واللّخميّ❸ وابـن رشد❹ بأنّه لا تـجوز الفتوى من الكتب الـمشهورة مـمّن لا يقرؤها عن الشيوخ فضلا عن الغريبة اهـ..............=

---

❶ عبد الرحمن الفاسيّ (1040هـ 1096 - هـ 1631 / م1685م) فقيه مالكيّ صوفـي، من أهل الـمغرب. هـو أبـو زيد عبد الرحمن ابن الشيخ عبد القادر الفاسي الفِهري، ولد بمدينة فاس وبها نشأ، وأخذ عن والده عبد القادر بن علـي بن يوسف الفاسي، وعمّه أحمد بن علـي الفاسي، وقريبه مـحمّد بن أحمد بن أبـي الـمحاسن الفـاسي، و الشـيخ حمـدون بـن مـحمد الأبار، وأحمد بن مـحمّد الزموري، وأحمد بن مـحمّد القلصادي، ومـحمّد بن أحمد الصبّاغ. من مؤلّفاته: (اللؤلـؤ والـمرجان فـي مناقب الشيخ عبد الرحمن)، (تـحفة الأكابر فـي مناقب الشيخ عبد القادر)، (مفتاح الشفا)، (الأقنوم فـي مبادئ العلوم)، (نخبة الطلاب فـي عمل الإسطرلاب)، (أزهار البستان فـي مناقب الشيخ عبد الرحمن).

❷ القابسيّ: هو أبو الـحسن علـيّ بن مـحمّد بن خلف الـمعافريّ، الـمعروف بالقابسـي، مالكي الـمذهبه مالكي، ولـد فــي القـيروان عـام 324 هجـري 935 مـيلادي، وتسـمية القابسي إنّمــا هـي نسبة إلـى مدينـة قـابس بـالقرب من القيروان وتوفي سنة 403 هجري. ذكر السيوطي عنه أنه كان حافظا للحـديث، بصـيرا بالرجـال، عارفـا بالأصـلين، رأسا في الفقه زاهداً ورعاً. من كتبه: الممهد في الفقه وأحكام الديانة، ملخص الموطأ.

❸ اللخميّ: اللَّخْمـي (000 - 478 هــ = 000 - 1085 م) علــيّ بـن مــحمّد الربعـيّ، أبـو الــحسن، الــمعروف باللّخميّ: فقيه مالكيّ، له معرفة بالأدب والـحديث، قيروانـيّ الأصل. نزل سفاقس وتوفّـي بها. وهو أحد الأربعة الـذين اعتمدهم خليل في مختصره. قال فيه القاضي عياض: "وكان أبو الحسن فقيهاً فاضلاً ديّناً مفتياً متفننـاً، ذا حـظ مـن الأدب والحديث، جيد النظر، حسن الفقه، جيد الفهم. وكان فقيه وقته، أبعد الناس صـيتاً في بلـده. وبقـي بعـد أصـحابه، فحـاز رئاسة بلاد إفريقية جملة". صنّف كتبا مفيدة، مـن أحسـنها تعليـق كبـير علــى الــمدونة فــي فقـه الــمالكيّة، سمــاه «التبصرة» أورد فيه آراء خرج بها عن المذهب.

❹ ابن رشد: (450 - 520 هـ = 1058 - 1126 م) قاضي الجماعة بقرطبة. مـن أعيـان المالكيـة. وهـو جـد ابـن رشـد الفيلسوف (محمد بن أحمد) ولد في قرطبة، وبها نشأ وتعلم على يد أعلام علماء الأندلس، وأخذ عنه عدد لا يحصى من طلبـة الأندلس والمغرب، كان ناسكاً عفيفاً، كريم الخلق سهل الحجاب، كما كان أسـتاذاً بطبعـه، يحـب التـدريس مـن مؤلفاتـه: البيان والتحصيل، المقدمات الممهدات.

وهو رحمه الله عبد الواحد بنُ أحمد بنِ علـيّ بنِ عاشر الأنصاريّ نسبًا① الأندلسيّ أصلا②، الفاسيّ منشأً ودارًا.

= ولله درّ أبـي حيّان❶ إذ يقول:

يَظُـــنُّ الغُمْـــرُ أَنَّ الكُتْـــبَ تَهْـــدِي ... أَخَـــا فَهْـــمٍ لِإِدْرَاكِ العُلُـــومِ

وَمَـــا يَـــدْرِي الـجَهُـــولُ بِـــأَنَّ فِيهَـــا ... غَـــوَامِضَ حَـــيَّرَتْ عَقْـــلَ الفَهِـــيمِ

إِذَا رُمْـــتَ العُلُـــومَ بِغَـــيْرِ شَـــيْخٍ ... ضَـــلَلْتَ عَـــنِ الصِّـــرَاطِ الـمُسْـــتَقِيمِ

وَتَلْتَـــبِسُ العُلُـــومُ عَلَيْـــكَ حَتَّـــى ... تَصِـــيرَ أَضَـــلَّ مِـــنْ تُومَـــا الـــحَكِيمِ❷

① قوله: (الأنصاريّ) نسبة إلـى الأنصـار: الأوس والـخزرج، وهـم مـن عـرب الـيمن القحطانيّـة، وليسـوا مـن ولـد إسمـاعيل علـى الصّحيح.

② قوله: (الأندلسيّ) نسبةً إلـى الأندلس، قطر معروف، طيّب التربة، قليل الـهوام، معتدل الـهواء، كثير الفواكـه، يقابـل ثغر طنجة، ويتّصل بالبرّ من جهة الشّام، يشقّه أربعون نهرًا كبارًا، وبهـا مـن قواعـد الـمدن نحـو الثمـانين، وأزيـد مـن ثلاثمـائة مدينة متوسّطة، والقرى والـحصون لا تُـحصى، وليس فـي الـمعمورة ما يقطع الـمسافرُ ثلاثَ مدن وأربعًا فـي اليوم إلّا بها، ولا يسير الـمسافر فيها فرسخين دون ماء أصلا، قوي بها أمر الـمسلمين حتّى كان العدوّ لا يقـدر أن يطمـع لـهم فـي كُراع الشاة، بل يـخاف ويتطلّب الأمن جهده، ثمّ وقع الاختلاف بين الـمسلمين، وجعل بعضهم يـوهن بعضًـا بالفتن، حتّى استولـى العدوّ علـى جميعها فـي حدود الألف. وكان سلف الناظم من جملة من خـرج منـه إلـى الـمغرب طلبًا للأمن علـى أنفسهم ودينهم، وكذلك سلفنا نحن معشر بني الـحاج السُّـلَمِيِّين القـاطنين بفـاس وتطـوان، رحـم الله الـجميع.

❶ أبو حيان التوحيديّ 310 ـ414هـ/ 922 – 1023م) امتاز بسعة الثقافة وحـدّة الـذكاء وجمـال الأسـلوب، فهـو رجل موسوعيّ الثقافة، سمّي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء.

❷ الغُمْر: الـجاهل الذي لم يُـجَرِّب الأُمور.

قال أبو حيان بعد ذكره لهذه الأبيات: أشرتُ إلـى قول بعضهم:

قَـــالَ حِمَـــارُ الـحَكِيـــمِ تُومَـــا ... لَـــوْ أَنْصَفُونِـــي لَكُنْـــتُ أَرْكَـــبْ

لِأَنَّنِـــي جَاهِـــلٌ بَسِـــيطٌ ... وَصَـــاحِبِي جَاهِـــلٌ مُرَكَّـــبْ

فصاحب الـجهل البسيط يعلم أنّه جاهل، ولا يزعم أو يظنّ لنفسه أنّه عالـم، بخلاف صاحب الـجهل الـمركّب فإنّه مـع جهله يظنّ أنّه عالـم، فجهله مركّب من جهلين: الـجهل بالشيء، والـجهل بأنّه جاهل به .

وتوما هذا كان طبيبًا، ولكن تَطَـبُّبُه مِن الكُتُب، وقد وَقَع التَّصحيف في بَعض الكتُب التـي عِنـدَه، فكـان يَقْـرأ: «الـحيَّةُ السَّوداء شِفاءٌ مِن كُلّ داءٍ». تَصَحَّفَتْ كَلِمَة (حَبّة) إلـى (حَيّة) فمَـاتَ بِسَبَب تَطَبُّبِه خَلْقٌ كَثِير.

كان رحمه الله عالـمـًا①، عاملا②، عابدًا، متفنّنا فـي علوم شتّى، له معرفة بالقراءات وتوجيهها، وبالنحو، والتفسير، والإعراب، والرسم، والضبط، وعلم الكلام، والأصول، والفقه، والتوقيت، والتعديل، والحساب، والفرائض، والـمنطق، والبيان، والعَروض، والطبّ، وغيرِ ذلك.

---

① قوله: (عالِـما) أي متّصفا بالعلم، وهو الإدراك أو الـملكة أو القواعد، فله إطلاقاتٌ ثلاثٌ، الـمناسب منها هنا الأوّلان، والعالِـم إنّما يُطلَق بلا قيد على من يعلم العلوم الشرعيّة: الفقه، والـحديث، والتفسير، ولا بدّ فـي إطلاقه عليه أن يعلم من كلّ باب ما يهتدي به للباقي اهـ. ولله درّ الشافعيّ فـي قوله:

لـن يبلُـغَ العلـمَ جميعًـا أحـدٌ	لا ولَـوْ حاوَلَـهُ ألـفَ سـنَهْ
إنّمـا العلْـمُ عَمِيـقٌ بحـرُهُ	فخـذوا مـن كـلّ شيءٍ أحسنه

وفـي قوله: (لن يبلغ) خَزْمٌ بزيادة سبب خفيف❶.

② قوله: (عاملا) تأكيد لـما قبله؛ لأنّه لا يقال عالـم حقيقة إلّا إذا كان عاملًا، فغير الـجاري على مقتضى علمه هو والـجاهل سواء، قال:

وإذا الفَتَى قد نالَ عِلمًـا ثُمّ لَـمْ * يَعمل بِهِ فكأنَّما لـم يَعلَمِ❷

وفـي الـحديث: «من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لـم يعلم»❸اهـ

---

❶ الـخزم في الشعر: زيادة حرف فـي أوّل الـجزء أو حرفين أو حروف من حروف الـمعاني، نحو: الواو وهل وبل. والسبب الخفيف: يتألف من حرفين أوّلهما متحرّك وثانيها ساكن، نحو: لـم، عن، قد، بل.

❷ قاله الـخطيب الصالح أبو إسحاق ابن أبـي العاصي. نفح الطيب (4/ 344)

❸ قال الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله (المتوفى سنة 660هـ) معنى الحديث: أن من عمل بما يعلمه من واجبات الشرع ومندوباته، واجتناب مكروهاته ومحرماته، أورثه الله تعالى من العلم الإلهي ما لم يعلم من ذلك، لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} العنكبوت: 69، وهذا هو الظاهر من الـحديث الـمتبادر إلى الـمفهوم. ولا يجوز حمله على أهل النظر فـي علم الشرع؛ لأنّ ذلك تخصيص للحديث بغير دليل، وإذا حُمِلَ على ظاهره وعمومه دخل فيه الفقهاء وغيرهم. قد ذكر بعض الأكابر من العارفين الذين عاملهم الله عز وجل بذلك: أن لكل طاعةٍ لله تعالى نوعاً من العلم الإلهامي يختص بها لا يترتب على غيرها، فللصلوات نوع من تلك الإلهامات لا يترتب على غيرها، كما أن لكل عبادة نوعاً من الثواب يختص بها، وكذلك الصوم والحج والعمرة والتسبيح والتقديس وغير ذلك؛ لأن الإلهام من جملة ما عجّله الله تعالى من ثواب الأعمال الصالحة، فإن الله تعالى يعطي بها في الدنيا، ويجازي بها في الآخرة. ... والظاهر أن أفضل الإلهامات يترتب على أفضل الأعمال، لأنه من جملة ثوابها، والثواب مرتب على فضائل الأعمال، وكذلك التوفيق للطاعات وأعمال البر، يكون أيضاً مرتباً على فضائل الأعمال. والله أعلم. فتاوى العز بن عبد السلام: (رقم/ 39/ 40/ 41)

وحجّ، وجاهد، واعتكف، وكان يقوم من اللّيل ما شاء الله، قرأ علـى شيوخ عديدة①........................

① قوله: (علـى شيوخ عديدة) من جملتهم: الشّيخ سيدي مـحمد التجيبـي الشـهير بـابن عزيـز❶ دفـين درب الطّويـل بحضـرة فاس، قاله فـي ك. وكان من الأولياء، وعلـى يديه فتح علـى النّاظم بسعة العلم.

وغالب من يشار إليه من علمـاء الظّاهر مـمّن له تـميّز وشفوف ونبوغ فـي الـحفظ والإتقان إنّمـا نـال بمخالطـة بعـض العارفين، كابن شريح بمخالطة الـجنيد❷، والعزّ بن عبد السـلام بمخالطـة أبـي الــحسن الشاذلـي❸، والتقيّ ابـن دقيق❹ بمخالطة أبي العباس المرسي❺.

ومن جملتهم أيضا: الشيخ أبو عبد الله مـحمّد بن قاسم القيسيّ الـمعروف بالقصّار❻............................. =

❶ هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عزيز التجيبي، كان من أكابر العلم والتصوف بفاس، ولد سـنة 954هـــ وتــوفي سـنة 1022هـ، أخذ عنه ابن عاشر الحديث، خاصة صحيح الإمام البخاري، كما أنه كان مريده في التصوف.

❷ قال أبو الـحُسَيْن عَلِي بْن إِبْرَاهِيم الــحداد: حضرت مـجلس الْقَاضِي أَبِي الْعَبَّاس بْـن شريـح فـتكلّم فِــي الفـروع والأصول بكلام حسن عجبت منه، فلمّـا رأى إعجابـي قَالَ: أتدري من أين هَذَا؟ قلتُ: يقـول بِـهِ القـاضي، فقـال: هَـذَا ببركة مـجالسة أَبِي القاسم الجنيد.

❸ كانت لابن عبد السلام صلة بشيخ زمانه في التصوّف أبي الحسن الشاذلي (علي بن عبد الله المغربي الشـاذلي – تـوفي سـنة 656هـ)، وكان قد توجه إلى منزل أبي الحسن الشاذلي ودخل عليه وشرع يسأله عن أسئلة دقيقة في علم التوحيد فيشير أبـو الحسن الشاذلي إلى أصغر تلامذته ليجيبوه، وهكذا حتى سأل العز عن مسألة فتكلم أبو الحسن الشاذلي بالمعـارف والأذواق فأذعن الإمام ابن عبد السلام وجلس بين يديه متأدباً. وكان يقول عن كلام أبي الحسن: إن كلامه قريب عهد بالله.

❹ محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري القوصي، أبو الفتح تقي الـدين، المعـروف بـابن دقيـق العيـد ، الشيخ الحافظ الفقيه المحدث البارع. ولد يوم السبت 15 شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة، مـن أشـهر مؤلفاتـه كتـاب الإلمام الجامع لأحاديث الأحكام، الإلمام في الأحكام، وشرح لكتاب التبريزي في الفقه، وفقه التبريزي في أصوله.

❺ هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخزرجي الأنصاري المرسي، وأهله من مرسيه بالأندلس، توفي سنة 686هـ ـ 1287م. ـ يعدّ خليفة أبي الحسن الشاذلي وصار قطبًا بعد موته.

❻ هو مـحمّد بن قاسم بن مـحمّد بن علـيّ القيسـي الأندلسي الأصل، الفاسي، أبو عبد الله الـمعروف بالقصـار: مفتـي فاس ومـحدّث الـمغرب فـي وقته. أصله من غرناطة جاء أبوه منها لـمّـا استولـى عليهـا الإسـبان سـنة 897 ه. مولـده وسكنه بفاس ووفاته بزاوية إبن ساسي، في طريقه إلى مراكش وقبره بمراكش. ولي إفتاء فاس وخطابة جامع القـرويين ، ت 1012هـ. له كتب، منها: مناهج العلماء الأخيار في تفسير أحاديث كتاب الأنوار، الروض الزاهر في نسب محمـد الطـاهر، الشقائق النعمانية، بهامش ابن خلكان.

وألّف تآليف مفيدة①. توفّي -رحمه الله- عشيّة يوم الخميس ثالث الحجّة من عام أربعين وألف②. وإلى سنة وفاته أشرتُ بالشّين والميم بحساب الجُمّل ❷ من قولنا في جملة أبيات في تواريخ وفاة جملة من شيوخنا رحمهم الله والإشارة إلى بعض صفاتهم:

= ولمّا لقي النّاظم في وجهته الحجازية الشيخ عبد الله الدّنوشريّ ❶ وسأله عن أشياخه فذكر له القصّار من جملتهم أنشده:

قد حاك شُقّة العلوم أئمّة ... وكسوا بها بالفضل من هو عاري

رقّت حواشيها ورقّ طرازها ... لكنّها تحتاج للقصّار

ولقوّة اختصار عبارته لم يكن يحضر بمجلسه إلّا الواحد والاثنان ممّن مارسه وعرف تحقيقه واختصاره. ولمّا توفّي بيعت تقاييده بوزنها ذهبا.

① قوله: (وألّف تآليف مفيدة) ناهيك منها بنظمه هذا (المرشد المعين على الضروريّ من علوم الدين) العديم المثال في الاختصار وجمع مهمّات العلوم الثلاثة: العقائد، والفقه، والتصوّف، المتعلّقة بأقسام الدين الثلاثة: الإيمان، والإسلام، والإحسان، بحيث إنّ من اقتصر عليه فقد أدّى ما وجب عليه تعلّمه من العلم الواجب على الأعيان، وخرج من ربقة التقليد المختلف في إيمان صاحبه، وسيأتي في آخر النظم.

وفي الذي ذكرته كفاية، وفي مدحه قد قيل من أبيات ذكرت في ك:

عليك إذا رُمْتَ الهُدَى وطريقه ... وبالدِّين للمولى الكريم تَدِينُ

بحفظٍ لنظمٍ كالجُمان فصولُه ... وما هو إلا مرشدٌ ومعِينُ

② قوله: (توفّي) الخ، أي: وهو ابن خمسين سنة.

---

❶ عبد الله بن عبد الرحمن بن عليّ بن محمّد الدنوشري الشّافعيّ، فقيهٌ ونحويٌ مصريّ في القرن الحادي عشر الهجري، من مدينة القاهرة، يَعُدُّه مُؤَرِّخو النحو العربيّ من نحاة مصر وبلاد الشام.

وتعود أصوله إلى قرية (دنوشر) غربي المحلّة الكبرى شمال مصر، وإليها ينتسب فيُقال له: (الدنوشري).

نشأ في القاهرة، وتتلمذ لدى ابن قاسم العبادي، وشهاب الدين الرمليّ، والعلقميّ، ثُمَّ غادر مصر واتّجه نحو بلاد الرّوم، حيث مكث هناك فترةً، ثُمَّ عاد إلى القاهرة وعمل بالتّدريس في جامع الأزهر، تُوفِّي في سنة 1025 هـ في مدينة القاهرة.

❷ حِسَاب الجُمَّل: طريقة لتسجيل صور الأرقام والتواريخ باستخدام الحروف الأبجدية، إذ يُعطَى كلُّ حرف رقمًا معيّنًا يدلّ عليه. فكانوا من تشكيلة هذه الحروف ومجموعها يصلون إلى ما تعنيه من تاريخ مقصود، وبالعكس كانوا يستخدمون الأرقام للوصول إلى النّصوص.

وعاشرٌ الـمبرورُ غزوًا وحجّةً *إمام التُّقى والعلمِ (شَمُّ) قرنفلِ ①

انظر التّعريف به في الشرح الكبير.

①قوله: (وعاشر) مبتدأ منوّن على حذف مضاف، أي: وابن عاشر، (شمُّ) خبر، أي توفّي في السّنة الـمرموز لها بـ(الشين والـميم) من غير اعتبار التّضعيف❶.

وأحسن منه قول الـمكلاني❷:

وشمّ برق آفاق الـمعالي لعاشر * تـجد مـحكمًا آي القران الـمنزل

إذ لا إيهام فيها.

❶ الـحساب هنا على ترتيب أهل الـمغرب، فالشين عندهم ترقيمها: 1000، والـميم ترقيمها: 40، فيكون تاريخ وفاته: 1040هـ؛ لأنّ ترتيب الـحروف عندهم هو على الصورة التالية: (أبجد هوز حطي كلمن صعفض قرست ثخذ ظغش).

الآحاد:	أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط
	1	2	3	4	5	6	7	8	9
العشرات:	ي	ك	ل	م	ن	ص	ع	ف	ض
العُقُود:	10	20	30	40	50	60	70	80	90
المئات:	ق	ر	س	ت	ث	خ	ذ	ظ	غ
	100	200	300	400	500	600	700	800	900
الألف:	ش								
	1000								

أمّا أهل الـمشرق فالشين عندهم ترقيمها: 300، والـميم: 40؛ لأنّ ترتيب الـحروف عندهم هو على الصورة التالية: (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ).

الآحاد:	أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط
	1	2	3	4	5	6	7	8	9
العشرات:	ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
العقود	10	20	30	40	50	60	70	80	90
المئات:	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
	100	200	300	400	500	600	700	800	900
الألف:	غ								
	1000								

❷ مـحمّد أبو عبد الله بن سعيد بن مـحمّد الـمكلاني الـمكناسي، علّامة جليل، ولـي قضاء مكناسة الزيتون.

و(ابنُ عاشر) بالرفع نعت لـ(عبد)①. وتكتب (ابن) هنا بغير ألف الوصل؛ لوقوعه بين عَلَمَيْن②..............

① قوله: (نعت لعبد) صوابه: لـ(عبد الواحد)؛ لأنّ (عبد) إنّـما هو جزء علَم.

② قوله: (ويكتب ابن هنا بغير ألف الوصل؛ لوقوعه بين علَميْن) نحوه قوله الكافية: (والابن يكتب بغير ألف * إن كان بين علَميْن فاعرف) وقيّده م بقيدين: الأوّل: أن يكون في غير أوّل السطر. الثاني: أن يكون صفة أيضا، بأن يكون صفة لعلَم مفرد، ومضافًا لعلَم وكان مفردا مذكّرا. وقول الشيخ الطيب❶: يشترط في العَلَم الثاني أن يكون أبًا دَنِيّةً كمحمّد بن عبد الله، وإلّا فتلحقه الألف كما هنا، أصله للزّركشيّ في التنقيح. قال القسطلانيّ في شرح البخاريّ: وتعقّبه في المصابيح بأنّه إذا وصف العلَم بابن متّصل مضاف إلى علَم كفى ذلك في إيجاب حذف الألف من ابن خطًّا، سواء كان العلَم الذي أضيف إليه ابن علَمًا لأبي الأوّل حقيقة أو لا، وهو ظاهر كلامهم، وكون الأب حقيقة لم أرهم تعرّضوا لاشتراطه، فلا أدري من أين أخذ الزركشيّ هذا الكلام اهـ❷. فخرج باشتراط كونه صفة ما كان خبرًا أو بدلًا، نحو: (كان زيدٌ ابنَ عمرو)، و(أنّ زيدًا ابنُ عمرو)، ونحو: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ} [التوبة: 30]، فهو في هذه المواضع خبر، ونحو: {يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ} [المائدة: 110]، [المائدة: 112]، [المائدة: 116]، فهو بدل؛ لأنّ (ابن مريم) جرى مجرى العلَم، فلذا لا يحتاج إلى جريه على موصوف، نحو: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ} [المؤمنون: 50]. وخرج به أيضا: ما لم يكن تابعًا أصلًا، نحو: (جاء ابنُ زيد)، ومنه: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ}. وخرج باشتراط كونه في غير أوّل السطر: ما كان أوّله فيرسم بالألف. وبقولنا: (لعلَم) ما وصف به غيره، نحو: (جاء الرجل ابنُ زيد). وبقولنا: (مضافًا لعلَم) ما أضيف لغيره. قال ابن قتيبة: وإن نسبته إلى غير أبيه فقلت: (جاءني محمد ابن أخي عبد الله)، ألحقت فيه الألف❸. قال الشيخ أبو العبّاس الهلالي في فتح القدّوس: ولعلّ هذه العبارة هي التي غرّت من حمل الأب على الأب دنيّة، وليس بمراد له، وإنّما مراده ما ظهر من تمثيله❹.

ثمّ قال ابن قتيبة: وإن نسبته إلى لقب غلب عليه أو صنعة مشهورة قد عرف بها، كقولك: (زيد بن القاضي)، و(محمّد بن الأمير)، لم يلحق الألف فيه؛ لأنّ ذلك يقوم مقام اسم الأب❸.

وبقولنا: (وكان مفردا) ما كان مثنّى، نحو: (زيد وعمرو ابنا عبد الله)، فيرسم بها. وبقولنا: (مذكّرا) ما أنّث، نحو: (هذه هند ابنة زيد) فيرسم بالألف.

---

❶ هو أبو عبد الله محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران .الفاسي داراً ومنشأً، ولد بفاس سنة 1172هـ، وظهرت عليه بوادر النبوغ والذكاء والاجتهاد منذ المراحل الأولى من حياته، وفي زمن يسير حصل على علم كثير. ولما أنس منه شيوخه هذا النبوغ المبكر في التحصيل بدأوا يقدمونه في المجالس، فكان يلقي دروسا في الحديث والفقه والعربية يشهدها جمع غفير من الطلبة، وهو إذ ذاك لم يبلغ حدود العشرين من عمره، فاستوجب حينذاك التصدير من أولي التحقيق والتحرير. وتوفي سنة 1227هـ. والنص من كتاب (النشر الطيب على شرح الشيخ الطيب) للشيخ إدريس بن أحمد الوزاني أصلا الفاسي دارا ومنشا. 1 / 81.

❷ شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (6/ 245)

❸ أدب الكاتب = أدب الكتاب لابن قتيبة (ص: 217) والمثال في الكتاب هكذا: (هذا محمد ابنُ أخي عبد الله).

❹ النشر الطيب: 1 / 81.

لكن قال بعضهم: ما لـم يقع أوّلَ السطر فيكتب حينئذ بالألف، وكذا إن أُعرِب بدلًا، وعليه خُرّج إثباتها فـي (عِيسَى ابْـن مَرْيَمَ).

فإن كان العلَم الذي قبله منوّنا① حذف تنوينه②، كزيدِ بنِ عمرو.

---

① قوله: (قبله) أي قبل (ابن) الذي تـحذف فيه الألف، وأمّا الواقع قبل (ابن) الذي ثبتت به فيثبت، قاله ابـن قتيبـة❶، وحذف التنوين من (عزير) لـمـانع الصّرف وهو العلمية والعجمة، إذ هو أعجميّ وإن كان موافقا لتصغير عزر❷.

② قوله: (حذف تنوينه) أي ولا يثبت إلا في الضرورة، كقوله:

جارية من قيسٍ بن ثعلبة * تزوّجت شيخا عظيم الرّقبة❸

---

❶ أدب الكاتب = أدب الكتاب لابن قتيبة (ص: 217).

❷ قرأ عاصم والكسائيُّ بتنوين «عُزَيْرٌ»، والباقون من غير تنوين:

فأمَّا القراءةُ الأولـى فيحتمل أن يكون اسمًـا عربيًا مبتـدأ، و «ابـنُ» خـبره، فتنوينـه علــى الأصـل، ويــحتمل أن يكـون أعجميًّا، ولكنهُ خفيفُ اللَّفظِ، ك «نُوحٍ» ، و «لُوطٍ» ، فصُرفَ لخفَّة لفظه، وهذا قول أبي عبيد، يعني: أنَّـهُ تصـغيرُ «عَـزَر» ، فحكَم حكم مُكَبَّره، وقال: هذا ليس منسوباً إلى أبيه، إنَّما هو كقولك: زيد ابن الأمير، وزيد ابـن أخينـا، و «عُزَيْـرٌ» مبتـدأ وما بعده خبره، ورُدَّ هذا بأنَّه ليس بتصغير، إنَّما هو أعْجَمي، جاء على هيئة التَّصغيرِ في لسـان العـرب، ك «سُـلَيْمان» ، جـاء على مثال «عُثَيْمان، وعُمْيَران» .

وأمَّا القراءةُ الثانية؛ فيحتمل حذفُ التنوين ثلاثة أوجه: أحدها: أنَّه حذف التنوين لالتقاء الساكنين ... قـال الفـرَّاء: نـون التنوين فـي «عُزَيْرٌ» ساكنة، والباء في قوله «ابْنُ الله» ساكنة، فالتقى ساكنان، فحذف نون التنوين للتخفيف... وهـو اسـمٌ منصرفٌ مرفوعٌ بالابتداء، و «ابن» خبره. الثانـي: أنَّ تنوينه حذف، لوقوع الابن صفة له، فإنَّـه مرفـوعٌ بالابتـداء، و«ابـن» صفته، والـخبرُ محذوفٌ، أي: عُزَيْرٌ ابْنُ الله نَبِيُّنا، أو إمامُنَا، أو رسولُنَا، وقد تقدَّم أنَّه متى وقع «الابـن» صـفة بـين علمـين، غير مفصولٍ بينه وبين موصوفه، حذفت ألفه خطّاً، وتنوينه لفظاً، ولا تثبت إلاَّ ضرورة... ويجـوز أن يكـون «عُزَيْـرٌ» خـبر مبتدأ مضمر، أي: نَبِيُّنا عُزير، و «ابن» صفةٌ له، أو بدل، أو عطف بيان. الثالث: أنه إنَّمـا حذف، لكونه ممنوعًا من الصَّرف، للتعريف والعجمة. ولـم يرسم فـي الـمصحف إلاَّ بإثبات الألف، وهي تنصرُ من يـجعله خبرًا.

وقال الزمخشري: «عزير ابن» مبتـدأ وخـبره، كقولـه: {المسيح ابـن الله} و«عُزَيْـرٌ» اسـم أعجمـي: «عَزرَائيـل، وعيـزار» ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه، ومن صرفه جعله عربيًّا. وقول من قال بسقوط التنوين؛ لالتقاء الساكنين... ولأنَّ «الابن» وقع وصفاً، والخبر محذوف، وهو «معبودنا» فتمحُّلٌ عن مندوحة. اللباب في علوم الكتاب (10/ 68)

❸ البيت مطلع أرجوزة للأغلب العجلـيّ، وأراد بجارية: امرأةً من العرب اسمها كلبة، كان بينهمـا مهاجاة. خزانة الأدب 1 / 238

(مُبْتَدِئًا) حال مقدّرة من (عبد الواحد)①.

ولـمّـا كان نظم الكتاب وتأليفه أمرًا ذا بال، أي شأنٍ يُهتمّ به، وكلّ ما هو كذلك تطلّب بداءته بالبسملة؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «كلّ أمر ذي بال② لا يبدأ فيه...

---

① قوله: (حال مقدّرة) أي مستقبلة❶، وفيه أنّ من قدّر الابتداء بالتسمية ليس مبتدئا بها بالفعل، والـمطلوب الابتداء بها بالفعل.

وقال الشيخ سيدي مـحمّد جسّوس❷: حال ماضية، أي: (يقول عبد الواحد ابن عاشر وقد كان ابتدأ بالبسملة فيما مضى: الـحمد لله). وفيه بحث انظره فـي شرح شيخ شيوخنا سيدي الطيّب.

② قوله: (كلّ أمر ذي بال) البال: الشأن، كما فـي الشرح، والتنكير للتعظيم، أي: ذي شأن عظيم وحال يُهتمّ به، أو البال بمعنى القلب، والإضافة لشبه الـملك❸، أي كلّ أمر يشغل صاحبه حتى كأنّه ملك له.

والأبتر: فاقد الذنَب من نوع ما له ذنَب.

شبّه الأمر الـمهمّ الفاقد للتسمية بذي العيب الـمنفّر بجامع النقص والـحقارة، إلـحاقًا للمعنويّ بالـحسّيّ؛ لـمزيد الإيضاح، وهو تشبيه بليغ❹ بحذف الأداة، وليس باستعارة❺؛ للجمع بين طرفي التشبيه........................=

---

❶ أي البسملة جاءت بعد (يقول). مثل: {لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون} [الفتح: 27] فكل من (مـحلّقين) و (مقصّرين) حال مستقبلة؛ لأنّ الـحلق والتقصير بعد الدخول، وليسا مقارنين له.

❷ مـحمّد بن قاسم بن مـحمّد جسوس أبو عبد الله 1089هـ/ 1182هـ - 1678م/ 1768م: فقيه من علماء الـمالكيّة، من أهل فاس، له كتب، منها: شرح مـختصر خليل، والشرح الكبير لـحِكَم ابن عطاء الله، وشرح الرسالة للقيروانيّ، وشرح شمائل الترمذيّ، وشرح توحيد الـمرشد الـمعين لابن عاشر.

❸ شبه الـملك، ويعبّر عنه بـ: الاختصاص، والاستحقاق، فالأوّل نحو: (السّرج للدابّة)، والثاني نحو: (العمارة للدار)؛ لأنّ (الدابّة) و(الدار) لا يتصوّر منهما الـملك، والفرق بينهما: أنّ التي للاستحقاق هي الواقعة بين معنى وذات، والتي للاختصاص بخلاف ذلك. شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو (1/ 642)

❹ التّشبيه البليغ: هو التّشبيه الذي حُذف منه وجه الشّبه وأداة التّشبيه. مثل: {وَتَرَى الْـجِبَالَ تَـحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} [النمل: 88] فقد شبّه مرور الـجبال بمرور السحاب.

❺ الاستعارة: هي تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه. فالتّشبيه لا بدّ فيه من ذكر الطرفين الأساسين وهما (الـمشبّه والـمشبّه به)، فإذا حذف أحد الركنيْن لا يعدّ تشبيهًا، بل يصبح استعارة.

....

= والأمر بابتداء الأمور الـمهمة بالبسملة مأخوذ من الحديث بطريق الكناية❶، وهي أبلغ من التصـريح❷؛ لأنّه إذا كان غير الـمبدوء بها ناقصًا شرعًا كان الـمبدوء بها هو الكامل شرعًا، فيلزم طلب الابتداء بها، وهو الـمراد.

وخرج بالتقييد بقوله: (ذي بال) أمران: أحدهما: ما نهي عنه ولـو كراهـة، فتكـره فـي الـمكروه والـمحرّم، أو تـحرم فيهمـا، أو تكره فـي الـمكروه وتـحرم فـي الـمحرّم، أقـوال ذكرهـا خ في ضيح❸. بـل قـال التفتازانـيّ❹ فـي شرح النسفيّة: من سمّى الله عند الزّنا أو شرب الـخمر يكفّر إذا فعل ذلك استخفافًا، وإلّا فلا يكفّر أحد بذنب من أهـل القبلـة. والشِّعْرُ: إن كان مـحرّما فكغيره من الـمحرّمات، وإن احتوى علـى عِلْم أو وعـظ نـدبت فيـه كسـائر كتـب العلـم، وإلّا فأجازها فيه ابن جبير❺ ومنعها الشعبيّ❻.. =

---

❶ الكناية: لفظ لا يقصد منه الـمعنى الـحقيقيّ، وإنّمـا معنى ملازم للمعنى الـحقيقيّ، أو هو لفظ أطلـق أريـد بـه لازم معناه لا أصل معناه. مثلا: يقول الشـاعر: (وكلبُـك آنَـسُ بـالزائرين * مـن الأمّ بابنتهـا الزائـرة) يريـد بـذلك أن يصـف مـمدوحه بالـجود؛ لأنّ الكلب الأنيس يلزم أنّه يرى الكثير من الناس، فلا يهاجمهم ولا ينـبح علـيهم، ورؤيـة الكثـير مـن الناس تستلزم أن هناك ضيوف.

❷ أي أبلغ مـمّـا لو قال: (ابدؤوا بسم الله).

❸ التوضيح فـي شرح مـختصر ابن الـحاجب (1/ 124): فائدة: من الأفعال ما شرعت فيه التسمية، سواء كانت قربـة كالطهارة، أو مباحًا كالأكل. ومنهـا مـا لـم تشرع فيـه كـالأذان، والـحجّ، والـذِّكْر، والـدعاء. ومنهـا مـا تكـره فيـه، كالـمحرّمات والـمكروهات؛ لأن الـمقصود بها البركة، والـحرام والـمكروه لا تراد البركة منهمـا.

❹ السعد التفتازاني (712 - 793 هـ = 1312 - 1390 م): مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانـيّ، سـعد الـدين: مـن أئمّة العربية والبيان والـمنطق. ولد بتفتازان (من بلاد خراسـان) وأقـام بسـرخس، وأبعـده تيمورلنـك إلـى سـمرقند، فتوفّـي فيها، ودفن فـي سرخس. من كتبه: تهذيب الـمنطق، والـمطوّل في البلاغة، والـمختصر، اختصر به شرح تلخيص المفتاح، ومقاصد الطالبين، فـي الكلام، وشرح العقائد النسفية.

❺ ابن جبير (540 - 614 هـ = - 1145 - 1217 م) مـحمّد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسـين: رحالـة أديب. ولد في بلنسية [VALENCE] ونزل بشاطبة، وبرع فـي الأدب، ونظـم الشـعر الرقيـق، وحـذق الإقـراء، وأولـع بالترحل والتنقل، فزار المشرق ثلاث مرات، وهي التي ألف فيها كتابه: رحلة ابن جبير، ومات بالاسكندرية.

❻ عن وادع الراسبي عن الشعبيّ قال: (ما أروي شيئًا، أُقِلُّ من الشعر، ولو شئت لأنشدتكم شهرًا لا أعيد)، والشعبي هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار أبو عمرو الـهمداني الشعبي، ولد سنة 21هـ، تابعيّ وفقيه ومـحدّث مـن السـلف، ولد فـي خلافة عمر بن الـخطاب، كانت وفاته فجأة بالكوفة وذلك سنة 103هـ، وقيل غير ذلك.

= الثاني: كلّ مـحقّر، كحركة يد أو رجل؛ تيسيرًا على العباد، إذ لو طلبت مع كلّ حركة وسكون لزم غاية الـحرج. وفي ضيح: لا تشرع في الأذان والـحجّ والذِّكر والدّعاء❶.

فالـحديث من العامّ الـمخصوص❷، وبه يسقط ما يقال: من الـمهمّ شرعا البسملة، فتشرع لـها، وتشرع للثانية ثالثة، وهلمّ جرًّا، فتسلسل❸. والـحاصل: أنّ الأفعال باعتبار التسمية ثلاثة أنواع: ما لا تشرع فيه لشرفه بنفسه، وما لا تشرع فيه لـحقارته شرعًا وطبعًا، وما تشرع فيه للاهتمام به شرعًا أو طبعًا.

---

❶ التوضيح في شرح مـختصر ابن الـحاجب (1/ 124-125): ولا بأس بِعَدِّ الـمواضع التي يبسمل فيها، فنقول على ما حضر لنا الآن: ركوب الفرس، وركوب السفينة، والأكل، والشرب، والطهارة سواء أكانت وضوءًا أو غسلًا أو تيمّمًا، والذبح، والدخول إلى الخلاء، والـخروج منه، والدخول إلى الـمسجد، والـخروج منه، والدخول إلى الـمنزل، والـخروج منه، والوطء، وإطفاء الـمصباح، وإغلاق الباب، وإذا لبِس ثوبًا جديدًا أو لبيسًا، وعند نزعه، وعند صعود الـخطيب على الـمنبر -نصّ عليه الشيخ أبو عبد الله بن الـحاج- وعند وضع الـميّت في لـحده فقد استحبّ ابن حبيب حينئذ أن يقال: (بسم الله وعلى ملّة رسول الله). وكذلك نصّ على استحبابها عند إغماض الـميّت، وكذلك نصّ على استحبابها عند ابتداء الطواف بأن يقول: (بسم الله والله أكبر اللّهمّ إيمانًا بك) ... إلى آخره.

وقال في موضع آخر: (2/ 516): والدخول بالنية (في الـحجّ) أحبّ إلى مالك من التسمية. وروي عنه كراهة التلفّظ، وعن ابن وهب: التسمية أحبّ إليّ. وفي الـموّازية: قال مالك: ذلك واسع سمّى أو ترك. وقال ابن حبيب: التلبية كتكبيرة الإحرام، فلا ينعقد إحرامه إلّا بالتلبية كما لا تنعقد إلا بتكبيرة الإحرام.

وقال في مـختصره: (وتسمية، وتشرع في: غسل، وتيمّم، وأكل، وشرب، وذكاة، وركوب دابّة وسفينة، ودخول وضدّه لـمنزل ومسجد، ولُبْس، وغلق باب، وإطفاء مصباح، ووطء، وصعود خطيب منبرًا، وتغميض ميّت ولـحده).

❷ العامّ الـمخصوص: هو العامّ الذي أريد به العموم في الأصل، ولكنّه خصّص بعد ذلك، فجيء بما يخصّصه ببعض أفراده دون بعض. أمّا العامّ الذي أريد به الـخصوص، مثل قول الله تعالى: { الَّذِينَ قَالَ لَـهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ } [آل عمران: 173] والـمقصود بذلك بعض الناس دون بعض، ولا يقصد أنّ كلّ النّاس قالوا لـهم ذلك، كذلك ليس كلّ الناس قد جمعوا لـهم.

❸ التسلسل عند الـمتكلّمين هو أن يـحدث قبل كلّ حادثٍ حادثٌ آخر لا إلى بداية، فمهما تصوّرت حادثًا في القدم فيجوز أن تتصوّر حادثًا قبله لا إلى بداية. فيتكوّن من مـجموع هذه الـحوادث سلسلة غير منقطعة من جهة القدم. وهذا مـحال في العقل، أي إنّه لا يمكن للعقل السليم أن يصدّق به. فلا يوجد هنالك معنى مفهوم لانقضاء (انتهاء) ما لا نهاية لـه؛ لأنّ في هذا تناقضًا. فكأنّك تقول: إن لا نهاية له ينتهي، وواضح أنّ في هذا تناقضًا بيّنًا. ينظر: مختصر شرح الخريدة البهية، سعيد فودة.

ببسم الله فهو أبتر» ① بدأ بها النّاظم فقال: (مُبْتَدِئًا بِاسْمِ الإلهِ القادرِ). والقادر: من له القدرة، وهو صفة للإله ②.

① قوله: (لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر) هكذا بخطّ الـمؤلّف بباءين وإسقاط (الـرّحمن الـرّحيم)، وختمـه بقولـه: (فهـو أبتر)، ولعلّه رواية بالـمعنى، فإنّه لـم يوجد فـي رواية من الرّوايات بهذا اللّفظ، بل الـموجود بباء واحدة، رواه الـخطيب فـي جامعه: «لا يبتدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع» ❶، وفـي لفظ: (أبتر)، وفـي آخر: (أجذم) ❷.

وهذا الـحديث رواه السيوطيّ ❸ فـي جامعه وغيره، قال النوويّ فـي الأذكار: وهو حديث حسـن، وقـد روي موصـولا ومرسلا.

قال خاتـمة الـحفّاظ بالـمغرب أبو العلاء سيدي إدريس بن مـحمّد العراقي الـحسنيّ: وأخرجه -أيضًا- ابـن بشـكوال فـي فوائده، وابن السبكيّ فـي طبقاته، ومدار طرقهم على رجل قال بعض الـحفّاظ فيـه: لـيس بشـيء، وآخـر جهّلـه الـحافظ ابن حجر، وآخر ضعيف.

ولأجل هذا جزم ابن حجر بأنّ إسناده واهٍ، وهو شديد الضعف، ولا يُعمل به حتى فـي فضائل الأعمـال حسـب مـا هـو مقرّر فـي كتب الاصطلاح وتواريخ الرجال.

② قوله: (وهو صفة للإله) أي صفة مدح، وفيه إشعار بتبرّي النّاظم من حوله وقوّته، وتفويضه لـمن له القـدرة، وعلـى قدر تـحقيق العبد بهذا الـمعنى تنفعل له الأشياء، وتُسخَّر له الـمكوّنات.

---

❶ قوله: (بباء) الخ، كذا فـي الأصل، لكن الذي فـي الـجامع الصغير: (لا يبدأ) بدون تاء، وبدون (فهو)، وبباءين فـي (ببسم).

❷ حاشية العدوي على شرح مختصر خليل للخرشي (1/ 9): الأبتر لغة: ما كان من ذوات الذَّنَب ولا ذنب له، والأقطـع: من قطعت يداه أو إحداهما. والأجذم لغة: من به الداء الـمعروف. وقيـل: مـن قطعـت أصـابع كفّيْه. وجعلـه صـاحب الـمصباح مساويًا لأقطع. وأمّا القاموس فقد فسّره بمن بـه الـداء الـمعروف وبمـن قطعـت يـده أطلـق كـلّ منهـا فـي الـحديث علـى ما قلّت بركته كمـا قال الشارح، أو فقدت كمـا قال آخر، تشبيهًا له بمـا فقد ذنبه الّذي تكمل بـه خلقتـه. أو بمن فقد يديه اللتين يعتمد بهمـا فـي البطش ومـحاولة التحصيل. أو بمن فقد أصابعه التي يتوصل بها إلـى مـا يـروم تـحصيله.

❸ الـجَلَال السُّيُوطي (849 - 911 هـ = 1445 - 1505 م) عبـد الـرحمن بـن أبي بكـر بـن محمـد ابـن سـابق الـدين الخضيري السيوطي، جلال الدين، إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو 600 مصنف، نشأ في القاهرة يتيما (مات والده وعمـره خمس سنوات)، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، منزويا عـن أصـحابه جميعـا، كأنه لا يعرف أحدا منهم، فألف أكثر كتبه، كان يلقب بابن الكتـب، لأنّ أبـاه طلـب مـن أمّـه أن تأتيـه بكتـاب، ففاجأهـا الـمخاض، فولدته وهي بين الكتب.

والـحمد لغة ❶: الوصف بالـجميل ①.

① قوله: (الوصف بالـجميل) ❷ يـحتمل أن يكون (بالـجميل) هو الـمحمود به، فيكون قد تـرك الـمحمود عليـه، أو الـمحمود عليه، بجعل الباء بمعنى علـى ❸، فيكون قد ترك الـمحمود به، وذلـك لأنّ أركـان الـحمد خمسـة: الصّـيغة، والـحامد، والـمحمود، وهذه الثلاثة يتضمّنها لفظ الوصف، وهو خاصّ باللّسان، والرّابـع: الـمحمود بـه، وهـو صـفة كمـال يدرك العقل السليم حسنها، والـمراد: كونـه جميلا فـي الواقـع شرعًـا أو عـادةً أو عنـد الـحامد، والـخامس: الـمحمود عليه، وهو ما يقع الوصف الـجميل مقابله أو بإزائه، فهو كالباعث علـى الـحمد، وواحد من هـذين مصـرّح به فـي التّعريف دون الآخر.

وقيّد الإمام الفخر الرازيّ الـمحمود عليه بالاختيـاريّ، مفرّقًـا بـين الـحمد والـمدح ❹........................ =

❶ لغة: حال منصوبة، وقد توهم بعض النحاة ونصبوها على نزع الخافض (أي علـى حـذف حـرف الجـر)، والتقـدير عندهم : السنة في اللغة. وهذا ليس صحيحًا، حيث لا نجد في المواطن التي يحذف فيها حرف الجر موطنا واحـدًا يشـير إلى أن كلمة (لغة) أو (اصطلاحاً) أو ما شابهها مما ينصب على نزع الخـافض، وقـد ذكـرتُ كتـب النحـو تلـك الـمواطن بالتفصيل ، وخصّها شرح الأشموني بثلاثة عشر موطنًا، وليس فيها واحد جاء منصوبًا بعد حـذف الـجر، وإنّمـا بقيـت جميعها علـى جرها. وإذا كانت مجرورة بحرف الجر الظاهر، نحو قولهم : (السنة في اللغة)، فالجار والمجرور متعلقان بفعـل محذوف تقديره: (أعني)، والـجملة الـمقدرة معترضة.

❷ اتّفق أهل اللّغة والشّرع علـى أنّ حقيقـة الـحمد: (الوصـف بالـجميل علـى جميـل اختيـاريّ). قـال: (الوصـف بالـجميل) ولـم يقل: ا(لثّناء باللّسان)؛ لأنّه لو قال: (باللّسان) لأخرج الـحمد القديم؛ لأنّ الـحمد أربعـة أقسـام: حمد القديم لنفسه، وحمد الـحادث لـحادث، وحمد الـحادث للقديم، والقديم للحادث.

❸ ومعنى (علـى جميل): أي لأجل جميل، فـ(علـى) للتعليل، فهو إشارة للمحمود عليه.

❹ إذا قلت: زيد صالح أو تقيّ أو كثير العبادة أو مـحسن إلـى الناس أو يقف بجانب الضـعفاء واليتـامى والـمحتاجين فكلّ هذه أمور اختياريّة، كان فـي إمكانه أن لا يفعلها. وإذا لـم يكن الـمحمود عليه اختياريًّـا كـان مـدحًا لا حمدًا. فـإذا قلت: (زيد حسن الوجه) فهذا مدح؛ لأنّ (حسن وجهه) ليس اختياريًّا. فالإنسان لا يـختار شكله ولا لونـه ولا بلـده ولا والديه. فهناك أمور لا اختيار فيها للإنسان: كونه طويلًا أو قصيرًا أو من أبوين كريمين... فـإذا أثنـى عليـك إنسـان بهـذا يسمّى مدحًا لا حمدًا. فكون الإنسان مثلًا من أهل المدينة الـمنوّرة لا يعني أنّه مـحمود بذلك. ولـذلك يـروى أنّ أحـدهم قال لأبـي حنيفة: أنتم يا أهل العراق أهل الشقاق والنفاق. فقال له أبو حنيفة: من أين أنت؟ قال: أنـا مـن أهـل الـمدينة الـمنوّرة. قال: إن الله تعالى يقول: {وَمِنْ أَهْلِ الْـمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَـى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ} [التوبـة: ١٠١]، أمّـا الـمحمود به فلا يشترط أن يكون اختياريًّا فـي الـحمد.

= فقوله: (الوصف) جنس❶، وقوله: (الـجميل) مـخرج للذّمّ، و(علـى الـجميل) مـخرج لـمـا إذا كان الباعثُ علـى الوصف بالـجميل غيرَ الـجميل، كمن مدح شخصًا اتّقاءً له❷، أو حياءً منه، أو تهكّمًا❸، وقيّد الاختياريّ فيه فقـط، لا فيمـا قبله علـى الأصحّ فيهمـا، وهو مـخرج لـمـا إذا كان الباعث علـى الوصف بالـجميل جميلا غير اختياريّ، كصـفاء اللؤلؤة، فهو مدح لا حمد❹.

ثمّ الاختياريّ إمّا حقيقيّ، كالـخلق، والرّزق، والـهداية، والتعليم، ونحو ذلك، وإمّا حكميّ، كالقدرة، والإرادة، والعلم، والـحياة، ونحو ذلك مـمّـا هو مبدأ للأفعال الاختياريّة، فيدخل حينئذ الثناء علـى الصفات القديمة فـي حـدّ الـحمد؛ لأنّها وإن لـم توصف بكونها اختياريّة حقيقة فهي اختياريّة حكمًـا، ويدخل -أيضا- الـحمد علـى صـفات الـمخلوق الذاتيّة، كقدرته، وشجاعته -مثلا- وإن كانتا ليستا بفعل ولا يوصفان بالاختياريّ فهمـا مبتـدأ الأفعـال الاختياريّـة مـن النّعمة والـخوض فـي الـهلاك.

ويدخل فـي الـحدّ -أيضا- قول بعض العرب فـي مقـام التّفـاخر والـمدح: فـلان السـفّاك للـدّماء، النهّـاب للأمـوال، ونحوه، فإنّه حمد لغة، وإن لـم يـجز الثّناء به شرعًا.

ولإشعار الـحمد بالاختيار اختير فـي مفتتح القرآن علـى الـمدح، فكانت أوّل جملة من الكتاب الـحكيم تفيد أنّه فاعل =

---

❶ يدخل تـحته: الـجميل وغير الـجميل.

❷ جاء فـي الصحيحين من حديث عائشة -رضي الله عنها-: أنّ رجلًا استأذن علـى النّبيّ -صلّـى الله عليه وسلّم-، فلمّـا رآه قال: «بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة»، فلمّـا جلس تطلّق النّبيّ -صلّـى الله عليه وسلّم- فـي وجهه وانبسط إليه، فلمّـا انطلق الرجل قالت عائشة: يا رسول الله، حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثمّ تطلّقت فـي وجهه وانبسطت إليه !؟ فقال رسول الله -صلّـى الله عليه وسلّم-: «يا عائشة، متى عهدتني فحّاشًا؟ إنّ شرّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتّقاء شرّه».

❸ نحو قوله تعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدخان: 49]

❹ ولذا يقال: مدحت اللؤلؤة علـى صفاء لونها، ولا يقال: حمدتها علـى ذلـك. الـمحمود بـه لا يشـترط فيـه أن يكـون اختياريًّا، كأن يثنى عليه بصباحة الوجه لأجل إكرامه إياه، ولذا تراهم يقولون: إنّ الـمحمود به وعليه تارة يـختلفان ذاتًـا واعتبارًا كمـا فـي الـمثال الـمذكور وتارة يتّحدان ذاتًا ويـختلفان اعتبارًا. كأن يثنى عليه بالكرم لأجل كرمه فـالكرم مـن حيث إنّه مثنى به مـحمود به ومن حيث إنّه باعث علـى الـحمد مـحمود عليه.

....

= بالاختيار، لا بطبع أو تعليل، وهي قاعدة عظيمة في أصول الدِّين ❶.

❶ قال الشيخ الدردير في الـخريدة البهية في تعداد صفات الله السلبية:

مـخالفٌ للغير وحدانيه	في الذاتِ أو صفاته العليه
والفعلِ فالتأثير ليس إلا	للواحد القهار جل وعلا
ومن يقل بالطبع أو بالعلّة	فذاك كفر عند أهل الملّة
ومن يقل بالقوة الـمودعة	فذاك بدعيّ فلا تلتفت

أي أنّه لا توجد أفعال مثل أفعاله تعالى، فلا مؤثّر ولا خالق إلا الله.

أمّا القول بالطبع: فهو القول بالصفة الذاتية للأشياء تكون مؤثّرة وجوبًا في غيرها...ومن قال بها قال إنَّ هذا التأثير واجب عقلاً... وهو قول الفلاسفة... ومثاله: كون الإحراق طبعًا للنار... فعندهم الإحراق طبع ثابت للنار لا يتخلّف -يبطل- ما لم يوجد مانع خارجيّ كمادّة لا تحترق... أي إنّهم يقولون إنّه إذا وجدت النار ووجدت ورقة داخل النار فإنَّ من طبع النار الإحراق ومن طبع الورقة قبول الاحتراق. فيجب احتراق الورقة عقلاً عندهم... فلذلك ينكر الفلاسفة الـمعجزات الـحسّيّة كنجاة سيدنا إبراهيم -على رسولنا وعليه الصلاة والسلام- من النّار، وانقلاب العصا أفعى لسيدنا موسى -على رسولنا وعليه الصلاة والسلام- وغيرها...

وأمّا القول بالعلّة: فهو للفلاسفة أيضاً...وهو بأنَّ وجود علل حقيقيّة للأشياء -فيكون الطبع بعض العلل (أو هما مترادفان؟)...-فشرب الـماء عند الفلاسفة علّة بذاته للريّ... والأكل علّة بذاته عندهم للشبع عقلاً... فلا يجوز تـخلُّف ذلك عندهم أبدًا... ولذلك لا معنى للقول بإرادة الله سبحانه وتعالى عندهم...لأنَّ الأشياء مؤثّرة بذاتها عندهم. وهذا ممّا يكفرون به.

وأمّا القوة الـمودعة: فهو ما قال به الـمعتزلة، متأثّرين بقول الفلاسفة بالعلّة...ولكنَّ الـمعتزلة لـمّا حاولوا التوفيق بين كون الله -سبحانه وتعالى- على كلّ شيء قدير وبين كون الأشياء مؤثرة بذاتها قالوا: إنَّ الله -سبحانه وتعالى- هو الذي أعطى النار قوّة أودعها فيها ثمَّ يكون التأثير من النار نفسها...

وأمّا مذهب أهل السنّة: هو أنَّ إرادة الله -سبحانه وتعالى- هي العلّة الـحقيقيّة لكلّ الأشياء...فالنّار لا تـحرق إلّا بإذنه تعالى... والـماء لا يروي إلّا بمشيئته سبحانه وتعالى... وكذلك كلُّ حادث.

علـى جهة التّعظيم① والتّبجيل②.

وقد أكثر النّاس فـي هذا الـمحلّ من الكلام علـى حقيقة الـحمد والشّكر اللّغـويَّيْن والشَّـرعيّيْن وما بينهمـا مـن الـخصوص والعموم، وقد ذكرنا فـي الشرح الكبير من ذلك جـملة صالـحة، فراجعه إن شئت③.

---

① قوله: (علـى جهة) أقحم (جهة) إشارة إلـى أنّ التعظيم بالفعل لا يشترط، بل ما كان من جهته، وهـو عـدم مـخالفة الـجوارح، وإضافة (جهة) بيانيّة❶، احترازًا عن الوصف بالـجميل الـمراد بـه الـتّهكّم، نحـو: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدخان: 49] قاله فـي الكبير. وفيه أنّ هذا مستغنًى عنه بـ(علـى الـجميل)، أي فـي مقابلتـه، إذ مـا قصـد بـه التّهكّم ليس فـي مقابلة الـجميل، فالصّواب أنّه لإخراج ما إذا كان الوصف بجميل علـى جميل لكـن علـى جهـة عـدّ الـموصوف عظيمـا، بأن لـم يـخطر ببال الواصف تعظيمه، كمـا إذا قصد مـجرّد الإخبار، فإنّه لا يكون حمدًا❷.

② قوله: (والتّبجيل) مرادف؛ لأنّه إن لـم يكن أخفى مساوٍ، وعطف التّفسير يكون فيه الثّاني أوضح❸.

③ قوله: (وقد ذكرنا فـي الشرح الكبير من ذلك جـملة صالـحة) حاصله: الـحمد العرفـيّ❹: (فعل ينبـئ عـن تعظـيم الـمنعم❺ بسـبب الإنعـام علـى الـحامد أو غـيره❻، كـان قـولًا باللّسـان❼ أم اعتقـادًا بالـجَنان أم عمـلًا وخدمـة بالأركان❽)، فهو أعمّ موردًا وأخصّ متعلَّقًا، واللّغوي بالعكس.

فثناء باللّسان فـي مقابلة إحسانٍ لغويٌّ وعرفـيٌّ، وثناء باللّسان لأجل الكمـال لغويٌّ فقط، واعتقاد أو عمل لأجل....=

---

❶ الإضافة البيانيّة: هي ما كانت علـى تقدير (مِن)، وضابطها: أن يكون الـمضاف جنسًـا للمضـاف إليـه، نحـو: (هـذا ثوبُ حريرٍ).

❷ وقال بعضهم: أتى به إشارة إلـى أنّه لا بدّ من موافقة الـجنان للسان علـى الثناء. أمّا إذا أتى بلسانه وقلبُه معتقدٌ خلافَه فلا يكون حمدا؛ لأنّه ليس علـى جهة التعظيم.

❸ عطف التفسير: أن يؤتى بمعطوف مرادف للمعطوف عليه.

❹ قوله: (الـحمد العرفـيّ): الـمراد: عرف بعض الـمتكلّمين كمـا ذكر الدسوقيّ فـي حاشـيته علـى شرح الـخريدة، قال: وإلّا فأهل اللغة والشرع اتّفقوا علـى أنّ حقيقة الـحمد: الوصف بالـجميل، فليس الـحمد لغة أعمَّ منه شرعًا.

❺ قوله: (ينبئ عن تعظيم الـمنعم) أي يدلّ من اطّلع عليه علـى تعظيم الـمنعم الذي هو الـمحمود، فـدخل الاعتقـاد، فلا يقال: الإنباء إنّمـا يظهر فـي القول والعمل ولا يظهر فـي الاعتقاد، إذ لا اطّلاع لغير الـحامد عليه.

❻ قوله: (علـى الـحامد أو غيره) فلا يشترط أن تكون النعمة لنفس الـحامد، وإنّمـا الـمدار علـى كونـه فـي مقابلـة نعمة. والـمؤمنون كالـجسد الواحد. فالـمؤمن إذا انتصر أو نجح فرح كلّ إخوانه الـمؤمنين.

❼ إنّمـا دخل القول فـي الفعل؛ لأنّ حركة اللسان فعل.

❽ قوله: (وخدمة بالأركان) الـمراد بها الأعضاء الظاهرة غير اللسان؛ لأنّه ذكَره فـي الأوّل.

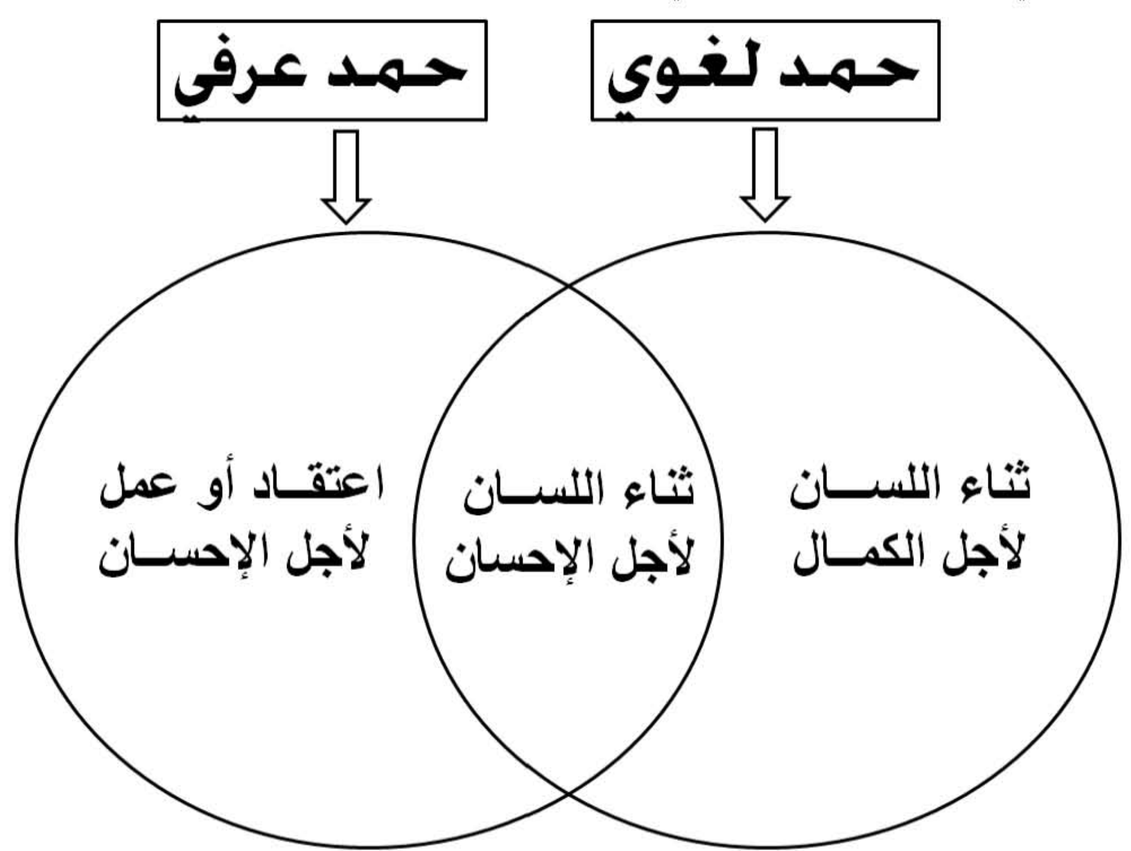
....

= الإحسان عرفـيٌّ فقط❶، وأمّا الشّكر لغة: فهو الـحمد عرفًا❷.

وأمّا الشّكر عرفًا: فهو (صرف العبد جميع جوارحه الـمنعم بها عليه فيمـا يـرضي الـمنعم فـي عمـوم الأوقـات)، هـو الـمسمّى بالتّقوى والاستقامة، كصرف البصر فـي نظر الآيات للاعتبار وتعرّف جلال الصّانع وجماله، والسّمع فـي تلقّي الأوامر والنواهي للامتثال، وغير ذلك، والشّكر بهذا الـمعنى هو الـمراد فـي آية {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ: 13]، وفـي حديث: «أفلا أكون عبدا شكورًا؟»❸.

وهو أخصّ وجودًا من الـحمدَيْن قبله، كمـا أنّ بينهمـا عمومًا وجهيًّا. ....=

❶ الـحمد العرفـيّ أعمّ موردًا، أي مبدأً (اللّسان والـجَنان والأركان) وأخـصّ متعلَّقـا، أي منتهًـى (لأجـل الإحسـان). والـحمد اللّغويّ بالعكس: أخصّ موردًا (اللّسان) وأعمّ متعلَّقًا (لأجل الإحسـان أو لأجـل الكمـال). فبينهمـا عمـوم وخصوص وجهيّ. وضابطه: أنّهمـا يـجتمعان فـي مادّة وينفرد كلّ منهمـا عن الآخر بجهة.



❷ أي بين الشّكر لغة والـحمد عرفًا ترادف، وإنّمـا يـختلفان فـي التسمية.

❸ رواه البخاريّ فـي التهجّد، باب قيام النّبيّ -صلّـى الله عليه وسلّـم- الليل، وفـي تفسير سورة الفـتح، وفـي الرقـاق، باب الصبر عن مـحارم الله، ومسلم فـي صفات الـمنافقين، باب إكثار الأعمـال والاجتهاد فـي العبادة، والترمـذيّ فـي الصلاة، باب ما جاء فـي الاجتهاد فـي الصلاة، والنّسائيّ فـي قيام الليل، باب الاختلاف علـى عائشة فـي إحياء الليل.

= فهذه ثلاث نسب، وجعلها فـي ك ستًّا، بزيادة نسبة الشّكر اللّغويّ إلـى كلّ من الثّلاثة، وهو وإن تـمـالأ عليـه أكثـرهـم وَهْمٌ؛ لأنّ الشّكر اللّغويّ هو الـحمد العرفـيّ، فنسبته هي بعينها نسبة الشّكر اللّغـويّ؛ لترادفهمـا علـى معنـى واحـد، والنّسب إنّمـا تعتبر بين الـمعنيين الـمعقولين، وأمّا الترادف فليس من النّسب الأربع؛ لأنّه نسبة بين الألفاظ فقط ❶.

❶ فيلزم من الشّكر العرفـي الـحمد اللغويّ والعرفـيّ والشكر اللغويّ، ولا عكس، بل تنفرد الثلاثة عنه بجهة عمومها.

الدر الثمين والمورد المعين (ص: 10-11): ومـمّـا استطردوه هنا تعريف الشكر: وهو لغة: فعل ينبئ عن تعظيم الـمنعم بسبب كونه منعمًـا، والـمراد بالفعل الـحدث، فيدخل فيه ما كان باللسان وبغيره من سائر الأركان، فلا يـختصّ باللسان كالـحمد، وخرج بقولهم: (ينبئ عن تعظيم الـمنعم) ما لا ينبئ تعظيمه. وخرج بقولـهم: (بسبب كونه منعمًـا) مـا ينبـئ عن تعظيمه لا فـي مقابلة إنعام، فإنه حمد لا شكر. وإذا فهمت هذا علمت أن بين الـحمد والشكر عموماً وخصوصـاً مـن وجه: يصدقان على الوصف اللساني بالجميل في مقابلة الإحسان. وينفرد الحمد بصدقه على الوصف اللسانيّ بالجميل لا في مقابلة إحسان. وينفرد الشكر بصدقه على ما ليس باللسان من الفعل المنبئ عن التعظـيم إن كـان في مقابلـة إحسـان. وأمّـا الحمد والشكر الشرعيّان فقال في شرح المطالع: تحقيق ماهيّتهما: أن الحمد ليس عبارة عن قـول القائـل (الحمـدلله) بـل هـو فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعماً وذلك الفعل: إما فعل القلب، أعني اعتقاد اتصافه بصفات الكمال والجلال.

أو فعل اللسان، أعني ذكر ما يدل عليه. أو فعل الجوارح، وهو الإتيان بأفعال دالة على ذلك. والشـكر كـذلك لـيس قـول القائل (الشكر لله) بل هو: صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق له وأعطاه لأجلـه، كصرفه النظر إلى مطالعة مصنوعاته والسمع إلى تلقي ما ينبئ عن مرضاته والاجتناب عن منهياته. وعلى هذا يكون الحمـد أعم من الشكر مطلقاً: لعموم النعمة الواصلة إلى الحامد وغيره. واختصاص الشكر بما يصل إلى الشـاكر اهــ قـال السـيد: وذلك لأنّ المنعم المذكور فـي تعريف الـحمد العرفـيّ مطلق لم يقيد بكونه منعماً عـلى الحامـد أو غـيره فيتناولهـا. بخـلاف الشكر إذ قد اعتبر فيه منعم مخصوص وهو الله سبحانه، ونعمة واصلة إلى عبده الشاكر. ولكون الحمد أعم من الشكر وجه ثان: وهو أن فعل القلب واللسان وحده مثلاً قد يكون حمدا وليس بشكر أصلا، إذا قد اعتـبر فيـه شـمول الآلات. ووجـه ثالث: وهو أنّ الشكر بهذا الـمعنى لا يتعلّق بغيره تعالى بخـلاف الـحمد اهــ وعبـارة الشـيخ خالـد الأزهـري في شرح التوضيح: فالشكر أخصّ مطلقًا لاختصاص تعلّقه بالباري تعالى، ولتقييده بكـون الـمنعم منعمًـا علـى الشـاكر، ولـو جرّب شمول الآلات فيه بخلاف الـحمد اهـ وقال الإمام أبو حامد الغزالي فـي الإحياء: إنّ عمل الشـكر يتعلّـق بالقلـب واللسان والـجوارح، فاستعمـال نعم الله تعالى فـي طاعته والتوقّي من الاستعانة بها علـى معصيته حتى إنّ شكر العينـين: أن يستر كلّ عيبٍ يراه لـمسلم، وشكر الأذنين: أن يستر كـلّ عيـب يسـمعه، فيـدخل هـذا فـي جملـة شـكر نعمـة هـذه الأعضاء، والشكر باللّسان: إظهار الرضا عن الله تعالى وما هو مأمور به اهـ.

ومعنى جملة الـحمد: الـخبر عن الله -تعالـى- باستحقاقه الاتّصاف بكلّ جميل، فهـي حمـد فــي الــمعنى①، وزادت بمزيّة التصريح بلفظ الـحمد مع التعميم فـي أوصافه تعالـى وإفادة اختصاصه به.

ولفظ هذه الـجملة خبر ومعناها الإنشاء②، قال الإمام الطّبريّ③ فـي تفسير الفاتـحة: الـحمد لله ثناء أثنى به تعالـى علـى نفسه، وفـي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه، فكأنّه يقول: قولوا: الـحمد لله❶اهـ.

---

① قوله: (ومعنى جملة الـحمد) إلـى قوله: (فهي حمد فـي الـمعنى) أشار بـه إلــى أنّ جملـة الــحمد باقيـة علــى أصـل وضعها من الإخبار بمضمونها، ويـحصل الــحمد بهـا استلزاما؛ لأنّ الإخبـار بـأنّ الــحمد بـأسره لله يسـتلزم أنّ ذلـك الـمحمود أهلٌ لأن يُـحمد، وذلك يستلزم اتّصافَه بالـجميل، فالإخبار كناية عن إنشاء الثّناء بمضمونها للزوم ذلك.

② قوله: (ولفظ هذه الـجملة خبر ومعناها الإنشاء) هذا احتمـال ثان، والـمراد أنّها فـي الأصل إخبـار بـأنّ الله مسـتحقّ لـجميع الـمحامد، ثمّ نقلت للإنشاء، أي إنشاء الثناء بمضمونها، لا إنشاء مضمونها الّذي هو ثبوت الـحمد لله؛ لأنّ هـذا الثّبوت قديم لا يُنشأ، فمعنى (الـحمد لله): أنشئ الثّناء علـى الله باستحقاقه لـجميع الـمحامد، فهي حقيقة عرفيّة❷ فـي الإنشاء، فلا تـحتاج إلـى قرينة، ولا إلـى نية إخراجها عن وضعها؛ لأنّه هجر وصار نَسْيًا.

③ قوله: (قال الإمام الطّبريّ) هو أبو جعفر مـحمّد بن جرير الطّبريّ، نسبة إلـى طبرستان، من أئمّة الـمذاهب كمــالك والشّافعيّ، وله تفسير لـم يؤلّف مثله فـي الإتقان، وقد استوفينا ترجمته فـي كتابنا (الأزهـار الطيّبـة النّشــر فيمــا يتعلّـق ببعض العلوم من الـمبادئ العشر)❸.

---

❶ تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (1/ 139): فإن قال لنا قائل: وما معنى قوله: {الــحمد لله}؟ أَحَمِـد الله نفسـه جلّ ثناؤه فأثنى عليها، ثم علَّمناه لنقول ذلك كما قال ووصَف به نفسه؟ فإن كان ذلك كذلك، فما وجه قوله تعالى ذكـره إذًا {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} وهو عزّ ذكرُه معبودٌ لا عابدٌ؟ أم ذلك من قِيلِ جبريلَ أو محمدٍ رَسول الله صلى الله عليه وسـلم؟ فقد بَطل أن يكون ذلك لله كلامًا. قيل: بل ذلك كله كلام الله جل ثناؤه، ولكنه جلّ ذكره حَمِد نفسه وأثنى عليها بما هـو لـه أهلٌ، ثم علَّم ذلك عباده، وفرض عليهم تلاوته، اختبارًا منه لهم وابتلاءً، فقال لهـم قولـوا: {الْــحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَــمِينَ}، وقولوا: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}. فقوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} مما علمهم جلّ ذكره أن يقولوه ويَدِينُوا له بمعناه، وذلك موصول بقوله: {الْـحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَــمِينَ}، وكأنه قال: قولوا هذا وهذا.

❷ الحقيقة العرفية: قول خص في العرف ببعض مسمياته وإن كان وضـعها للجميـع حقيقـة، مثـل: لفـظ (الدابـة)، فـإن وضعها بأصل اللغة لكل ما يدب على الأرض من ذي حافر وغيره، ثم هجر هذا المعنى، وصار في العرف حقيقـة للفـرس، ولكل ذات حافر. المهذب في علم أصول الفقه المقارن (3/ 1148)

❸ هو كتاب فـي فقه العلوم ونظرية العلم، وأوّل من كتب فيه من أهل الـمغرب الأقصى: القـاضي عيـاض ت 544هــ فـي منظومته (سِراج طُلّاب العلوم).

وفـي كون الألف واللّام فـي (الـحمد) لاستغراق الـجنس أو للعهد؟ رأيان للشّيوخ، انظر توجيههمـا فـي الشّـرح الكبير①.

① قوله: (وفـي كون الألف واللّام لاستغراق الـجنس أو للعهد) الخ، أمّا كونها لاستغراق الـجنس أي كلّ حمد قـديم أو حادث لله، أي فالـمحمود به الله، فمنعه الزمـخشريّ❶ حسب ما دلّ عليه كلامه فـي مواضع من الكشّاف، واختار كونها للإشارة إلـى الـحقيقة من حيث عهديّتُها فـي الـذّهن مع قطع النّظر عـن أفرادهـا، كتعريـف العـراك فـي (أرسـلها العراك)❷، والرّجل والـمرأة فـي قولنا: (الرّجل خير من الـمرأة)، فإنّه إشارة إلـى ما يعرفه كلّ واحد من أنّ العـراك مـا هو من بين أجناس الأفعال، وأنّ الرّجل والـمرأة ما هما من بين أجناس الأجسام❸، ونقل عنه فـي توجيه ذلك أنّ اللّام لا تفيد سوى التّعريف، والاسم لا يدلّ إلّا علـى مسمّـاه، فلا يكون ثَمَّ استغراق، يعنـي أنّ الـمقصود فـي الـمقام -وهـو رجوع الـحمد بأسره لله- حاصل مع بقاء اللّام علـى معناها الوضعيّ، أعني التّعريف، وهو عهديّةُ مدخولـها فـي ذهـن الـمخاطب وبقاءُ مدخولـها علـى معناها الوضعيّ، وهي نفس الـمـاهيّة، إذ هو من الـمصادر الـموضوعة للجـنس مـن حيث هو، ولام الـجر للاختصاص، فصار معنى (الحمد لله): حقيقة الـحمد الـمعروفة لكلّ أحد مـختصّة بالله، وهذا هو الـمقصود، فلا حاجة إلـى اعتبار الاستغراق الذي يـحتاج فـي استفادته إلـى الاسـتعانة بـالقرائن الـخارجيّة واعتبارهـا بأنّه ليس معنى وضعيًّا للام التّعريف. قاله السّيّد فـي حواشي الـمطوّل❹...............................=

❶ الزَّمَخْشَرِي (467 – 538 هـ = 1075 – 1144 م) مـحمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمـخشريّ، جـار الله، أبو القاسم، من أئمّة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد فـي زمـخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلــى مكـة فجاور بها زمنا فلقّب بـ(جار الله). وتنقّل فـي البلدان، ثمّ عاد إلى الـجرجانية (من قـرى خـوارزم) فتوفّـي فيهـا. أشـهر كتبه: الكشاف في تفسير القرآن، أساس البلاغة.

❷ هذه قطعة من بيت للبيد بن ربيعة العامريّ يصف حمارًا وحشيًّا أورد أُتُنَه الـمـاء لتشرب، وهو بتمـامه:

فأَرْسَلها العِرَاكَ ولـم يَذُدْها * ولـم يُشفِق علـى نَغَص الدِّخال

العراك: ازدحام الإبل أو غيرها حين ورود الـماء، يذدها: يطردها، يشفق: يرحم، نغص: مصـدر نغـص الرجـل –بكسـر الغين– إذا لـم يتمّ مراده، ونغص البعير إذا لـم يتم شربه، الدخال: أن يـداخل بعـيره الـذي شرب مـرة مـع الإبـل التـي لم تشرب حتى يشرب معها ثانية، وذلك إذا كان البعير كريمـا، أو شديد العطش، أو ضعيفا. أرسلها معتركة، يعني مزدحمة.

❸ تفسير الزمخشري (1/ 10): والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم.

❹ فتح القدير للشوكاني (1/ 23): وتعريفه: لاستغراق أفراد الحمد وأنّها مختصّة بالرّبّ سبحانه على معنى أنّ حمد غيره لا اعتداد به؛ لأنّ المنعم هو الله عزّ وجلّ، أو على أنّ حمده هو الفرد الكامل فيكون الحصر ادّعائيًّا. ورجّح صاحب الكشاف أن التّعريف هنا هو تعريف الجنس لا الاستغراق، والصواب ما ذكرناه. وقد جاء في الحديث «اللّهمّ لك الحمد كلّه».

....

= وأمّا كونها للعهد -والـمعهود حمد الله لنفسه فـي أزله لـمّـا علم عجز خلقه عن حمده بمـا هو أهله- فهو الذي ارتضـاه الشيخ أبو العبّاس الـمرسيّ. قال: فإذا قال العبد: (الـحمد لله)، فكأنّه يقول: أحمده بذلك الـحمد الذي حمد به نفسه فـي أزله وإن كنتُ لا أعلمه علـى التّفصيل، كقوله عليه السّلام: «لا أحصـي ثناء عليك، أنت كمـا أثنيت علـى نفسك» ❶، ولـمّـا قرّره لابن النحاس النحويّ قال: أشهد بالله إنّها لعهديّة.

ثمّ الـخبر يقدّر من مادّة الاختصـاص والاسـتحقاق والـملك ❷ إن جُعِلَـتْ (أل) للجـنس أو للاسـتغراق، ومـن مـادّة الاختصاص والاستحقاق فقط إن جُعلت للعهد، ولا يصحّ أن يُقدّر مـن مـادّة الـملك؛ لأنّ حمـد الله قـديم، والقـديم لا يُملَك. فإن جُعل الـمعهود حمدَ من يُعتدّ بحمده، وهو حمـد الله وأنبيائـه وأوليائـه، صـحّ تقـديره مـن مـادّة الـملك؛ لأنّ الـمعهود حيئذ هو الـهيئة الـمجتمعة من حمد الله وحمد غيره، وهي مركّبة من قديم وحـادث، والـمركّب منهما حـادث، والـحادث يصحّ تعلّق الـملك به.

---

❶ رواه مسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، والـموطأ فـي القرآن، باب ما جاء فـي الـدعاء، وأبـو داود فـي الصلاة، باب فـي الدعاء فـي الركوع والسجود، والترمذي فـي الدعوات، والنسائيّ فـي الافتتاح، باب نوع آخر مـن الدّعاء فـي السجود.

❷ حظي حرف الـجرّ (اللام) بعناية بعض النحويّين فألّفوا فيه كتبًا منفردة، ومنه كتاب (اللامات) للزجّاجي، وله معـان متعدّدة ، وأشهرها ما يأتي: الأوّل: الاستحقاق، وهي الواقعة بين معنىً وذات، نحو (الـحمد لله) و(العـزة لله)، والـملك لله، والأمر لله، والثّاني: الاختصاص، نحو قولنا: الـجنة للمؤمنين، وهذا الـحصير للمسجد، والثالث: الـملك، نحو قوله تعالى: {لهُ ما في السمواتِ وما في الأرضِ}. والرابع: التمليك، نحو وهبت لزيد دينارًا. والـخامس: شبه التمليـك، نحـو قوله تعالى: {جعلَ لكم من أنفسـكم أزواجـا}. والسـادس: التعليـل، ومنـه قولـه تعـالى: {إنّمـا نطعمكـم لوجـه الله}، وكقولك: جئت للاستفادة. والسابع: موافقة (إلـى)، نحو قوله تعالى: {بأنّ ربَّكَ أوحى لها}، أي : إليها. والثامن: موافقـة (علـى) فـي الاستعلاء الحقيقي والاستعلاء المجازي، فمن الحقيقي قوله تعالى: {ويخِرّونَ للأذقان}، ومـن المجـازي قولـه تعالى: {وإنْ أسأتمْ فلها}. والتاسع: موافقة لـ(في) نحو قوله تعالى: {ونضعُ الموازينَ القسـطَ ليـومِ القيامـةِ}. والعـاشر: أن تكون بمعنى (عند)، كقولهم: كتبتُه لـخمسٍ خلونَ، والحادي عشر: موافقة (بعد)، نحو قوله تعالى: {أقمِ الصـلاةَ لـدُلوكِ الشمسِ}. والثاني عشر: موافقة لـ (من) نحو سمعت له صُراخاً. والثالث عشر: التبليغ، وهي الـجارة لاسم السامع لقولٍ أو ما في معناه، نحو قلت له، وأذنتُ له، وفسَّرتُ له. والرابع عشر: الصيرورة، وتسمى لام العاقبة ولام الـمآل، نحو قولـه تعالى: {فالتقطهُ آلُ فرعونَ ليكون لهم عدوّاً وحزَناً}. والـخامس عشر: التعجب الـمجرد عن القسم، وتسـتعمل في النـداء كقولهم: يا لَلمـاء ويا للعُشب إذا تعجبوا من كثرتها.

وبدأ بجملة الـحمد اقتداء بالكتاب العزيز وعملًا بمقتضى قوله صلّى الله عليه وسلّم: «كـلّ أمـر ذي بـال لا يبـدأ فيـه بالـحمد لله فهو أجذم»، وفـي رواية: «أقطع»، وفـي رواية: «والصّلاة علـيّ فهو أقطع أبتر مـمحوق من كلّ بركة».

وقد جمع النّاظم بين الـحديثين فـي الابتداء بالبسملة والـحمدلة بحمل الابتداء بالبسـملة علـى الابتـداء الـحقيقيّ، وهو ذكر الشّيء أوّلًا علـى الإطلاق، وحمل الابتداء بالـحمدلة علـى الابتداء الإضافـي، وهو ذكـره أوّلًا بالإضـافة إلـى شيء دون شيء آخر، وهو صادق بذكر الـحمد قبل الـمقصود بالذّات①.

وأمّا تقديم (يَقُولُ عَبْدُ الْوَاحِدِ بنُ عَاشِرِ) عليهمـا فلا مـحذور فيه، إذ الـمأمور بـه ابتـداء التّـأليف بالثّنـاء علـى الله -تعالـى-، وذلك حاصل، لا تقديم الثّناء علـى القول الـمحكيّ به التّأليف كمـا فعل النّاظم.

---

① قوله: (وقد جمع النّاظم) الخ، هذا جواب عمّـا يقال: إنّ الابتداء بأحدهما يفوّت الابتداء بالآخر، إذ الابتـداء بالشّـيء جعله أوّل ما يُذكر، وذلك ينفي جعل غيره كذلك. وشبهة هذا التّعارض مبنيّة علـى خمسة أمور ذكرها الشّـيخ يـس فـي حواشي التّصريح: أحدها: أن يراد بالبدء فيهمـا البدء الـحقيقيّ. ثانيها: أن لا يكون البدء مـمتدًّا عرفًا. ثالثهـا: أن تكـون الباء في (بسم الله) و(الـحمد لله) الواقعتين فـي الـحديث صلة لـ(يبـدأ) لا للاسـتعانة ولا للملابسـة. رابعهـا: أن يكـون الـمراد بالبدء البدء اللّغويّ. خامسها: أن يكون الـمراد بالبسملة والـحمدلة الواردين فـي الـحديث خصوص لفظهمـا، لا جهة عمومهمـا، أي كونهمـا ذِكْرًا ما. فاقتصر م فـي دفع التّعارض علـى منع الأوّل فقط، بحمل الابتداء فـي البسـملة علـى الـحقيقيّ وفـي الـحمدلة علـى الإضافـيّ.

ووجه تـخصيص البسملة بالـحقيقيّ: أنّ حديثها أقوى، ولورودها فـي كتاب الله علـى هذا الـمنوال، فهـو مبـيّن لكيفيـة العمل بالـحديثين، وهذا يفيد أنّ ذهاب الأجذميّة يتوقّف علـى الـجمع بينهمـا علـى هذا الوجه، فلا يكفي أحـدهما، ولا غيرهما، ولا هما علـى غير هذا الوجه. وزاد فـي ك: منـع الأخـير منهـا يـجعل الـمراد مـن البسـملة والـحمدلة جهـة عمومهمـا، أي كونهمـا ذكرًا، لا خصوص لفظهمـا، ويدلّ له حديث: «كلّ أمر ذي بال لا يفتح فيه بذكر الله فهـو أبـتر، أو قال: أقطع» هكذا رواه الإمام أحمد فـي مسنده، فالابتداء بهمـا معًا مـحمول علـى الكمـال.

تنبيه: الابتداء موصوف بالـحقيقيّ والإضافـيّ علـى معنى القصر الـحقيقيّ والإضافـيّ، فلا يرد ما قيل: إنّ كون الابتداء بالتسمية حقيقيًّا مـخالف للواقع، إذ الابتداء الـحقيقيّ إنّمـا يكون بأوّل أجزاء البسملة. ووجـه دفعـه: أنّ الابتـداء بهمـا بالـمعنى الـمذكور لا ينافـي أن يكون بعض أجزائها موصوفًا بالتقديم علـى بعض، كمـا أنّ اتّصاف القرآن بكونـه فـي أعلـى مراتب البلاغة بالنّسبة لـمـا سواه لا ينافـي أن يكون بعضُ سوره أبلغَ من بعـض، أشـار لـه عبـد الـحكيم علـى الـخيّالـي❶ اهـ.

---

❶ شمس الدين أحمد بن موسى الرومي الخيالي الحنفي (ت 870هـ) عـالم وفقيـه أصولـيّ حنفـيّ، مـن تصـانيفه: شرح جواهر العقائد، حاشية على شرح تجريد العقائد العضدية للشريف، وكتاب شرح العقائد النسفية.

وقوله: (مَا بِهِ كَلَّفَنَا) (ما) مفعول ثان لـ(علّم)①، والذي كلّفنا به من العلوم②.............................=

①قوله: (الذي علّمنا) صفة لاسم الـجلالة، وجعله فـي ك بدلًا، وفيه سوء أدب، إذ الـمبدل منه فـي حكم الطّرح غالبًا، إلّا أن يـجعل هذا من غير الغالب❶.

② قوله: (من العلوم) أي الـمعلومات، أي الـمسائل التي من شأنها أن تُعلم، وهذا بيان لـ(ما) من قوله: (ما بـه كلّفنـا)، فيتعلّق بمحذوف حال من (ما).

ولا بدّ من تقدير مضاف قبل هاء (به)، والتقدير: الـحمد لله الذي علّمنا ما كلفنا بتعلّمه فـي حال كونه مـن جملـة مـا مـن شأنه أن يُعلم.

وإنّمـا جعلنا العلوم بمعنى الـمعلومات مع أنّها فـي الأصل بمعنى الإدراكـات لأنّها جمع (علـم) وهـو مصـدر بمعنـى الإدراك، ويطلق علـى معان أخر؛ لأنّ النّاظم جعـل العلـوم بيانًـا لــ(مـا)، والبيـان نفس الــمبيّن، و(مـا) واقعـة علــى الـمعلومات قطعًا؛ لأنّها مفعول ثانٍ لقوله: (علّمنا)، والتّعليم لا يقع إلّا علـى الأشياء الــمعلومة، لا علــى الإدراكـات، ولـمّـا كانت (ما) واقعة علـى الـمعلومات كان الضّمير الرّاجع إليها وهو الـمجرور فـي (به) بمعنى الـمعلومات أيضًا، وهي لا يصحّ أن تكون مكلّفًا بها من حيـث ذاتهـا، إذ لا تكليـف إلّا بفعـل، فوجـب تقـدير مضـاف يصـحّ أن يتعلّـق بـه التّكليف، فلذلك كان التقدير: ما كلّفنا بتعلّمه، إذ التعلّم هو فعل الـمكلّف، فبه يتعلّق التّكليف.

وإنّمـا جعلنا الـمعلومات الـمفسّر بها (ما) بمعنى: ما من شأنه أن يُعلم لأنّها إذا كانت معلومة بالفعل لـم يصـحّ تسـليط فعل التعليم عليها، وإلّا كان حاصله: علّمنا ما هو معلوم لنا بالفعل، وذلك من تـحصيل الـحاصل الـمحال❷.....=

❶ البدل لغة: العوض، واصطلاحًا: هو (التابع الـمقصود بالـحكم) الـمنسوب إلـى متبوعه نفيًا أو إثباتًا بلا واسطة. فالـمقصود بالـحكم هو البدل، وأمّا الـمبدل منه فهو يُذكر توطئة وتمهيدًا، ومن هنا يقولـون: (الــمبدل منـه فــي حكـم الطرح من جهة الـمعنى غالبًا)، دون اللّفظ، بدليل جواز: (ضربت زيدًا يده)، إذ لو لم يُعتدّ بزيد أصلا لـمـا كـان للضـمير ما يعود عليه. والـمقصود بـ(الطرح من جهة الـمعنى): أنّك طرحت زيدا؛ لأنّك لا تعنيه بالضــرب، وإنّمــا تعنـي يـده فقط، فلم يبق احتياجك إليه إلا من جهة اللفظ (زيدًا)، وذلك لكي تعيد الضمير فـي (يده) عليه. والبدل هنـا فــي حكـم بيان الـمحمود عليه، أي ما الذي حَـمَدْنَا عليه الله؟ فالله يُـحمد علـى أمور كثيرة، وهنا حَمِدَ اللهَ الذي علّمنا...

❷ تـحصيل الـحاصل: تكرار الشّيء الواحد بألفاظ مـختلفة، وقد لا يـخلو من مغالطة منطقية أحيانًـا. فهـو يشـبه قـول القائل: (كأنّنا والـمـاءُ مِن حَولِنا * قومٌ جلوسٌ حَولـهم ماءُ). ومثاله: سـخرية مـوليير مـن تفسـير الأطبّـاء فــي زمنـه لظاهرة نوم الناس علـى إثر تعاطي الأفيون بأنّ الأفيون يـجعل الناس تنام. (لاحظ أن هذه العبارة ليست كاذبة بحدّ ذاتها، الـخطب أنّها لا تفسِّر شيئاً). وموليير: كاتب مسرحي فرنسي، اسمه: جون باتيست بوكلان ويلقب بموليير، توفـي سـنة 1622م.

= هو العلم الواجب على الأعيان①، أي على كلّ مكلّف، وهو علم الـمكلّف ما لا يتأتّى له تأدية ما وجب عليه إلّا به، وذلك مثل كيفيّة الوضوء، والغسل، والصّلاة، والصّيام، والزّكاة إن كان له مال، والـحجّ إن كان مستطيعًا، وكذا ما يتعلّق بالـمعتقدات في حقّه تعالى وفي حقّ رسله عليهم الصّلاة والسّلام.

= وقدّم الـجارّ والـمجرور على العامل في قوله: (به كلّفنا) للوزن❶، قاله شيخ شيوخنا أبو الـجمال سيدي الطيّب في شرحه.

① قوله: (هو العلم الواجب على الأعيان) حمل عليه ظم «طلب العلم فريضة على كلّ مسلم». قال النّوويّ❷: هذا وإن لم يثبت حديثا فمعناه صحيح❸اهـ نقله في ك. والـحقّ أنّه حديث صحيح قويّ، أخرجه جماعة من الـحفّاظ عن أنس وابن عبّاس وابن عمر وابن مسعود وعليّ وأبي سعيد الخدريّ والحسين بن عليّ وغيرهم، كما في الجامع الصغير.

ومن جملة العلوم الواجبة علينا: علم أمراض القلوب وعلاجها، بناء على قول الغزاليّ: إنّ معرفة حدودها وأسبابها وعلاجها فرض عين، نقله في ك❹، وسيأتي له ذلك عند قول النّاظم في التصوّف: (يُطَهِّرُ الْقَلْبَ مِنَ الرِّيَاءِ).

---

❶ وزن بحر الرجز التام: (مستفعلن مستفعلن مستفعلن * مستفعلن مستفعلن مستفعلن)

اَلْـحَمْدُ لله الّذِي عَلَّمَنا * مِنَ العُلومِ ما بِهِ كَلَّفَنا

اَلْـحَمْدُ لِلْـ | لاه لْلَذي | عَلَّمَنا * مِنَ العُلو | مِ ما بِهِ | كَلَّفَنا

/0/0//0 /0/0//0 /0///0 * //0//0 //0/0/ /0///0

مستفعلن مستفعلن مستعلن * متفعلن متفعلن مستعلن

ويجوز في الـحشو والعروض والضرب في بحر الرجز: الـخبن (مستفعلن): (مُتَفْعِلُنْ)، والطّيّ (مستفعلن): (مُسْتَعِلُنْ). فلو قدمنا الـجارّ والـمجرور لاختلف الوزن: (مِ ما كَلْـ + ـلَفَنا بـه)(//0/0 + ///0//0) متفعل (لا يوجد) + ؟

❷ النَّوَوِي (631 – 676 هـ = 1233 – 1277 م) علامة بالفقه والـحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) وإليها نسبته. تعلم في دمشق، وأقام بها زمنا طويلا. من كتبه: الأربعون حديثا النووية، رياض الصالـحين من كلام سيد الـمرسلين، تهذيب الأسماء واللّغات.

❸ المجموع شرح المهذب (1/ 24)؛ فتاوى النووي (ص: 249)؛ إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق صلى الله عليه وسلم (2/ 539). وقال تلميذه الحافظ جمال الدين المزي: إن له طرقًا يرتقي بها إلى درجة الحسن. وقد تتبعتها فوقع لي منها نحو خمسين طريقًا. ثم أورد طرق هذا الحديث. فانظرها في رسالة السيوطي إن شئت. فتاوى النووي (ص: 250)

❹ الدر الثمين والمورد المعين (ص: 13).

وهل يكفي في ذلك التّقليد -وهو اتّباع قول الغير من غير دليل- أو لا يكفي في ذلك إلّا العلم -وهو الجزم المطابق عن دليل-؟ في ذلك خلاف يأتي إن شاء الله -تعالى-.

وكذا حكم البيع، والقراض، والشّركة، والإجارة، ونحوها، لمن يتعاطى ذلك، فيجب على المكلّف تعلّم حكم ما يريد أن يفعله؛ للإجماع على أنّه لا يجوز لأحد أن يُقدِم على أمر حتّى يعلم حكم الله فيه①، لكن يكفي في غير العبادات تعلّم الحكم يوجه إجمالي يبرّئه من الجهل بأصل حكمه على قدر وسعه.

ويحتمل أن يريد بالّذي كلّفنا به من العلوم: العلم الواجب على الأعيان وعلى الكفاية معًا②..............=

---

① قوله: (للإجماع على أنّه لا يجوز) فيه إشارة للرّدّ على من يعتقد أنّه حديث، وأصله قوله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} [الإسراء: 36]

② قوله: (على الكفاية) العلوم الواجبة تعلّمها كفاية إمّا مقاصد، وهي حفظ القرآن، والتفسير، والحديث، والفقه من غير العبادات، والكلام، والتصوّف على رأي❶، وإمّا وسائل، فمنها ما يتعلّق بالقرآن، وهو علم القراءة، والرسم، والضبط، ومنها ما يتعلّق بالحديث، وهو علم أقسامه ومراتبه، وعلم أحوال الرواة وطبقاتهم وأعمارهم وعدالتهم وجرحتهم، وعلم السِّيَر والمغازي والشّمائل، ومنها ما يرجع إلى الاستنباط، وهو علم أصول الفقه، ومنها ما يتعلّق بهما❷ وبغيرهما من كلام العرب، وهو اللّغة، والصرف، والنّحو، والمعاني، والبيان، ومنها ما فيه منفعة عامّة، وهو الحساب، والتوقيت، والمنطق على رأي❸..=

---

❶ الدر الثمين والمورد المعين (ص: 13): وكذا علم أمراض القلوب كالكبر والحسد والحقد ونحوها فقد قال الإمام أبو حامد الغزالي: إن معرفة حدودها وأسبابها وعلاجها فرض عين. وقال غيره: إن رزق الإنسان قلباً سليماً من هذه الأمراض المحرّمة كفاه، ولا يلزمه تعلم دوائها، وماعدا ما ذكر فهو فرض كفاية يحمله من قام به.

❷ أي بالفقه والأصول.

❸ المنطق على أحد التعريفين: (آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن من الخطأ في الفكر). وفي حكم تعلمه قال الأخضريّ في السلّم المنورق: (وَالخُلفُ فِي جَوَازِ الِاشتِغَالِ * بِهِ عَلَى ثَلَاثَةٍ أَقوَالِ)(فَابنُ الصَّلَاحِ وَالنَّوَاوِي حَرَّمَا * وَقَالَ قَومٌ يَنبَغِي أَن يُعلَمَا)(وَالقَولَةُ المَشهُورَةُ الصَّحِيحَه * جَوَازُهُ لِكَامِلِ القَرِيحَه)(مُمَارِسِ السُّنَّةِ وَالكِتَابِ * لِيَهتَدِي بِهِ إِلَى الصَّوَابِ). قال الشيخ أحمد الدمنهوري: واعلم أنّ هذا الخلاف إنّما هو بالنسبة للمنطق المشوب بكلام الفلاسفة.. وأمّا الخالص.. فلا خلاف في جواز الاشتغال به، بل لا يبعد أن يكون الاشتغال به فرض كفاية؛ لتوقّف معرفة الشُّبَه عليه، ومن المعلوم أنّ القيام به فرض كفاية والله أعلم . اهـ. قال الإمام ابن بونه الشنقيطي: (فإن تقل: حرّمه النواوي * وابن الصلاح والسيوطي الراوي)(قلت: نرى الأقوال ذي المخالفة * محلّها ما صنّف الفلاسفة)(أما الذي خلّصه من أسلما * لابدّ أن يُعلم عند العلما).

= فإنّ علم الكفاية يُـخاطَب به -أيضًا- كلّ أحد، علـى خلاف فـي ذلك، إلّا أنّه يسقط بقيام البعض به، إذ النّاظم -رحمه الله- عالـم بالعلمين معًا. وقوله: (صلّـى وسلّم) البيت، فاعل (صلّـى وسلّم) ضمير يعود علـى الله -تعالـى-، ولفظه وإن كان خبرًا فالـمراد به الطّلب①، أي: أسأل الله أن يصلّـي، أي يرحم②.

= ومن العلوم ما معرفته مستحسنة فقط، قال القِلْشانـيّ: وهو معرفة الكتابة، والطبّ، وما يـحتاج إليه من النجـوم، وقـال قبل هذا: من النّوافل: عويص الفرائض، والتدقيق فـي العربيّة وفـي التصريف، ومعرفة شواذّ اللّغة، ومن الـمستحسن -أيضا-: العروض، والقوافـي علـى رأي، والبديع، ومن العلوم ما معرفته مباحة، وهـو مـا لا ضرر فيـه، كعلـم الأنساب الزّائد علـى ما توصَل به الرّحم❶، وقد استوفينا جُلّ هذه العلوم فـي كتابنا: (الأزهار الطيّبة النشـر) وتعرّضـنا لـحكم الشارع فيها إجمالًا وتفصيلًا. انظره.

① قوله: (ولفظه وإن كان خبرًا فالـمراد به الطلب) أي لأنّ الـمقصود بها إنشـاء الـدعاء بـأنّ الله يعظّـم سـيّدنا مـحمّدًا ويشرّفه ويـحيّيه بتحيّة لائقة به، وإنّـمـا أفرغ الطلب فـي قالب الـخبر مبالغة فيه؛ لأنّ الطالب إذا عظمت رغبته فـي شيء كثر تصوّره إيّاه، فربّـمـا يـخيّل إليه حاصلا فيورده بصيغة الـخبر عن أمر مضى، أو تفاؤلًا بأن يكون الـمطلوب من الأمور الـحاصلة الـمـاضية التي يـخبر عنها بصيغة الـمـاضي، ولا يـجوز أن تكون خبريّةً لفظا ومعنـى؛ لأنّ الـمخبر بـأنّ الله صلّى عليه أي أنعم عليه لـم يكن مصلّيًا أي داعيًا بأن الله يعظّمه.

② قوله: (أن يصلّـي، أي يرحم) فسّر الصلاة من الله بالرّحمة، وهـي رقّـة وحُنُـوٌّ وانعطـاف، والـمراد: غايتُهـا مـن إرادة الإنعام، أو نفس الإنعام، وأمّا الصلاة من الـملائكة فهي استغفار، أي دعاء به، بدليل: {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} [غـافر: 7] بل وبغيره، بدليل حديث البخاريّ عن أبـي هريرة: «إنّ الـملائكة تصلّـي علـى أحـدكم مـا دام فـي مصـلّاه الـذي صلّـى فيه ما لـم يُـحْدِث، تقول: اللّهمّ اغفر له، اللّهمّ ارحمه»❷، وأمّا من الآدميّ فدعاء، وكذا من الـجنّ، كمـا أفـاده الـمُناويّ فـي شرحه ألفيّة السِّيَر، هذا الذي شاع علـى الألسنة..=

---

❶ علم الأنساب: هو علم يتعرّف منه أنساب الناس وقواعده الكلّيّة والـجزئيّة، والغرض منه: الاحتراز عن الـخطأ فـي نسب شخص ما، وهو علمٌ مهمّ لدى العرب والـمسلمين.

❷ رواه البخاريّ في الجماعة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، وفي المساجد، باب الحدث في المساجد، وفي بدء الخلق، باب في ذكر الملائكة، ومسلم في المساجد، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة، والـموطأ في قصر الصلاة في السفر، باب انتظار الصلاة والمشي إليها. وأبو داود في الصلاة، باب فضل القعود في المسجد، والترمذي في الصلاة، باب ما جاء في القعود في المسجد وانتظار الصلاة في الفضل، والنسائي في المساجد، باب الترغيب في الجلوس في المسجد وانتظار الصلاة.

....

= وذهب جماعة إلى أنّ معنى الصلاة واحد، وهو العطف، ثمّ هو من الله رحمة، ومن الـملائكة استغفار، ومن الآدميّين دعاء، واختاره في الـمغني، وردّ الأوّل بأمور تُعُقِّبت كلّها عليه❶، فعلى الثّاني❷: لفظ الصّلاة من قبيل الـمتواطئ❸ أو الـمشكّك❹؛ لاتّحاد معناها مع كلّ مسند إليه، وعلى الأوّل من قبيل الـمشترك❺.............=

❶ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص: 791-792): قلت: الصَّوَاب عِنْدِي أَنّ الصَّلَاة لُغَة بِمَعْنى وَاحِد وَهُوَ الْعَطف ثمَّ الْعَطف بِالنِّسْبَةِ إِلَى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الرَّحْمَة وَإِلَى الْـمَلَائِكَة الاسْتِغْفَار وَإِلَى الْآدَمِيّين دُعَاء بَعضهم لبَعض وَأما قَول الْجَمَاعَة فبعيد من جِهَات إِحْدَاهَا اقتضاؤه الِاشْتِرَاك وَالْأَصْل عَدمه لما فِيهِ من الإلباس حَتَّى إِن قوما نفوه ثمَّ المثبتون لَهُ يَقُولُونَ مَتى عَارضه غَيره مِمَّا يُخَالف الأَصْل كالمجاز قدم عَلَيْهِ وَالثَّانية أَنا لَا نَعْرِف فِي الْعَرَبيَّة فعلا وَاحِدًا يخْتَلف مَعْنَاهُ باخْتلَاف الْمسند إِلَيْهِ إِذا كَانَ الْإِسْنَاد حَقِيقِيًّا وَالثَّالِثَة أَن الرَّحْمَة فعلهَا مُتَعَدٍّ وَالصَّلَاة فعلهَا قَاصِر وَلَا يحسن تَفْسِير الْقَاصِر بالمتعدي وَالرَّابِعَة أَنه لَو قيل مَكَان صلى عَلَيْهِ دَعَا عَلَيْهِ انعكس الْمَعْنى وَحقّ المترادفين صِحَة حُلُول كل مِنْهُمَا مَحل الآخر.

وممن قرر أن أصل الصلاة في اللغة يعودُ إلى معنًى واحد، وهو الحنوّ والعطف: الزمخشريُّ في الكشاف: 3 / 546 في تفسير الآية 44 من سورة الأحزاب، والسُّهيليّ في نتائج الفكر (ص47)، والروض الأنف: 3 / 6، وابن القيم في بدائع الفوائد: 1/ 45.

❷ أي أنّ الصلاة هي العطف.

❸ قال الجرجاني في التعريفات (ص199): (المتواطئ: هو الكلّيّ الذي يكون حصول معناه وصدقه على أفراده الذهنية والخارجية على السوية كالإنسان والشمس؛ فإن الإنسان له أفراد في الخارج، وصدقه عليها بالسوية، والشمس لها أفراد في الذهن وصدقه عليها – أيضاً – بالسوية). فالمتواطئ لفظ له معنى واحد، لكنه يصدق على كثيرين، مثل: الإنسان ، فإنّه يصدق على: زيد، وعلي، وعمر، وعائشة، ومثل: اللون، فإنّه يصدق على: الأبيض، و الأسود، و الأحمر.

❹ قال الجرجاني – رحمه الله – في التعريفات (ص216): (هو الكلّيّ الذي لم يتساوَ صدقه على جميع أفراده، بل كان حصوله في بعضها أولى، أو أقدم، أو أشدّ من البعض الآخر كالوجود؛ فإنه في الواجب أولى وأقدم وأشد في الممكن). فهو لفظ كلّيّ، لكن لم يتساو في جميع أفراده، فالنور مشترك بين: المشكاة، و الشمس، و إن كان في الشمس أقوى منه في المشكاة.

❺ قال السيوطي في المزهر (1/ 369): (وقد حدّه أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة). فالمشترك يدل على معنيين مختلفين أو أكثر دلالة على السَّواءِ، من حيث هما كذلك. مثل: القرء فإنه يدل على الطهر، و الحيض، ومثل: العين، فإنها تدل على العين الباصرة، و عين الماء، والجاسوس.

ويسلّم، أي يؤمّن نبيّه مـحمّدًا -صلّـى الله عليه وسلّـم-①. و(مـحمّد) منقول من اسم مفعول (حُـمِّد)②........

= وقال القشيريّ❶: صلاة الله علـى النّبيّ -صلّـى الله عليه وسلّم- تشريف وزيادة تكرمة، وعلـى من دونه رحـمـة، وبهـذا يظهر الفرق بين النّبيّ -صلّـى الله عليه وسلّم- وبين سائر الـمؤمنين، حيث قـال تعالــى فــي ســورة الأحـزاب: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ} [الأحزاب: 56]، وقال فـي تلك السّـورة: {هُـوَ الَّـذِي يُصَـلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ} [الأحزاب: 43]، ومعلوم أنّ القدر الذي يليق بالنّبيّ -صلّـى الله عليه وسلّم- من ذلك أفضـل مـمّـا يليق بغيره❷.

① قوله: (ويسلّم، أي يؤمّن) هذا معناه لغة، وسلام الله علـى نبيّه قال فـي شرح الصغرى❸: هو زيادة تـأمين لـه وطيـب تـحيّة وإعظام، أي تأمين مـمّـا يـخافه علـى أمّته أو علـى نفسه زائد علـى ما عنده من الأمان، إذ الـمرء كلّـمـا اشتدّ قربـه من الله -تعالـى- اشتدّ خوفه منه، فقد قال عليه السّلام: «إنّـي لأخوفكم من الله»❹.

② قوله: (حُـمِّد) أي بصيغة الـمبنيّ للمجهول.

---

❶ أبو بكر.

❷ واعلم أنّ من أشهر الأقوال فـي معنى الصّلاة: الدعاء، وهو قولُ جماهير العلمـاء من أهل اللغة والفقه وغيرهم؛ كمـا قرّره النوويّ -رحمه الله- وغيرُه. ينظر: تهذيب الأسماء واللغات: 3 / 179.

وردَّ هذا القولَ جماعةٌ من الـمحقّقين، منهم: ابنُ القيم -رحمه الله- مستفيدًا من كلام السُّهيلـيّ -رحـمـه الله- فـي (نتـائج الفكر) حيث يقول فـي (بدائع الفوائد 1 / 45): (وقولـهم: الصّلاة من العباد بمعنى الدعاء مُشْكِلٌ من وجوه:

أحدها: أنّ الدعاء يكون بالـخير والشّر، والصلاة لا تكون إلا فـي الـخير.

الثانـي: أنّ (دعوتُ) تُعدَّى باللام، و(صلّيتُ) لا تُعدَّى إلّا بـ(علـى)، و(الدعاء) الـمعدَّى بـ(علـى) ليس بمعنى صلَّـى، وهذا يدلّ علـى أنّ الصلاة ليست بمعنى الدعاء.

الثالث: أنّ فِعْل الدعاء يقتضي مدعوًّا ومدعوًّا له، تقول: (دعوتُ اللهَ لك بخير)، وفِعْل الصلاة لا يقتضي ذلـك، لا تقـول: (صلّيتُ اللهَ عليك ولا لك)، فدلَّ علـى أنّه ليس بمعنـاه، فـأيُّ تبـاين أظهـر مـن هـذا، ولكـن التقليـد يُعْمِـي عـن إدراك الـحقائق، فإياك والإخلاد إلى أرضه). وكلام ابن القيم هنا يـخالف ما قرّره فـي (جِلاء الأفهام) (ص161).

❸ أي في شرح الهدهدي على أمّ البراهين، لمحمد بن منصور الهدهدي (ت 895هـ).

❹ ذكره الرازي في تفسيره بلفظ: «أعرفكم بالله أخوفكم من الله، وأنا أخوفكم منه» تفسير الـرازي = مفـاتيح الغيـب أو التفسير الكبير (32/ 252). والدسوقي بلفظ: «أنا أخوفكم مـن الله». حاشـية الدسـوقي عـلى الشـرح الكبـير للشـيخ الدردير (1/ 15)، وورد: «ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فو الله إني لأعلمهم بالله وأشـدهم لـه خشـية»، رواه البخاري.

= الـمضعّف① للتكثير، سمّي به نبيّنا -صلّى الله عليه وسلّم-② بإلـهام مـن الله -تعالـى-③ ....

① قوله: (الـمضعّف) أي بتكرير العين، وليس الـمراد التّضعيف التصريفيّ❶.

② قوله: (سُمِّي به نبيّنا) أي سمّـاه به جدّه، وقيل: أمّه، ويـحتمل أنّ الـخلاف لفظيّ، وأنّ لكـلٍّ مـدخلا، والتسـمية يـوم السابع، وقيل: ليلة الولادة، وجمع بأنّه أخذ فـي شأنها يوم الولادة وانحتمت يوم السابع.

③ قوله: (بإلـهام من الله) أي لتكون علـى وفق تسمية الله له قبل خلق الله الـخلق بألفَيْ عام، فالـمسمِّي له حقيقة هو الله، وبمـا علمت بأنّ الـمسمِّي حقيقة هو الله وأنّه أَلْـهَمَ جدَّه وأمّه بل وأظهره قبـلُ فـي الكتـب، ثـمّ قُـرِّر فـي الشّـرع أنّـه بتوقيف شرعيّ، فإنّ أسمـاءه صلّـى الله عليه وسلّم توقيفيّة اتّفاقًا، وأمّا أسمـاؤه تعالـى ففيهـا خـلاف، والـرّاجح أنّهـا توقيفيّة❷، والفرق بينهمـا: أنّ النّبيّ -صلّـى الله عليه وسلّم- بشـر، فربّمـا تُسُـوهل فيـه، فسـدّت الذريعـة، وأمّـا مقـام الألوهيّة فأجلّ مـحترم، فقيل فيه بعدم التوقيف، ونظير هذا: قول الـمـالكيّة: يقتل سابّ النّبيّ ولو تاب، بخـلاف سـابّ الإله اهـ❸.

---

❶ الفعل المضاعف في علم الصرف هو ما كان أحد حروفه الأصلية مكرّرًا لغير زيادة، نحو: مَدَّ، ودندن، ويسمى أيضـا: المضاعف، والمضعّف، والأصمّ، فإن كان المكرّر زائدا، فلا يكون الفعل مضاعفا، نحو: عظّم، واعشوشب.

❷ الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (1/ 46): أسماء النبي - صلى الله عليه وسـلم - فإنهـا توقيفيـة اتفاقـا لمشاحة الآدمي في حقه ومسامحة خالقه؛ ولأن تنزه الباري عن النقائص قطعي، بخلاف النبي فإنه بشر يمكن تطرق الألسنة إليه بما لا يليق. قال فـي الجوهرة: (واختير أنّ أسمـاءه توقيفيّة * كذا الصفات فـاحفظ السـمعيّة) فـلا يـجوز أن يسـمَّى سبحانه وتعالى إلّا بمـا ورد به كتاب أو سنة صحيحة أو حسنة أو انعقد عليه إجماع الأمة.

❸ قال في الرسالة: (ومن سبّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قتل ولا تقبـل توبتـه). قـال انفـراوي شـارحا: (ومـن سب) أي شتم من المسلمين المكلفين (سيدنا) ونبينا محمدا (رسول الله -صلى الله عليه وسـلم-) أو نبيـا غـيره مجمعـا عـلى نبوته أو ملكا مجمعا على ملكيته أو لعنه أو عابه أو قذفه أو استخف بحقه أو غير صفته أو ألحق به نقصا في دينـه أو بدنـه أو خصلته أو غض من مرتبته أو وفور علمه أو زهده، أو أضاف له ما لا يجوز عليه أو نسب إليه ما لا يليق به على طريق الـذم أو قيل له بحق رسول الله فلعن وقال أردت العقرب، وجواب من الشرطية (قتل) حدا لأن قتلـه لازدرائـه بحـق النبـي أو الملك، لا لأنه كافر حيث تاب بعد الاطّلاع عليه أو أنكر ما شهد به عليه ويستعجل بقتله. (ولا تقبل توبته) سواء تاب بعد الاطلاع عليه أو جاء تائبا من قبل نفسه قبل الاطّلاع عليه لأنه حد وجب، والحدود تجب إقامتها بعد ثبـوت موجبهـا ولـو تاب المستحق لها، كالزاني والشارب والقاتل والسارق سوى المحارب فإن حد الحرابة يسقط عنه بالإتيان للإمـام طائعـا أو تركه ما هو عليه، فالحاصل أن الساب شبيه بالزنديق والزنديق لا تعرف له توبة بعد الاطلاع عليـه. الفواكـه الـدواني عـلى رسالة ابن أبي زيد القيرواني (2/ 201)

تفاؤلًا بأنّه يكثر حمد الـخلق له لكثرة خصاله الـمحمودة❶ ـ ①.

① قوله: (تفاؤلًا بأنّه يكثر حمد الـخلق) الخ، أي هذا العَلَم إنّما نقل بعد ملاحظة معناه الأصليّ ووجوده في ذاته صلّى الله عليه وسلّم، وقال ابن القيّم: (هو عَلَم وصفة اجتمعا في حقّه عليه السّلام وإن كان علَمًا محضًا في حقّ من تسمّى به غيره، وهذا شأن أسماء الله وأسماء نبيّه -صلّى الله عليه وسلّم-، فهي أعلام دالّة على معانٍ هي أوصاف مدح، فلا تُضَادُّ منها العلَميّةُ الوصفَ، بخلاف غيرها)❷.

وهو أعظم أسمائه صلّى الله عليه وسلّم وأشرفها وأشهرها؛ لإنبائه عن كمال الـحمد الـمنبئ عن كمال ذاته، فهو الـمحمود مرّة بعد مرّة عند الله وعند الـملائكة وعند الـجنّ والإنس وأهل السموات وأهل الأرض، وأمّته الـحمّادون، وبيده لواء الـحمد، ويُقامُ الـمقامَ الـمحمود يوم القيامة فيحمده الأوّلون والآخرون، فهو -عليه السّلام- الـحائز لـمعاني الـحمد مطلقًا، وقد أطالوا في هذا الاسم كثيرًا وأظهروا له مباحث وخواصّ، وملخّص ذلك في (شرح عقود الفاتحة) للوالد -رحمه الله-❸.

---

❶ قال حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ: (وشقَّ له من اسمه ليُجِلّه * فذو العرش محمود وهذا مُحَمّد).

❷ جلاء الأفهام (ص: 171).

❸ هو أبو الفيض حمدون بن عبد الرحمان بن حمدون بن عبد الرحمان بن محمد العربي بن محمد بن علي بن محمد بن الحاج السلمي، من بني الحاج السلميين ذرية الصحابي العباس بن مرداس، انتقل سلفه إلى الأندلس وأقاموا بحصن بلفيق من عمل ألمرية، وأما أول من قدم من سلفه إلى المغرب واستقر بفاس فأبو عبد الله محمد ثامن آبائه وذلك عقب نزوح المسلمين عن الأندلس. ولد الشيخ حمدون بمدينة فاس في غضون سنة 1174 هـ، قرأ القرآن على أبي الحسن علي الهواري، بعد أن أتم تعليمه الأولي انتقل إلى جامع القرويين وجلس إلى عدة شيوخ، منهم: محمد بن الحسن البناني صاحب الحاشية على الزرقاني، عبد الكريم بن علي اليازغي، تولى حمدون بن الحاج حسبة فاس وقيادة العرائش ثم استعفي من المهام الإدارية ليتفرغ لتدريس النحو والمنطق والعروض والبيان والتصوف والفقه والحديث والتفسير. توفي بفاس عشية يوم الإثنين سابع ربيع الثاني من عام 1232 هـ الموافق لرابع وعشرين فبراير من عام 1817 م ودفن بمطرح الجلة خارج باب الفتوح، خلف آثارا كثيرة منها: ديوان النوافح الغالية في الأمداح السليمانية. عقود الفاتحة (منظومة ميمية من البسيط في المديح النبوي يعارض بها بردة البوصيري جعلها في حوالي أربعة آلاف بيت)، شرح عقود الفاتحة وهو شرحه على ميميته السابقة أتمه ابنه محمد من بعده جعله في خمسة أجزاء، وتريات: على نسق وتريات محمد بن ابي بكر بن رشيد البغدادي ت 663 هـ وهي قصائد في المديح النبوي على عدد الحروف الهجائية نظمها في المولد النبوي من سنة 1224 هـ، مقامات: حققت ضمن ديوانه، رحلة حجازية وقف الأستاذ محمد الفاسي على نقول منها، إمتاع الأسماع بتحرير ما التبس من حكم السماع، الثمر الـمهتصر في روض المختصر: حاشية على الشرح المختصر لسعد الدين التفتازاني.

والصّلاة والسّلام عليه -صلّى الله عليه وسلّم- واجبان وجوب الفرائض مرّة① مع القدرة على ذلك.

---

① قوله: (مرّة في العمر ❶) هذا مذهب جمهور المالكيّة، وعليه: فمن لم يصلّ عليه مات عاصيًا إن لم يمنعه كِبْر أو نحوه، وإلّا فكافر. قال ابن العربيّ: ولا تجوز بلفظ غير مرويّ عنه عليه الصّلاة والسلام❷.......................=

---

❶ لاحظ أن الشيخ ميارة لم يذكر كلمة (في العمر).

❷ قال ابن العربي في عارضة الأحوذي بشرح سنن الترمذي: 2/ 271 - 272 :حذار ثمّ حذار من أنّ يلتفتَ أحدٌ إلى ما ذَكَرَهُ ابن أبي زيد، فيزيد في الصّلاة على النَّبيِّ -عليه السّلام-: (وارحم محمّدًا) فإنّها قريب من بدعة؛ لأنّ النَّبيَّ عليه السّلام علّم الصَّلاة بالوحي، فالزيادة فيها استقصار له واستدراك عليه، ولا يجوز أنّ يزاد على النَّبيّ -عليه السّلام- حرف، بل إنّه يجوز أنّ يترحّم على النَّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في كلّ وقت. اهـ واعلم أنّ الترحّم على النَّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وعلى آله قد ورد في التشهد في الصلاة، وهو عبارة: (السلام عليك أيها النَّبيّ ورحمة الله وبركاته). وأمّا الترحّم على النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- خارج التشهّد، فقد ذهب الحنفيّة، وبعض المالكيّة، وبعض الشافعيّة إلى استحباب زيادة: (وارحم محمّدًا وآل محمّد) في الصلاة على النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في الصلاة. وعبارة الرسالة لابن أبي زيد القيرواني: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وارحم محمدا وآل محمد، كما صليت ورحمت وباركت على إبراهيم. واستدلوا بحديث أبي هريرة: قال: قلنا: يا رسول الله: قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد، كما جعلتها على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. أخرجه بهذا اللفظ المعمري في عمل اليوم والليلة كما في الفتوحات الربانية، لابن علان (3 / 330) وضعفه ابن حجر. قال الحافظ ابن حجر: فهذه الأحاديث -وإن كانت ضعيفة الأسانيد- إلا أنها يشد بعضها بعضا، أقواها أوّلها، ويدل مجموعها على أن للزيادة أصلا. وأيضا الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال. وما عليه جمهور الفقهاء الاقتصار على صيغة الصلاة دون إضافة (الترحم) كما ورد في الروايات المشهورة في الصحيحين وغيرهما. بل ذهب بعض الحنفية وأبو بكر بن العربي المالكي والنووي وغيرهم إلى أن الزيادة (وارحم محمدا... الخ) بدعة لا أصل لها، وقد بالغ ابن العربي في إنكار ذلك وتخطئة ابن أبي زيد، وتجهيل فاعله... وصرح المالكية: بأن الزيادة (ورحمة الله) لا يضر؛ لأنها خارجة عن الصلاة، وظاهر كلام أهل المذهب أنها غير سنة، وإن ثبت بها الحديث؛ لأنها لم يصحبها عمل أهل المدينة، وذكر بعض المالكية أن الأولى الاقتصار على: (السلام عليكم)، وأن زيادة: (ورحمة الله وبركاته) هنا خلاف الأولى. واختلف الفقهاء في جواز الترحم عى النبي -صلّى الله عليه وسلّم- خارج الصلاة: فذهب بعضهم إلى المنع مطلقا، ووجّهه بعض الحنفية: بأن الرحمة إنما تكون غالبا عن فعل يلام عليه، ونحن أمرنا بعظيمه، وليس في الترحم ما يدل على التعظيم مثل الصلاة، ولهذا يجوز أن يدعى بها لغير الأنبياء والملائكة عليهم السلام. أما هو -صلّى الله عليه وسلّم- فمرحوم قطعا، فيكون من باب تحصيل الحاصل، وقد استغنينا عن هذه بالصلاة، فلا حاجة إليها؛ ولأنه يجل مقامه عن الدعاء بها. وذهب بعض الفقهاء إلى الجواز مطلقا: أي بدون انضمام صلاة أو سلام. واستدلوا بقول الأعرابي فيما رواه البخاري وهو قوله: (اللهم ارحمني وارحم محمدا، ولا ترحم معنا أحدا)، لتقريره -صلّى الله عليه وسلّم- على قوله... ولم ينكر عليه سوى قوله: (ولا ترحم معنا أحدا). انظر: الذخيرة البرهانية المسمى (ذخيرة الفتاوى في الفقه على المذهب الحنفي) 2 / 44، من تعليق المحققين في الهامش.

وقيل: إنّ ذلك واجب وجوب السّنن الـمؤكّدة التي لا يسع تركها ولا يغفلها إلّا من لا خير فيه❷. وقيل بالوجوب عند ذكره صلّى الله عليه وسلّم①. وقد اختلف العلماء في التسمية باسمه صلّى الله عليه وسلّم والتكنية بكنيته: فمن مجيز لهما، ومن مانع لهما، ومن مجيز للتسمية دون التكنية، انظر الكلام على ذلك كلّه في الشرح الكبير②.

= وذهب الشّافعيّة إلى وجوبها في كلّ صلاة في التشهّد الأخير، ويحتمله قوله: * يا أهل بيت رسول الله حبّكم * البيتين❶.

① قوله: (وقيل بالوجوب عند ذكره صلّى الله عليه وسلّم) اختاره من كلّ مذهب إمام: فمن المالكيّة: اللّخميّ، ومن الشافعيّة: الحليميّ، ومن الحنفيّة: الطحاويّ، ومن الحنابلة: ابن بطّة. وذهب بعضهم إلى وجوب الإكثار منها من غير مشقّة، وتندب وراء الواجب في كلّ قول من الأربعة، وتتأكّد في مواضع، وتكره في أخرى. ولها فوائد ذكرها القاضي عياض، والفيشي، وصاحب المواهب، والوالد في (شرح عقود الفاتحة).

② قوله: (وقد اختلف العلماء في التسمية باسمه) الخ، المنع من التسمية هو مقتضى قول عمر لمن تسمّى به: (لا أسمع محمّدًا يُسبّ بك أبدًا)❸..=

❶ من أروع وأجمل ما قاله الشافعي شعراً في مدح وحب أهل البيت:

يا آل بيت رسول الله حبّكمُ	فرضٌ من الله في القُرَانِ أنزله
يكفيكم من عظيم الذِّكْر أنّكمُ	من لم يصلِّ عليكم لا صلاة له

❷ تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (4/ 398). قال المقّري في قواعده: قاعدة 139 ـ[إطلاق الوجوب على السنة المؤكدة مجازا] يطلقُ الواجب على السنّة المؤكدة مجازًا. فمن ثَمَّ التُزم تقييدُه: كقول ابن أبي زيد: (وجوب السنن المؤكدة)، وإن كان قد تؤوّل على الوجوب بالسنة، وعليه يصحّ نسبة ابن الحاجب الوجوبَ إلى الرسالة. أو إبهامه كقوله قبله: (وطهارة البقعة للصلاة واجب)، ثمّ فصّل. ومن ثَمَّ خُطِّئ ابنُ الحاجب في نسبته الوجوبَ المطلق إليها. أو خلطُه بما يغلب عليه، كقوله: (ويجب الطهر ممّا ذكرنا)، ثمّ قال: (أو الاستحاضة). فأما قوله: (وأما دم الاستحاضة فيجب منه الوضوء)، فعلى قول ابن عبد الحكم. قواعد المقري (ص: 42-43)

❸ عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: نظر عمر -رضي الله عنه- إلى عبد الحميد، وكان اسمه محمّدًا، ورجل يقول: فعل الله بك يا محمّد وفعل، وجعل يسبّه فقال عمر -رضي الله عنه- عند ذلك: والله لا يُدعَى محمّدًا، ولا أسمع محمّدًا يُسَبُّ بك، فبكى، فسمّاه عبدَ الحميد، ثمّ دعا ببني طلحة ليغيّر أسماءهم، وهم يومئذ سبعة، وسيّدهم وأكبرهم محمّد بن طلحة، فقال محمد: أنشدك الله يا أمير المؤمنين، وكانت كلمة مقولة إذا قالها الرجل لإمامه ولمن يملك رقبته، وإن كان شديد الغضب فقال: أنشدك الله أو أُذكّرك الله، فوالله إنْ سمّاني محمّدًا إلّا محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- فقال عمر -رضي الله عنه-: قوموا فلا سبيل إلى من سمّاه محمّدٌ -صلّى الله عليه وسلّم-. تاريخ المدينة لابن شبة (2/ 752).

= والـمراد بالـجواز: الإباحة والندب، وهما قولان في معنى الأمر في حديث: «تسمّوا باسمي ولا تكنّوا بكنيتي»[1]، والندب أقوى الآثار الـمذكورة في ك، وفي البردة:

فإنّ لي ذمّةً منه بتسميتي * محمّدا وهو أوفى الخلق بالذّمم[2]

لكن نقل الـمناوي في شرح ألفية السِّيَر عن بعض الحفّاظ أنّه لم يصحّ في فضل التسمية بـ(محمّد) حديث. وعن ابن تيمية أنّ كلّ ما ورد فيه موضوع. والـمنعُ من الكنية هو مقتضى قول الأنصاريّ للّذي سمّى ولده القاسم: (لا نكنّيك أبا القاسم، ولا نُنْعِمُكَ بذلك علينا). والقول بالجواز مقيّد بما إذا كان بعد موته عليه السلام؛ لأنّ أصل النهي أنّ مناديًا نادى: يا أبا القاسم، فالتفت المصطفى، فقال: لم أَعْنِكَ يا رسول الله[3]، وذلك منتفٍ بعد وفاته.

ومقتضى بعض الأحاديث أنّ الـمنهيّ عنه هو تكنية من اسمه (محمّد) بأبي القاسم، بخلاف إفراد أحدهما.

---

[1] عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: وُلِدَ لرجل مِنَّا غُلامٌ، فسمّاه (القاسِمَ)، فقُلنا: لا نَكْنيكَ أبا القاسم، ولا نُنْعِمُكَ عَيْنًا، فأتَى النبيَّ -صلّى الله عليه وسلّم-، فذكر ذلك له، فقال: «اسمُ ابنِكَ عبدُ الرحمن». وفي رواية: «لا نُكْنيك أبا القاسم، ولا كرامة». وفي أخرى قال: وُلِد لرجل منّا غلامٌ، فسمَّاه (القاسمَ)، فقلنا: لا نُكَنِّيه حتّى نَسأَلَ النّبيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- فقال: «تسمَّوْا باسمي، ولا تَكَنَّوْا بكنيتي». وفي أخرى: فقالت الأنصار: لا نكْنيك أبا القاسم، ولا نُنعِمُكَ عينًا، فقال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «أحْسَنَتِ الأنصار، تَسمَّوْا باسمي، ولا تَكَنَّوْا بكنيتي». وفي أخرى قال: أراد أن يسمِّيه (القاسمَ)، فقال النّبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم-: «تسمَّوْا باسمي، ولا تكنَّوْا بكُنْيَتي، فإنّي إنّما جعلتُ قاسمًا، أَقْسِمُ بينكم». وفي أخرى: فسمّاه محمّدًا، فقال له قومه: لا نَدَعُك تُسمِّي باسم رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، فانْطَلَق بابنه، حامِلَهُ على ظَهْرِهِ، فذكر أنّه ذُكِرَ له ذلك، فقال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «تسمَّوْا باسمي، ولا تكنَّوا بكنيتي ... » الحديث.

ولا ننعمك عينًا: أي: لا نقول لك: نَعِمَتْ عينُك، بمعنى قرّت، ومنه قولهم: نِعْمَ ونُعْمَى عين.

الحديث رواه البخاري في الأدب، باب أحبّ الأسماء إلى الله -عزّ وجلّ- وفي الأدب: باب قول النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: «تسمّوا باسمي ولا تكنوا بكنيتي» وفي الأدب، باب من سمّي بأسماء الأنبياء، وفي الأنبياء، باب كنية النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، ومسلم في الآداب، باب النهي عن التكنّي بأبي القاسم.

[2] الذّمم: جمع ذمّة: وهي العهد والأمان والضمان، ومعنى البيت: وكيف لا أطمع أن يغفر الله ذنبي، وبيني وبين رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- عهد وأمان ألّا يعذّب الله من كان اسمه محمّدًا؟ ورسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- أشدّ الناس وفاء بالعهد. كتاب البردة شرحا وإعرابا وبلاغة لطلاب المعاهد والجامعات، محمد يحيى حلو، ص 198.

[3] مسند أحمد ط الرسالة (19/ 249): قال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه عبد بن حميد، والترمذي، وأبو يعلى، وأبو عوانة في الأسامي، والطحاوي في شرح معاني الآثار، والبغوي، ورواه الدولابي في الكنى والأسماء.

وقوله: (وَآلِهِ① وَصَحْبِهِ وَالْـمُقْتَدِي) معطوفات علـى (مـحمّد).

① (وآله) أتى بالآل امتثالًا لقول النّبيّ -صلّـى الله عليه وسلّم- حين قالوا له كيف نصلـي عليك؟: «قولوا: اللّهمّ صـلّ علـى مـحمّد وعلـى آل مـحمّد»❶، والنّهي عن الصلاة البتراء التي لـم يذكر فيها الآل❷.

وأصله عند سيبويه❸: (أهل) فأبدلت الـهاء همزةً، ثمّ الـهمزة ألفًا؛ لتصغيره علـى (أُهَيْل)❹.......................=

❶ عن أبـي مسعود البدريّ -رضي الله عنه-: قال: أَتانا رسولُ الله -صلّـى الله عليه وسلّم-، ونحنُ فـي مَـجْلِسِ سعدِ بنِ عُبادةَ، فقال له بَشِيرُ بن سعدٍ: أَمَرَنا اللهُ أَنْ نُصَلِّـيَ عليك، فكيف نصلِّـي عليك؟ قال: فسكت رسولُ الله -صلّـى الله عليه وسلّم-، حتى تَـمَنَّيْنا أنّه لـم يَسْأَلْهُ، ثمّ قال رسولُ الله -صلّـى الله عليه وسـلّم-: «قولـوا: اللّهـمَّ صَلِّ علـى مـحمّد، وعلـى آلِ مـحمّدٍ، كمـا صلّيتَ علـى آلِ إبراهيم، وبَارِك علـى مـحمّد، وعلـى آل مـحمّد، كمَـا بَاركـتَ علـى آلِ إبراهِيم، إِنَّكَ حميدٌ مـجيدٌ، والسّلام كمـا قد عَلِمْتُم» رواه مسلم فـي الصلاة، باب الصلاة علـى النّبـيّ -صلّـى الله عليـه وسلّم- بعد التشهد.

❷ ذكـره عبد الـملك بن مـحمّد بن إبراهيم النيسابوريّ الـخركوشي، أبو سعد (ت 407 هـ) فـي كتابـه: (شرف المصطفى) (5/ 107) قال: وعن بعض الصحابة أنّ النّبـيّ -صلّـى الله عليـه وسـلّم- قـال: «لا تصـلّوا علـيّ الصـلاة البتراء»، قالوا: وما الصلاة البتراء يا رسول الله؟ قال: «لا تقولوا: اللّهمّ صلّ علـى مـحمّد وتُـمْسِكُوا، بل قولـوا: اللّهـمّ صلّ علـى مـحمّد وآل مـحمّد». قال مـحقق الكتـاب أبو عاصم نبيل بن هاشم الغمري آل باعلوي فـي كتابـه (مناحـل الشفا ومناهل الصفا بتحقيق كتاب شرف المصطفى -صلّـى الله عليه وسلّم): قوله: «لا تصلّوا علـيّ»: لـم أقـف عليـه مسندًا، لكن أورده الـحافظ السخاويّ فـي (القول البديع فـي الصلاة علـى الـحبيب الشفيع)، وعزاه للمصـنّف، وقـال: وهو مـمّـا لـم أقف علـى سنده. اهـ. وأورده الفقيه الـهيثميّ فـي (الصـواعق الـمحرقة) بصيغة: ويـروى. والبـتراء: الناقصة، أو الـمنقوصة من الـخير والبركة.

❸ سيبويه (148 - 180 هـ = 765 - 796 م) عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه: إمـام النحاة، وأول من بسط علم النحو. ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه. وصـنف كتابـه المسمى (كتاب سيبويه) فـي النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله. ورحل إلى بغداد، فناظر الكسائي. وأجازه الرشيد بعشرة آلاف درهم. وعاد إلى الأهواز فتوفي بها، وقيل: وفاته وقبره بشيراز. و(سيبويه) بالفارسية رائحة التفاح. وكان أنيقا جميلا، توفي شابا.

❹ جاء في مفردات ألفاظ القرآن، ص: 98: الآل مقلوب من الأهل. وفي لسان العرب، 1/ 186: أصلها أهل ثـم أبـدلت الهاء همزة فصارت في التقدير أأل فلما توالت الهمزتان أبدل الثانية ألفا كما قالوا آدم وآخر. اهـ وبمثل هذا قال الفيروزآبـادي فـي القاموس الـمحيط، ص: 1245. وهذا مذهب البصريين.

....

= وإنّمـا أبدلت الـهاء همزة -وإن كانت الـهمزة أثقل❶ - للتوصّل للأخفّ من الـهاء، أعني الألف، وقلب الـهاء ألفًا لا مستند له يُـحمل عليه❷.

وعند الكسائيّ❸: (أَوَل) بفتح الواو، ولتصغيره على (أُوَيْل) من (الأَوْل)؛ لأنّ الشخص يؤول ويرجع لـهم ويرجعون له في الـمهمّات❹...=

---

❶ في هذا إشارة إلى ردّ أبي شامة على سيبويه في كتابه (إبراز الـمعاني من حرز الأماني) ص: 84، عند شرحه لقول الشاطبي:

فَإِبْدَالُهُ مِنْ هَمْزَةٍ هَاءٌ اصْلُهَا * وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ وَاوٍ ابْدِلا

يعني هذا القائل أنّ أصل الكلمة (أهل) فأبدلت الـهاء همزة، كما قيل: (أرقت) في (هرقت)، فاجتمعت همزة ساكنة بعد همزة مفتوحة فوجب قلبها ألفا على القياس الـمطّرد الـمعروف الذي بينه في آخر باب الـهمز الـمفرد، وهذا القول وإن اعتمد عليه جماعة فهو مـجرّد دعوى، وحكمة لغة العرب تأبى ذلك، إذ كيف يبدل من الـحرف السهل وهو الهاء حرف مستثقل وهو الهمزة التي من عادتهم الفرار منها حذفا وإبدالا وتسهيلا على ما عرف في بابه، مع أنّهم إذا أبدلوا الـهاء همزة في هذا الـمكان فهي في موضع لا يمكن إثباتها، بل يـجب قلبها ألفًا، فأيّ حاجة إلى اعتبار هذا التكثير من التّغيير بلا دليل، وفي لفظ: (ماء) قام دليل إبدالـها همزة لتقوى على الإعراب.

❷ الألف تبدل من أربعة أحرف: من الواو والياء والهمزة والنون. مثل: غزا أصلها غزو، ورمى أصلها رمي، وآدم أصلها أأْدم، ومثل (رأيت زيدًا) عند الوقف.

❸ الكِسَائِي (000 - 189 هـ = 000 - 805 م) علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي: إمام في اللغة والنحو والقراءة. من أهل الكوفة. ولد في إحدى قراها. وتعلم بها. وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالريّ، عن سبعين عاما. وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين.له تصانيف، منها: معاني القرآن، والمصادر، والحروف، والقراءات، وما يلحن فيه العوامّ.

❹ ذهب الـخليل بن أحمد في (كتاب العين)، 8/ 395 إلى أنّ كلمة (آل) مشتقة من الأَوْل، قال: (آل يؤول إليه، إذا رجع إليه. اهـ. ووافقه ابن فارس في (معجم مقاييس اللغة)، 1/ 159: قال: (آل يؤول أي رجع... يقال: أول الـحكم إلى أهله، أي أرجعه ورده إليهم. وهذا مذهب الكوفيين. اهـ.

وقد وفّق ابن الـجوزي بين القولين في (نزهة الأعين)، ص: 121-122 فقال: (الآل: اسم لكلّ من رجع إلى معتمد فيما رجع فيه إليه، فتارة يكون بالنسب، وتارة بالسبب. اهـ فقوله: (بالنسب) إشارة إلى الأهل والقرابة، وقوله: (بالسبب) إشارة إلى الأتباع، ومن الثاني قوله تعالى: {أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} غافر: 46.

....

= والقول بأنّ فـي الاستدلال فـي الـمصغّر علـى شيء فـي الـمكبّر دورًا ❶ مـمنوع بأنّ التصغير يتوقّف علـى الـمكبّر من جهة معرفة أنّه فرعه فـي الوجود، وغاية ما فـي الاستدلال: توقّف الـمكبَّر عليه من جهة معرفة أصل صرفه، فانفكّت الـجهة.

وهو اسم جمع ❷ غلب إضافته إلـى عاقل ذي خطر، فلا يقال: آل الفرس، ولا آل الـحجّام والإسكاف، أي الصـانع، أمّـا (آل الصّليب) فلتنزيله منزلة العاقل حيث عبدوه، وأمّا {أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ} [غافر: 46] فتهكّم، أو لشرفه فيهم.

فإن قيل: تصغيره ينافـي اختصاصه بالأشراف.

قلنا: الشرف فيمـا أضيف علـى أنّه لو سلم سريانه، فالتصغير يأتـي للتعظيم، قال لبيد:

وكلّ أناس سوف تدخل بينهم * دُوَيْهِيَة تصفرّ منها الأنامل ❸

وإضافته للضّمير كمـا فـي النظم جائزة، خلافًا لـمن منع ❹ متمسّـكًا بأنّـه مـختصّ بـالأشراف، والظـاهر لوضـوحه أشرف، وفيه: أنّ لفظ الضمير فيه شرف الأعرفيّة، ومعناه يشرف بمرجعه...=

---

❶ الدور: أن يعتمد الأمر علـى ما يعتمد عليه من الـجهة نفسها، كتوقّف (أ) علـى (ب) وتوقّف (ب) علـى (أ)، مثـل: تعريف الشمس بأنها: (كوكب يطلع فـي النهار)، وتعريف النهار بأنّه: (زمان تطلع فيه الشمس).

❷ اسم الـجمع: هو ما لا مفرد له من لفظه، ولكن من لفظ غيره، ويدلّ علـى أكثر مـن واحـد مـن جـنس معـيّن، مثـل: (نساء) اسم جمع لـ(امرأة).

❸ (دويهيّة): تصغير داهية؛ وأصلُ الدّاهية: الـمصيبة من مصائب الدّهر، وأراد بها ههنا الـموت. و(تصفرُّ منها الأنامـل) أراد بالأنامل ههنا: الأظافر؛ لأنّها هي الّتي تصفرّ بالـموت. والشّـاهدُ فيـه: (دويهيّـة) حيـث إنّ التّصـغير يفيـد التّعظـيم والتّهويل؛ وهو مذهب الكوفيين. اللمحة في شرح الملحة (2/ 655)

وخرجها البصريّون علـى التقليل؛ لأنّ الداهية إذا عظمت قلّـت مـدّتها. شرح التصـريح علـى التوضـيح أو التصـريح بمضمون التوضيح في النحو (2/ 559)

أو أنّ تصغيرها علـى حسب احتقار النّاس لـها وتهاوُنهم بها؛ إذِ الـمراد بها الـموت، أي: يـجيئُهم ما يـحتقرونه مـع أنّـه عظيمٌ فـي نفسه تصفرّ منه الأنامل. اللمحة في شرح الملحة (2/ 655)

ومنه أيضًا قول ناظم البيقونية: (وَذُو اخْتِلاَفِ سَنَدٍ أَوْ مَتْنِ * مُضْطَرِبٌ عِنْدَ أُهَيْلِ الفَنِّ)، يعني عنـد أهـل الفـنّ مـن أهـل الـحديث العظمـاء الكبار.

❹ الذي منع إضافة (آل) إلـى الـمضمر: الكسـائي والنحـاس، وزعـم أبـو بكـر الزبيـديّ أنّـه مـن لـحن العـوامّ. وفي الـحديث: «اللّهمّ صلّ علـى مـحمّد وآله». شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (1/ 18)

وفـي الصّلاة علـى غير الأنبياء ثلاثة أقوال❸: بالـجواز والـمنع والكراهة①.

قال الإمام أبو عبد الله الأبّيّ فـي شرح مسلم❺: قال بعضهم: الـخلاف فـي الصّلاة على غـير الأنبيـاء إنّمـا هـو فـي الاستقلال، نحو: (اللّهمّ صلّ على فلان)، وأمّا بالتّبع، نحو: (اللّهمّ صلّ علـى مـحمّد وأزواجـه وذرّيّتـه) فجـائز❻، وعلـى الـجواز فإنّمـا يقصد بها الدّعاء...

= وقال عبد الـمطّلب❶:

وانصر علـى آل الصّليب وعابديهِ اليوم آلَكَ❷

① قوله (والـمنع والكراهة) قيّده ابن القيّم بمـا إذا اتـخذ ذلك شعارًا لشخص مفرد أو مع من اتّصف بصفاته، قال: فلـو اتّفق وقوع ذلك فـي بعض الأحايين من غير أن يتّخذ شعارًا لـم يكن به بأس عند عامّة أهل العلم❹.

❶ عَبدُ الـمُطَّلِب بنُ هَاشِم بنُ عَبد مَنَاف بنُ قُصَـيّ (نحو 127 ق هــ - 45 ق هــ = نحـو 500 - 579 م)، وهـو جـد رسول الله -صلّـى الله عيه وسلّم-، وأبو عبد الله وأبو طالب وحمزة.

❷ لـمّـا ردّ أبرهة علـى عبد الـمطّلب إبله، انصرف إلـى قريش فأخبرهم الـخبر، وأمـرهم بالـخروج مـن مكّـة إلـى الـجبال والشِّعاب، ثمّ قام عبد الـمطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ودعا الله -تعالـى- ثمّ قال:

لا هـــمّ أنّ الـــمرء يمنـــع رحلـــه فـــامنع حَلالـــك

وانصـــر علـــى آل الصّـــليب وعابديـــه اليـــوم آلـــك

لا يغلبـــنَّ صليـــبُهم ومِحالـــهم أبـــدًا مِـــحالك

حياة الحيوان الكبرى (2/ 313). والـمِحال: الكيد، والـمكر، ومِـحَالُ الله: عِقَابُه ، قال تعالـى: {هُـوَ شَـدِيدُ الْـمِحَالِ} الرعد: 13.

❸ الـخلاف في الصلاة على غير الأنبياء إذا كانت استقلالا، أما إذا كانت على سبيل التبعية، فهذا جائز بالإجماع. الموسوعة الفقهية الكويتية (27/ 239)

❹ قال ابن القيم فـي كتابه (جلاء الأفهام فِـي فضل الصَّلَاة وَالسَّلَام على مُـحَمَّد خـير الْأَنَـام) (ص: 481): وَإِن كَـانَ شخصًا معيّنًا أَو طَائِفَة مُعيّنَة كره أَن يتَّخذ الصَّلَاة عَلَيْهِ شعارًا لَا يـخل بِهِ وَلَو قيل بِتَحْرِيمِهِ لَكَـانَ لَـهُ وَجـه وَلَا سِيمَـا إِذا جعلهَا شعاراً لَهُ.

❺ الكتاب هو: (إكمال إكمال المعلم)، وصاحبه هو: أبو عبـد الله محمـد بـن خلفـة الوشـتاني الأبي المـالكي ت 827هــ أو 828هــ

❻ قال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّـي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُه} [الأحزاب: 43]، وقال: {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّـهِـمْ} [البقـرة: 157]، وقوله: {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَـهُمْ} [التوبة: 103].

لأنّها بمعنى التّعظيم خاصّةٌ بالأنبياء، كخصوص (عزّ وجلّ) بالله تعالى، فلا يقال: (محمّد عزّ وجلّ)، وإن كان صلّى الله عليه وسلّم عزيزًا جليلا❶......................................

....

❶ نصّ الأبّيّ قريب ممّا ذكره أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النوويّ (ت 676هـ) قبله عند شرحه لصحيح مسلم كذلك، فقد قال: وأما قول السّاعي: (اللّهمّ صلّ على فلان) فكرهه جمهور أصحابنا، وهو مذهب ابن عبّاس ومالك وابن عيينة وجماعة من السلف. وقال جماعة من العلماء: يجوز ذلك بلا كراهة؛ لهذا الحديث. قال أصحابنا (الشافعيّة): لا يصلّى على غير الأنبياء إلّا تبعا؛ لأنّ الصلاة في لسان السلف مخصوصة بالأنبياء صلاة الله وسلامه عليهم، كما أنّ قولنا: (عزّ وجلّ) مخصوص بالله -سبحانه وتعالى-، فكما لا يقال: (محمّد عزّ وجلّ) وإن كان عزيزا جليلا، لا يقال: (أبو بكر صلّى الله عليه وسلّم) وإن صحّ المعنى. واختلف أصحابنا في النهي عن ذلك: هل هو نهي تنزيه أم محرّم أو مجرّد أدب؟ على ثلاثة أوجه، الأصحّ الأشهر أنّه مكروه كراهة تنزيه؛ لأنّه شعار لأهل البدع، وقد نهينا عن شعارهم، والمكروه هو ما ورد فيه نهي مقصود. واتّفقوا على أنّه يجوز أن يجعل غير الأنبياء تبعًا لهم في ذلك فيقال: (اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد وأزواجه وذرّيّته وأتباعه)؛ لأنّ السلف لم يمنعوا منه، وقد أمرنا به في التشهد وغيره. شرح النووي على مسلم (7/ 185)

وقال أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت 520هـ) في البيان والتحصيل: ومن أهل العلم من أجاز الصلاة على غير النّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، واستدلّ بما ذكره مالك في موطئه عن عبد الله بن دينار أنّه قال: رأيت عبد الله بن عمر يقف على قبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيصلّي على النّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وعلى أبي بكر وعمر، وبما جاء في الحديث من قوله: (اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد)، وقوله: (اللّهمّ صلّ على محمّد وأزواجه وذرّيّته). ومعلوم أنّ أزواجه وآله وذرّيّته غيره. وبما جاء عنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من أنّه كان إذا أتاه أحد بصدقته صلّى عليه، لقول الله -عزّ وجلّ-: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ} [التوبة: 103] فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اللّهمّ صلّ على آل أبي أوفى»، إذ أتاه أبو أوفى بصدقته. قال عبد الله بن أبي أوفى: كان النّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم صل على آل فلان، فأتاه أبي بصدقته فقال: «اللّهمّ صلّ على آل أبي أوفى». والأظهر أنّ يخصّ النّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالصلاة دون من سواه، إلا أن يضاف إليه في الصلاة عليه، كما جاء في الحديث من قوله: «اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد»، وقوله: «اللّهمّ صلّ على محمّد وأزواجه وذرّيّته»، ولم يتابع جميع الرواة يحيى بن يحيى على روايته: «فيصلّي على النّبيّ وأبي بكر وعمر». ورواية ابن القاسم: «فيصلّي على النّبيّ ويدعو لأبي بكر وعمر»، وهو دليل قوله في هذه الرواية؛ لأنّه قال فيها: «قيل له: هل أذكر أبا بكر وعمر؟ قال: نعم إن شئت»، ولم يقل فيها: قيل: له هل يصلّي على أبي بكر وعمر؟

وأمّا صلاة النّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على من كان يصلّي عليه ممّن كان يأتيه بصدقته فلا دليل فيه للمخالف؛ لأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذا بخلاف غيره؛ لأنّ الله عزّ وجلّ أمره بذلك، وبالله التوفيق. البيان والتحصيل (18/ 603-604)

وكذا (السّلام)، هو خاصّ به صلّـى الله عليه وسلّـم، فلا يقال: (أبو بكر عليه السّلام)❶ - ① اهـ.

① قوله (فلا يقال: أبو بكر عليه السّلام) أي ما لـم يقع تـحيّة فـي خطاب ولو فـي رسـالة، ويسـتثنى مـن غـير الأنبيـاء: لقمـان ومريم -عليهمـا السلام- من غير كره، وإن قلنا أنّهمـا غير نبيّين وهو الأصحّ؛ لأنّهمـا ارتفعا عن درجة مـن يقـال فيه: (رضي الله عنه)❷.

❶ قال النّوويّ: قال الشيخ أبـو مـحمّد الـجوينيّ -مـن أئمّـة أصـحابنا-: السـلام فــي معنـى الصـلاة، ولا يفـرد بـه غير الأنبياء؛ لأنّ الله -تعالـى- قرن بينهمـا، ولا يفرد به غائب، ولا يقـال: (قـال فـلان عليـه السـلام)، وأمّـا الــمخاطبة به لـحيّ أو ميّت فسنّة، فيقال: (السلام عليكم أو عليـك أو سـلام عليـك أو علـيكم)، والله أعلـم. شرح النـووي علــى مسلم (7/ 185).

وقال ابن كثير -رحمه الله- فـي تفسير سورة الأحزاب بعد نقل كلام النوويّ: قلت: وقد غلب هذا فــي عبـارة كثـير مـن النُّسّاخ للكتب أن يفرد علـي-رضي الله عنه- بأن يقال: (عليه السلام)، مـن دون سـائر الصـحابة، أو (كـرّم الله وجهـه)، وهذا وإن كان معناه صحيحًا، لكن ينبغي أن يسوّى بـين الصـحابة فــي ذلـك، فـإنّ هـذا مـن بـاب التعظـيم والتكـريم، فالشيخان وأمير الـمؤمنين عثمـان أولـى بذلك منه -رضي الله عنهم أجمعين-. انتهى

❷ قال النووي ت 676 هـ في كتابه الأذكـار (ص: 119): فـإن قيـل: إذا ذكـر لقمــان ومـريم، هـل يُصلّــي عليهمــا كالأنبياء، أم يترضّى كالصحابة والأولياء، أم يقول: عليهمـا السلام؟

فالـجواب: أنّ الـجمـاهير من العلمـاء علـى أنّهمـا ليسا نبيّيْن، وقد شذّ من قال: نبيّان، ولا التفات إليه، ولا تعريج عليه، وقد أوضحتُ ذلك في كتاب (تهذيب الأسماء واللغات)، فإذا عُرف ذلك، فقد قال بعضُ العلمــاء كلامـاً يُفهـم منـه أنّـه يقول: قال لقمـان أو مريم صلَّى الله علـى الأنبياء وعليه -أو وعليهما- وسلّم، قال: لأنّهمـا يرتفعان عن حـال مـن يُقـال: رضي الله عنه، لـمـا فـي القرآن مـمّـا يرفعهمـا، والذي أراه أنّ هذا لا بأس بـه، وأنّ الأرجـح أن يقـال: رضي الله عنـه، أو عنها؛ لأنّ هذا مرتبة غير الأنبياء، ولم يثبتْ كونها نبيّيْن. وقد نقل إمام الحرمين إجماع العلمــاءُ عـلى أنّ مـريم ليسـت نبيّـة -ذكره في (الإِرشاد)- ولو قال: عليه السلام، أو: عليها، فالظاهر أنّه لا بأس به، والله أعلم. اهـ

وقال أبو الفداء إسماعيل حقي (ت 1127هـ) في تفسيره (روح البيـان) (7/ 228): والأرجـح في مثـل (لقمـــان ومـريم والـخضر والإسكندر) الـمختلف فـي نبوّته أن يقال: (رضي الله عنه أو عنها) ولو قال: (عليه السلام أو عليها السـلام) لا بأس به، وقال الإمام اليافعيّ فـي تاريـخه: والذي أراه أن يفـرِّق بـين الصـلاة، والسـلام، والـترضّي، والـترحّم، والعفـو: فالصّلاة: مـخصوصة علــى الــمذهب الصـحيح بالأنبيـاء والــملائكة، والـترضّي: مــخصوص بالصّـحابة والأوليـاء والعلمـاء، والترحّم: لـمن دونهم، والعفو: للمذنبين، والسلام: مرتبة بين مرتبة الصلاة والترضّي، فيحسُن أن يكون لـــمن منزلته بين منزلتين، أعنى: يقال لـمن اختُلِف فـي نبوّتهم، كلقمـان والـحضر وذي القرنين، لا لـمن دونهم. اهـ

وآله صلّى الله عليه وسلّم: أقاربه الـمؤمنون من بني هاشم ❶ - ①، وهذا قول ابن القاسم ومالك وأكثر أصحابه.

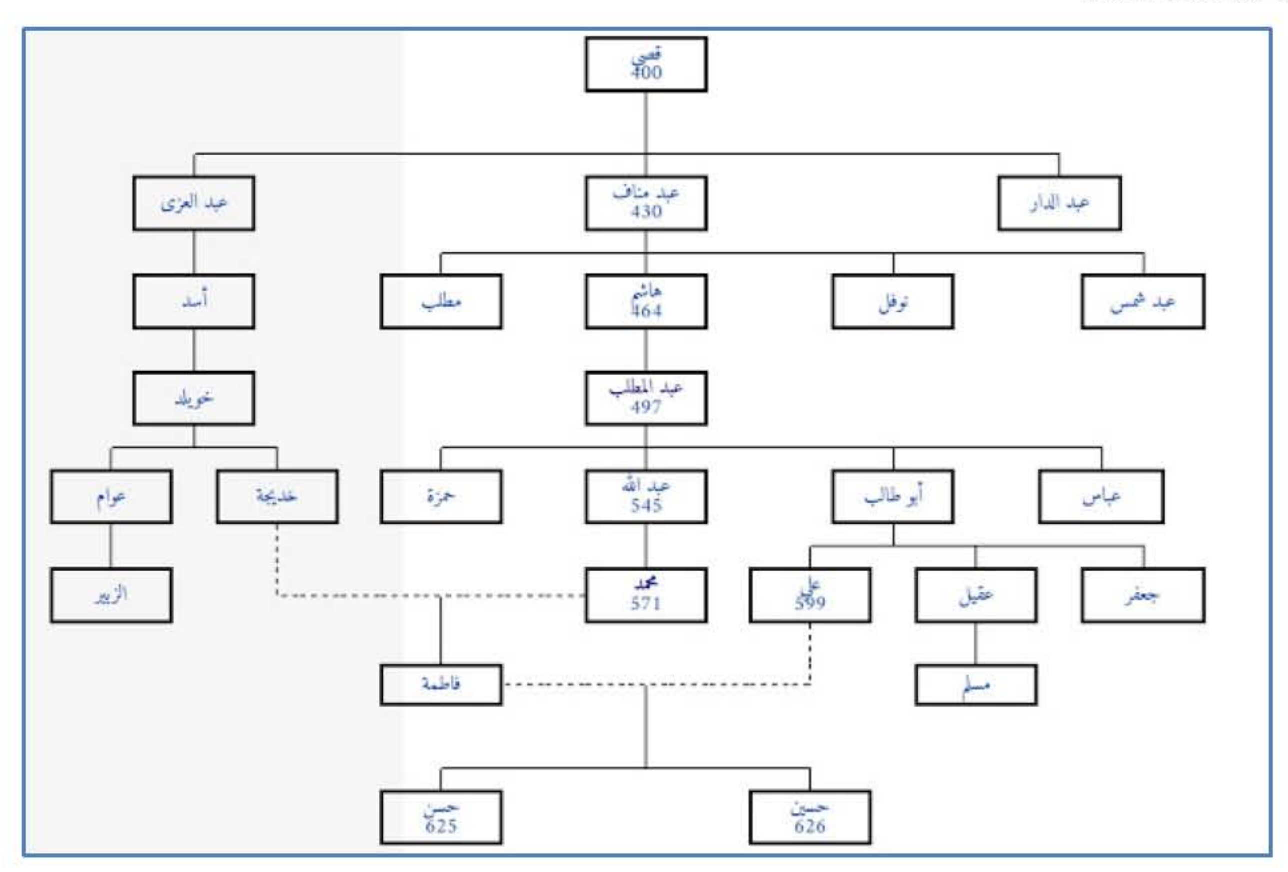
---

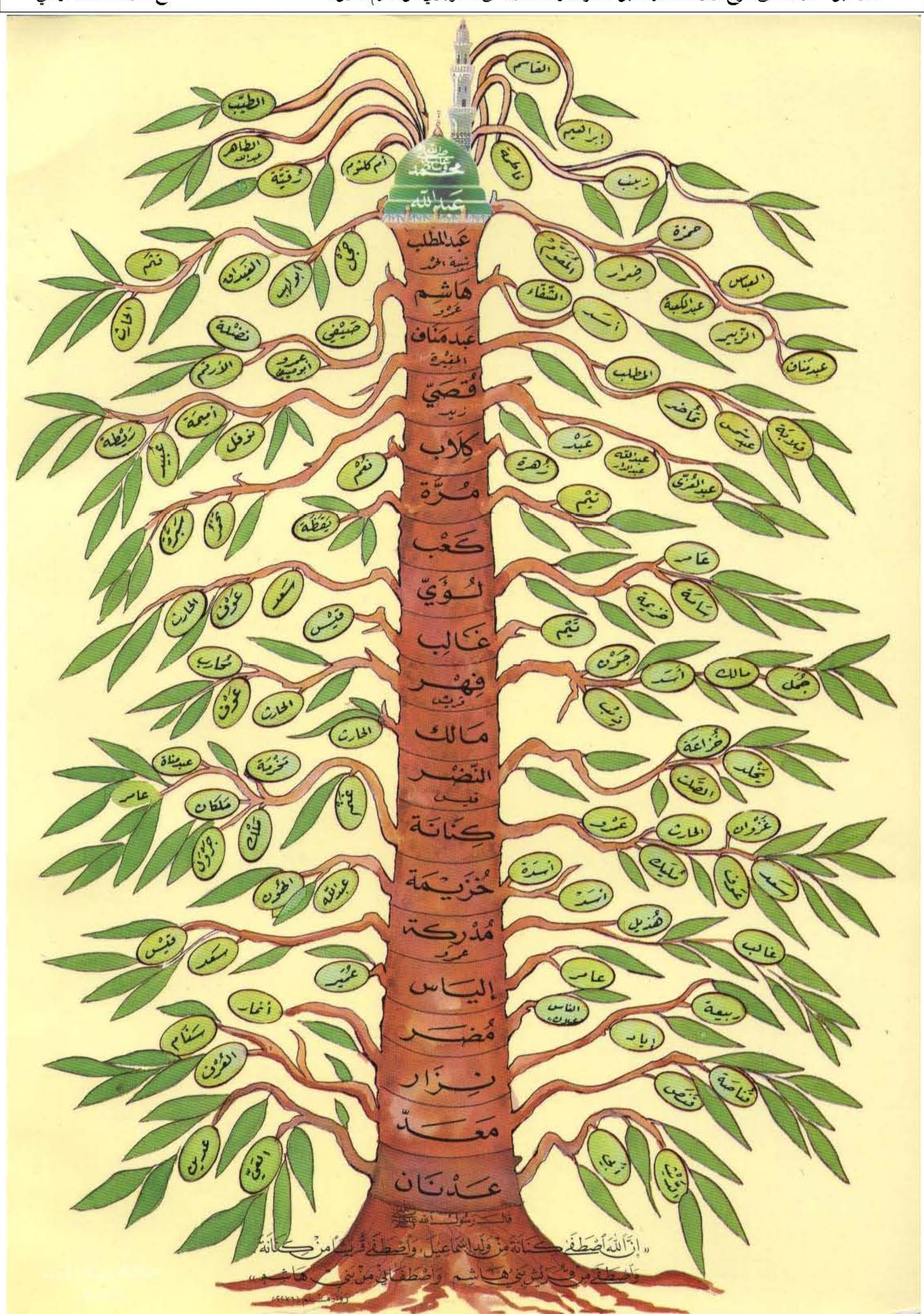
① قوله: (أقاربه الـمؤمنون من بني هاشم) أي: وكذا الـمؤمنات من بناته، ففي قوله: (الـمؤمنون) و(بني) تغليبٌ.

وتفسير (الآل) في هذا الـمقام بهذا لا يـحسُن؛ فإنّ (الآل) له معانٍ باعتبار مقالات، ولا يـحسُن أن تُعدّ أقوالًا.

---

❶ يرجع نسب الـهاشميّين إلى عمرو (هاشم) بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر (قريش) بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وقد سمّي عمرو هاشمًا لكونه يهشم الثريد للحجّاج في مكّة الـمكرّمة، وقد توفي هاشم في مدينة غزة بفلسطين، وكانت تسمّى (غزةَ هاشم)، وذلك في رحلة قريش السنوية للتجارة. وبنو هاشم: هم أبناؤه، وهم أربعة: أسد، وأبو صيفيّ، ونضلة، وعبد المطلب، ولـم يبق لـهاشم من عقب إلّا من عبد الـمطّلب. فأمّا عبد الـمطّلب فلديه من الأبناء اثنا عشر، ولم يعقّب أحد معهم عقبًا باقيًا إلا أربعة: العباس، وأبو طالب، والـحارث، وأبو لـهب. وإليك هذا الـمخطط المساعد:




محمد صلى الله عليه وسلم
عبد الله
عبد المطلب
هاشم
عبد مناف
قصي
كلاب
مرة
كعب
لؤي
غالب
فهر
مالك
النضر
كنانة
خزيمة
مدركة
إلياس
مضر
نزار
معد
عدنان
القاسم
الطيب
إبراهيم
الطاهر
فاطمة
أم كلثوم
رقية
زينب
حمزة
العباس
الزبير
عبد الكعبة
ضرار
المطلب
عبد مناف
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
«إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة
واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»

....

= ففي مقام الـمدح -كهذا الـمقام-: كلّ مؤمن تقيّ؛ لـحديث: «آل مـحمّد كلّ تقيّ»، «أنا جدّ كلّ تقيّ» [1].

[1] ذكره السيوطي في كتابه (الحاوي للفتاوي) (2 / 89). قالَ العجلونيّ في كتابِه (كشفُ الخفاءِ) عندَ تعليقِه على الحديثِ رقم (17): قالَ السّيوطيّ: لا أعرفُه، وقالَ في الأصلِ: رواهُ الدّيلميّ وتمّام بأسانيدَ ضعيفةٍ، فلفظُ تمّام عن أنس: سُئلَ رسولُ الله -صلّى اللهُ عليهِ وآله-: مَن آلُ مُحمّد؟ فقالَ: «كلُّ تقيّ مِن أمّةِ مُحمّدٍ»، ولفظُ الدّيلميّ: «آلُ محمّدٍ كلّ تقيّ»، ثمّ قرأ: {إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ}، ولكنّ شواهدَهُ كثيرةٌ، منها ما في الصّحيحينِ مِن قولِه -صلّى اللهُ عليهِ وآله-: «إنَّ آلَ أبي فُلانٍ ليسُوا لي بأولياء، إنّما وليّي اللهُ وصالحُ المؤمنينَ»، وقالَ الشّيخُ محمّد الزّرقانيّ في (مُختصرِ المقاصدِ الحسنةِ): هوَ حسنٌ لغيرِه، انتهى. وقالَ النّجمُ: وفي لفظٍ: سُئلَ رسولُ الله -صلّى اللهُ عليه وآله-: مَن آلُ مُحمّدٍ؟ فقالَ: «كلُّ تقيّ»، قالَ: ورويَ عَن عليٍّ -رضيَ اللهُ عنه- وأنّهُ السّائلُ، وأسانيدُه ضعيفةٌ، ولكنَّ لهُ شواهدَ، قالَ: ورأيتُه في بعضِ كتبِ النّحو بلفظِ: «آلِي كلُّ مؤمنٍ تقيّ»، ويُستشهدُ بهِ على إضافةِ الآلِ إلى الضّميرِ. انتهى. وقَد بيّن السّخاويّ شواهدَه في كتابِه (ارتقاءُ الغُرفِ)، وقَد حملَ الحليميّ الحديثَ على كلِّ تقيٍّ مِن قرابتِه خاصّةً دونَ عمومِ المؤمنينَ؛ لحديثِ أنّه -صلّى اللهُ عليهِ وآله- كانَ إذا ضحّى أتى بكبشينِ، فذبحَ أحدَهما عَن أمّتِه مَن شهدَ للهِ بالتّوحيدِ وشهدَ لهُ بالبلاغِ، وذبحَ الآخرَ عَن محمّدٍ وآلِ محمّد. انتهى، وأقولُ: ينبغي حملُ هذهِ الأحاديثِ وما أشبهَها على الكاملينَ مِن آلِه، وإلّا فلا شكَّ أنَّ مَن صحَّت نسبتُه إليهِ فهوَ مِن آلِه وإن لم يكُن تقيّاً حيثُ كانَ مؤمنًا؛ لأنّ العقوقَ لا يقطعُ النّسبَ.

وجاء (بحر الفوائد) المسمّى بـ(معاني الأخبار) للكلاباذي (ص: 306): قيل: يا رسول الله من آلك؟ قال: «كلّ مؤمن تقيّ نقيّ مخموم القلب»، فإذا كان كذلك فمعرفة الأتقياء: مخالطتهم ومداخلتهم، ومن خالط قومًا تخلّق بأخلاقهم واقتدى، كان له براءة من النّار. وقوله صلّى الله عليه وسلم: «حبّ آل محمّد جواز على الصراط»، فآل محمّد: كلّ تقيّ، فمن أحبّ الأتقياء كان معهم، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «المرء مع من أحبّ»، وأخرى أنّ المحبّة توجب محبّة أوصاف المحبوب، وكل من أحبّ أحدًا أحبّ أوصافه وأخلاقه، ومن أحبّ شيئًا اقتناه وحازه وسعى في تخليصه عنده، فكان من أحبّ الأتقياء أحبّ أفعالهم، وإذا أحبّ أفعالهم سعى في تحصيلها التّقوى، فمن حصّل التقوى فهو متّق، وقد قال تعالى: {نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم: 72]، فصحّ جوازهم على الصراط، والولاية للأتقياء والاختصاص بهم والمصادقة معهم والمصافاة، وهذه الأوصاف توجب الاتصاف بصفتهم، ومن اتصف بأوصاف الأتقياء فهو متّق، والمتّقون آمنون من العذاب، قال الله تعالى: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا} [الطلاق: 5]، ومن كُفّرت سيّئاته، وأُعظم أجر حسناته أمن من العذاب لا محالة، وبالله التوفيق، ومن يتولّى الأتقياء تولّاه الله تعالى، والله الهادي.

....

= ولـمحيي الدين بن عربـيّ ❶ -قدّس الله سرّه-:

لُبْــسُ التُّقَــى لِلنَّفْسِ خَـيْرُ لِبَـاسِ	يَزْهُـو بِـهِ الـمَسْعُـودُ بَيْـنَ النَّـاسِ
إِنَّ الشَّرِيـفَ هُـوَ التَّقِـيُّ الْـمُرْتَضَى	لَا الْـهَـاشِمِيُّ وَلَا بَنُـو الْعَبَّـاسِ
إِلَّا إِذَا اتَّقَـوْا الإِلَـهَ فَإِنَّـهُمْ	أَهْـلُ الْـمَكَارِمِ وَالنَّـدَى وَالْبَـاسِ

وفـي مقام الدّعاء: كلّ مؤمن ولو عاصيًا.

وفـي مقام حرمة الزّكاة: الأصحّ عند الـمـالكيّة: أقاربُه الـمؤمنون من بني هاشم، كالـحنابلة.

وزاد الشّافعيّة: والـمطّلب، وعليه درج خ فـي مصـرف الزّكاة فقال: (وعدمُ بُنُوَّةٍ لـهاشمٍ والـمطّلبِ ورُجِّحَ)❷.

قال الـمحلّـي: لأنّه صلّـى الله عليه وسلّم «قسـم سـهم ذوي القربـى بيـنهم دون بنـي عمّهـم عبـد شـمس ونوفـل مـع سؤالـهم» رواه البخاريّ، وقال: «إنّ هذه الصّدقات إنّمـا هي أوساخ النّاس، وإنّها لا تـحلّ لـمحمّد ولا لآل مـحمّد» رواه مسلم، وقال: «لا أُحِلُّ لكم أهلَ البيت من الصّدقة شيئًا ولا غُسَـالة الأيـدي، إنّ لكـم فـي خُـمُس الـخُمُس مـا يكفيكم أو يغنيكم» أي: بل يغنيكم، رواه الطبرانـيّ ❸.

---

❶ مـحمّد بن علـيّ بن مـحمّد بن عربـيّ الـحاتـميّ الطائيّ الأندلسـيّ الشهير بـ(مـحيي الدين بن عربـي)، أحد أشـهر الـمتصوّفين، ولد فـي مرسية فـي الأندلس 558 هـ ـ 1164م وتوفي في دمشـق638 هـــ 1240م. تزيـد مؤلّفاتـه عـن 800، لكن لم يبق منها سوى 100، لقّب بألقاب عديدة، منها: الشيخ الأكبر، ورئيس الـمكاشفين، والبحر الزاخر، وبحر الحقائق،وإمام الـمحقّقين، ومحيي الدين، وسلطان العارفين.

❷ ولكن الذي عليه الإمام مالك وأكثر أصحابه أنّهم بنو هاشم فقط. و(آل الـمطّلب) ليسوا بآل فـي هذا الـمقام، وفـي النسخ الـمطبوعة التي وقفت عليها من الـمختصر وجدتُ عبارة (لا الـمطّلب) وليس (والـمطّلب)، ولـم أجـد عبـارة (ورجّح) فيها وقفت عليه من نسخ الـمختصر ولا شروحه. وقال خليل فـي التوضيح فـي شرح مـختصر ابن الـحاجب 2 / 353-354: لا خلاف أنّ بني هاشم فمـا دونهم آل. وأمّا ما فوق غالب ليسوا بآل.وفـي بني غالب فمـا دونهم إلـى بني هاشم قولان، والقول بالاقتصار علـى بني هاشم لابن القاسم فـي الـموازية، والآخر لأصبغ. قال التونسيّ: وعلـى مذهب أصبغ لا يـجوز أن يأخذ الزكاة: آل أبـي بكر، وآل عمر، وآل عثمـان؛ إذ كانوا مـجتمعين مـع النّبيّ -صلّـى الله عليه وسلّم- وهم فـي غالب. وعلـى مذهب ابن القاسم: يـجوز أن يأخذوها؛ إذ لا يـجتمعون معه عليه الصّلاة والسّلام فـي بني هاشم. انتهى. فإذا ثبت قوله فـي الـمختصر (والـمطّلب)، فعلـى القول بأنّ بني غالـب فمـا دونهـم إلـى بنـي هاشم آلٌ، فلا يأخذون الزّكاة.

❸ حاشية العطار على جمع الجوامع (1/ 23).

....

= والأظهر في تقرير الاستدلال بهذه الأحاديث أن يجعل من القياس المركّب ❶ فيقال: (آله صلّى الله عليه وسلم من تحرم عليهم الصّدقة)، و(من تحرم عليهم الصّدقة هم المختصّون بخُمس الخُمس)، و(المختصّون بخُمُس الخُمُس هم أقاربه المؤمنون من بني هاشم والمطّلب)، فينتج: (آله صلّى الله عليه وسلّم أقاربه المؤمنون من بني هاشم والمطّلب) ❷، دليل الأولى الثّاني، ودليل الثانية الثالث، ودليل الثالثة الأوّل.

وخصّت الحنفيّة فِرَقًا خمسة أشار لهم من قال:

عَلِيٌّ وعبّاسُ عَقِيلٌ وجَعْفَرُ * وحمزةُ هم آلُ النّبيِّ بلا نُكْرِ

فائدتان:

الأولى: كلّ فرقة من الفرق يطلق عليها الأشراف، والواحد شريف، هذا مصطلح السلف كالذّهبيّ ❸ وغيره.

---

❶ القياس المركّب: هو ما تألّف من قياسين فأكثر حيث تصير النتيجة في أولها مقدّمة لما يليه. كقولك: (كلّ شاعر حسّاس)، و(كلّ حسّاس يتألّم)، فينتج: (كلّ شاعر يتألّم)، ثمّ تأخذ هذه النتيجة فتجعلها مقدّمة لقياس آخر لينتج المطلوب الأصلي الذي سقت لأجله القياس المتقدّم، فتقول: (كلّ شاعر يتألّم)، و(كلّ من يتألّم قويّ العاطفة)، فينتج: (كلّ شاعر قويّ العاطفة).

وهذا النوع من القياس المركّب يسمّى (الموصول)، وهو الذي لا تطوى فيه النتائج المتوسّطة، بل تذكر مرّة نتيجة لقياس ومرّة مقدمة لقياس آخر.

❷ هذا من نوع القياس المركّب المفصول، وهو الذي فصلت عنه النّتائج وطويت فلم تذكر، كما تقول في المثال المتقدّم: (كلّ شاعر حسّاس)، و(كلّ حسّاس يتألّم)، و(كلّ من يتألّم قويّ العاطفة)، و(كلّ شاعر قويّ العاطفة)، وهذه عين النتيجة السّابقة في الموصول، والمفصول أكثر استعمالًا في العلوم، اعتمادًا على وضوح النتائج المتوسّطة فيحذفونها.

❸ الذَهَبي، شمس الدين (673 هـ - 748هـ، 1275م - 1347م)، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، التُركمانيّ الأصل، ثمّ الدمشقيّ، المقرئ. الإمام الحافظ، محدِّث العصر وخاتمة الحفَّاظ، ومؤرّخ الإسلام. طلب الحديث وله ثماني عشرة سنة، فسمع الكثير، ورحل، وعني بهذا الشأن، وتعب فيه، وخدمه إلى أن رسخت فيه قدمه. تصانيفه كثيرة تقرب من المائة، منها: تاريخ الإسلام؛ سير أعلام النبلاء؛ طبقات الحفّاظ؛ طبقات القرّاء؛ مختصر تهذيب الكمال؛ الكاشف؛ التجريد في أسماء الصحابة؛ والميزان في الضعفاء؛ المغني في الضعفاء؛ تلخيص المستدرك للحاكم؛ مختصر سنن البيهقيّ، وغيرها. ولد وتوفّي بدمشق.

....

= وإنّما حدث تخصيص الشرف بولد الحسن والحسين في مصر خصوصًا من عهد الفاطميّين❶، قاله السيوطيّ في (العجالة الزرنبيّة في السلالة الزينبيّة)، ونقله الشعرانيّ في (العهود المحمديّة)، والشيخ مصطفى البكري في شرحه على همزيّة البوصيري.

وقال المقّريّ في القواعد: هو حادث بعد مضيّ ثلاثة قرون المُثْنَى عليها اهـ❷.

وهو قديم عندنا بالمغرب من لدن افتتحه الأدارسة❸، ومنهم سرى إلى الفاطميّين بإفريقيّة❹ والقاهرة؛ لقربه منهم.

وحاصله: تخصيص الشّرف بأولاد السبطين❺ ليس بشرعيّ، وإنّما هو عرفيّ، وهذا من حيث الحكمُ عليهم بأنّهم آل، أمّا من حيث كونُهم بُضعةً من رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- فلا يوازيهم أحد، وهو محمل ما ورد في فضلهم.

---

❶ يشير مصطلح الفاطميّين أحيانا إلى مواطني الخلافة الفاطميّة أو إلى الخلفاء الذين تولّوا الحكم في الدولة الفاطمية، الذين ينتسبون إلى السيدة فاطمة بنت رسول الله، انتسابهم لأهل البيت عن طريق إسماعيل بن جعفر الصادق . يرى غالب المؤرّخين أنّ نسبهم كان منحولاً بفعل الحملة التي شنّها العباسيون ضدّهم، لوقف انتشار دعوتهم في البلدان التي كانت خاضعة للخليفة العباسي في بغداد. على أنّ المقريزي في (البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب)، و(في اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا)، وكذلك ابن خلدون في تاريخه، يجزمان بانتسابهما لأهل البيت. قام الفاطميون بتأسيس مدينة القيروان واتخذوها عاصمة لهم من عام 909 إلى 920، ثمّ مهدية من عام 920 حتّى تأسيسهم مدينة القاهرة في مصر في عام 969 والتي أصبحت بعد تأسيسها عاصمة الخلافة الفاطمية.

❷ قواعد المقّري (ص: 210)

❸ الأدَارِسَة: أسرة هاشمية حجازية الأصل تعود إلى آل البيت، جدّها الأعلى هو إدريس بن عبد الله، الملقب بإدريس الأوّل 172 إلى 177هـ الموافق 788 إلى 793م، ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله.

❹ إفريقية: أو المغرب الأدنى: هي الاسم الذي أطلق على المنطقة المُكَوَّنة من تونس الحالية ومنطقتي طرابلس (شمال غرب ليبيا) وقسنطينة (شمال شرق الجزائر)، والتي شكّلت ولاية تابعة للدّولة الإسلامية إبّان الفتح الإسلاميّ للمغرب.

❺ السبطان: هما الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء، وفضائلهما لا تحصى، تعتبر ذرّيّتهما أكبر بطون بني هاشم.

= ولله درّ القائل:

أَقُــــولُ قَــــوْلًا حَسَــــنًا قُلْتُــــهُ مَــــا الــــنَّفْسُ فِيمَــــا قُلْتُــــهُ آثِمَــــهْ

لِكُــــلِّ شَيْءٍ جَــــوْهَرٌ خَــــالِصٌ وَجَــــوْهَرُ الْخَلْــــقِ بَنُــــو فَاطِمَــــهْ

ونظير ذلك التّخصيص تـخصيصُهم بأكثر البلاد الـمشرقيّة بعصائبَ خُضْرٍ علـى العمائم شعارًا لـهم❶، ولله درّ ابن جابر الأندلسيّ❷ إذ يقول:

جَعَلُــــوا لِأَبْنَــــاءِ الرَّسُــــولِ عَلَامَــــةً إِنَّ الْعَلَامَــــةَ شَــــأْنُ مَــــنْ لَــــمْ يُشْــــهَرِ

نُــــورُ النُّبُــــوَّةِ فِــــي كَــــرِيمِ وُجُــــوهِهِمْ يُغْنِــــي الشَّــــرِيفَ عَــــنِ الطِّــــرَازِ الْأَخْضَــــرِ

❶ قال صاحب كتاب (مراقد أهل البيت في القاهرة) ص 167: لـم يكن مـن شـأن الأشراف منـذ عهـد النبـوّة الامتيـازُ بشعار معيّن، أو لباس خاصّ؛ اكتفاءً فـي الدلالة عليهم بالعمل الصالح، والدعوة إلـى الله، وتمثيلهم لـمكارم الأخـلاق، وتـمسّكهم بالتعارف والتعاون والعمل والإنتاج. حتى كانت أيام السلطان شعبان بن حسين بن مـحمّد بن قلاوون، فأراد أن يوسّع نطاق شعبيّته، وأن يـحيط نفسه بتجمّع جماهيري فاضل، فلم يـجد إلّا أن يتقرّب إلـى الأشراف، ويتحبّـب عـن طريقهم إلـى الناس، فخصّهم بمـا زعم أنّه يرضيهم، ومن ذلك أنه خصهم بلُبْسِ العَمـامة الخضراء.

يقول الشيخ العدوي في كتابه (مشارق الأنوار) ما ملخّصه: إنَّ العلمـاء فـي وقتها اعتـبروا هـذه العمـــامة بدعـة كريهـة؛ لـمـا فيها من الإشعار بالفخر والفضل، الأمر الذي يـجرّ إلـى الرياء والسمعة والـخيلاء، والشـرك الـخفيّ وحبـوط العمل، مـمّـا يـجب أن يترفّع عنه الشريف الصادق...

قال صاحب الكتاب: أمَّا نحن فمع هذا نقول عن العمـامة الـخضراء: إنْ لَبِسَهَا الناس علـى أنها عادة مجرّدة من الـمكاره الشرعية؛ فالـمرجوُّ ألا ينسحب عليها حكم البدعة الـممنوعة، من باب التيسير، وإلا فتركها أحوط وأحكم وأقوم وأكرم، أمَّا إذا لبسها للتعالـي والتباهي ونحو ذلك؛ فيمتنع لبسها أو يـحرم.

❷ هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي الهواري المالكي الأعمى، وكان قـد عمـي بسـبب مرض الجُدَريّ الذي عرض له، شاعر وكاتب وعالم باللغة العربية والبلاغة وُلـد عـام 1298 في مدينـة ألمريـة وتُـوفّي عـام 1378 في مدينة البيرة، ألّف العديد من الكتب منها: شرح ألفية ابن مالك، غاية المرام في تثليث الكلام، المنحـة في اختصـار الملحة، المقصد الصالح في مدح الملك الصالح. نظم ابن جابر الشعر وأكثر من النظم فـي الـمديح النبويّ، وله فيـه ديـوان سماه (العقدين فـي مدح سيد الكونين)، وله مشاركة خصبة فــي الشـعر التعليمـيّ إذ نظـم فيـه فصـيح ثعلـب، وكفايـة الـمتحفّظ وغير ذلك، وله بديعيّة اشتهرت بين البديعيّات، وهي قصائد فـي الـمديح النبويّ، وهذه القصـيدة مـن أشـهر قصائده التي يمدح بها النّبيّ -صلّـى الله عليه وسلّم-.

وفيمن فوقهم إلـى بني غالب قولان①، وأمّا من فوق غالب فليسوا بآل②.

= والوالدِ -قدّس الله سرّه- فـي قوله:

نُــورُ النُّبُــوَّةِ فِــي مِــرْآةِ وُجُــوهِهِمْ	يُغْنِــي عَــنِ الْعِمَّــةِ الْخَضْــرَاءِ وَالْعَلَــمِ
فَقُــلْ لِــمَنْ يَطْلُــبُ الْتِبَاسَــهُ بِهِــمْ	اَلْــوَرْدُ يَمْتَــازُ بِالسِّيمَــا مِــنَ السَّــلَمِ❶

الثانية: لـم يُعَقِّب من أعمـام النّبيّ -صلّـى الله عليه وسلّم- التسعة إلّا أربعة: أبـو طالـب، والعبّـاس، والـحرث، وأبـو لـهب، ذكره مصعب وابن حزم.

① قوله: (وفيمن فوقهم) الخ، الأوّل لأشهب أنّهم آل، الثّاني لابن القاسم أنّهم ليسوا بآل، وهو الـمشهور.

② قوله: (أمّا من فوق غالب فليسوا بآل) نحوه فـي الـجواهر، وراجع ابن سلمون❷، فقد ذكـر الـخلاف فـيمن فـوق غالب -أيضًا-. فائدة: رمز بعضهم بالـحرف الأوّل من كلّ كلمة من هذين البيتين إلـى واحد من آبائـه صلّـى الله عليـه وسلّم علـى ترتيبهم إلـى عدنان فقال:

عَلِقْــتُ شَــفِيعًا هَــالَ عَقْلِــي قِرَانُــهُ	كِتَــابٌ مُبِــينٌ كَسَــبَ لُبِّــي غَرَائِبُــهْ
فِــدَا مَعْــشَرٍ نَفْــسِي كِــرَامَ خُلَاصَــتي	عَلَــى إِلْفِهِــمْ مُــذْ نِيــلَ مَــجْدٌ عَوَاقِبُــهْ

قال فـي ك: الشين من (شفيعا) لعبد الـمطّلب؛ لأنّ اسمه شيبة، والعين من علـى لـمدركة؛ لأنّ اسمه عامر❸اهـ.

---

❶ هذا الشطر من البيت مقتبس من قصيدة البردة، البيت 131، وقوله: (والورد) بفتح الواو، ثمر شـجر معلـوم يقـال لـه بـالعربي أيضا حوجم، و(السَّلَم) بفتحتين، شجر يشبه شجر الورد، وشجر الورد يمتاز عنه بحسن الـخِلقة وبهاء الـمنظر، فـالورد مـجاز بمعنى الشجر، أو الورد علـى حقيقته والسّلَم مـجاز بمعنى زهر السّلَم. وحاصل معنى هـذا الشـطر: أن الأشراف يمتـازون بنـور النبوة، كمـا أنه يمتاز شجر الورد من شجر السَّلَم، وزهر الورد من نورة السَّلَم.

❷ ابن سلمون = عبد الله بن علي الكناني (...- 767 هـ =...- 1365 م) سلمون بن علـي بـن سـلمون، أبـو القاسـم الكنانـي البياسي الغرناطي: قاضي غرناطة. مالكيّ، عالـم بالعقود والوثائق. صنّف (العقد الـمنظّم للحكّام، فيمـا يـجري علـى أيديهم مـن العقود والأحكام).

❸ العين من (علقت) لوالده عبد الله. والشين لشيبة، وهو عبد الـمطّلب. والهاء لـ(هاشم). والعين لعبد مناف. والقـاف لقُصـيّ. والكاف لكلاب. والـميم لـمرّة. والكاف أيضًا لكعب. واللام للؤيّ. والغين لغالب. والفاء لفهر. والـميم أيضًا لـمـالك. والنـون للنضر. والكاف لكنانة. والـخاء لـخزيمة. (والعين لـمدركة؛ لأنّ اسمه عامر). والألف لإلياس. والـميم لـمُضر. والنـون لنـزار. والـميم لـمعد. والعين لعدنان الـجدّ الـمتّفق فـي النسبة إليه الـمختلف فيمـا فوقه إلـى آدم عليه الصّلاة والسّلام.اهـ من (جـذوة الاقتباس فـي ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس)، لأحمد بن القاضي الـمكناسي (ت1025هـ)؛ (1/ 99-100)، دار الـمنصور للطباعة والوراقة، الرباط، سنة 1973م. ولكنّه ذكر فـي النسخة الـمطبوعة: (والــميم لــمدركة، والصّـواب مـا صـحّحناه بـين قوسين).

و(صحبه) اسم جمع لا مفرد له من لفظه، وقيل: جمع لـ(صاحب)، كراكب وركب① ....

= ونسب في جذوة الاقتباس هذين البيتين لأبي القاسم الفجيجي❶، قال: وقيل: للونشريسيّ❷، أو الزقّاق❸، ولم ينسبها ابن مرزوق❹، خلافا لما في ك، لكن أنشد فيه: (آلفهم) بدل (إلفهم)، وهو ظاهر والله أعلم❺.

① قوله: (اسم جمع) الخ، الأوّل لسيبويه، والثاني للأخفش❻، والتحقيق الأوّل❼؛ لأنّه ليس من أبنية الجمع......=

❶ الفقيه أبو القاسم بن عبد الجبار الفجيجي التلمسانيّ، له شرح على قصيدة إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي الصيدية. وفي سنة 986 ألّف شرحه الجيّد على القصيدة السلوانية، وسمّاه (الفريد في تقييد الشريد، وتوصيد الوبيد).

❷ الوَنْشَرِيسي (834 - 914 هـ = 1430 - 1508 م) أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي التلمساني، أبو العباس، فقيه مالكي، أخذ عن علماء تلمسان، ونقمت عليه حكومتها أمرا فانتهبت داره وفر إلى فاس سنة 874 هـ فتوطنها إلى أن مات فيها، عن نحو 80 عاما. من كتبه: إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، المعيار المعرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس وبلاد المغرب.

❸ هو أحمد بن علي بن قاسم الزقاق التجيبي الفاسي، يكنى: أبا العباس، كان رحمه الله من أهل العلم والفضل، وكان مائلا إلى طريق التصوف، له تآليف مفيدة شاهدة على تضلعه في العلوم، منها: شرح منظومة والده المسماة: (المنهج المنتخب في قواعد المذهب)، توفي بفاس سنة 932.

❹ محمّد بن أحمد بن محمّد، ابن مرزوق العجيسيّ التلمسانيّ، أبو عبد الله، المعروف بالحفيد، أو حفيد ابن مرزوق، (766 ـ 842هـ) عالم بالفقه والأصول والحديث والأدب. ولد ومات في تلمسان، ورحل إلى الحجاز والمشرق. له كتب وشروح كثيرة، منها: المفاتيح المرزوقية لحلّ الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية، أنواع الذراري في مكررات البخاري.

❺ قوله: (لكن أنشد فيه: آلفهم) الخ، كذا في الأصل، ولعلّ الصواب: لكن أنشد فيه: (على آلهم) بدل (على إلفهم)؛ ليستقيم الرمز والوزن، فتأمّل، كتبه مصحّحه (صالح مراد الهلالي).

❻ قال الأخفش: كلّ ما يفيد معنى الجمع على وزن (فَعْل) وواحده اسم فَاعِل كصَحْب وشَرْب في صاحب وشارب، فهو جمع تكسير واحدُهُ ذلك الفاعل. شرح شافية ابن الحاجب - الرضي الأستراباذي (2/ 203)

❼ من أدلّة سيبويه: تصغيرها على لفظها، قال:

وأتى رُكيبٌ، واضعون رحالهم * إلى أهل نار، من أناسٍ بأسْودا

وهي للكثرة باتفاق، فلو كانت جموعاً لم تصغّر على لفظها كجموع الكثرة. المساعد على تسهيل الفوائد (3/ 391)

والـمراد: الصحابة، جمع: صحابـيّ①...

= كمـا ذكره الأشمونـي ❶، فعلم أنّ اسم الـجمع قد يكون له واحد من لفظه❷، وقولـهم: (ما لا واحد له من لفظه بـل من معناه كجيش) لعلّه نظر للغالب، أو خلاف التحقيق، وإنّمـا الفرق بينهمـا: لفظيّ بكونه مغايرًا للمـوازين الـمعلومة للجموع، ومعنويّ بأنّ الـجمع كُلّيّة فـي قوّة التكرار بحرف العطف، واسم الـجمع كـلّ، أفـاده الأشمونـيّ فـي شرح الألفيّة، لعلّه نظر للأصل، وإلّا فيقال: حمل الرّجال الصخرة، وأعطيت الـجيش دينارًا دينارًا❸.

① قوله: (والـمراد الصحابة، جمع صحابـيّ) أي الذي هو أخصّ من مطلق (صـاحب)، فـإنّ هـذه التسـمية حادثـة فــي الإسلام، وليست فـي قديم اللغة، وإنّمـا الذي فيه: (صاحب) و(أصحاب)، وما ادعّاه من أنّ (صحابة) جمع (صحابـيّ)، وهو ما ذكره ابن هشام اللّخميّ فـي شرح الفصيح نقلا عن بعض النحاة❹، ومـذهب الـجمهور وصرّح بـه ابـن جنّـي وغيره أنّه مصدر بمعنى (الصّحبة)، كـ(الـجزالة)❺..=

---

❶ الأُشْمُوني (838 – نحو 900 هـ = 1435 – نحو 1495 م) علـي بن مـحمّد بن عيسى، أبـو الـحسن، نـور الـدين الأشمونـي: نحويّ، من فقهاء الشافعيّة. أصله من أشمون (بمصر) ومولـده بالقـاهرة. ولـي القضـاة بـدمياط. وصـنّف «شرح ألفية ابن مالك» فـي النحو، و«نظم الـمنهاج» فـي الفقه، و«شرحه»، و«نظم جمع الـجوامع» و«نظـم إيسـاغوجي» فـي الـمنطق.

❷ قوله: (فعلم أنّ اسم الـجمع قد يكون له واحد من لفظه) اسم الـجمع علـى ثلاثة أقسام: الأوّل: ما ليس له واحد من لفظه وليس علـى وزن من أوزان الـجموع الـمعروفة، وهذا القسم متّفق عليه عند النّحاة، وهو نحو: (إبل)، و(غنم).

الثانـي: ما كان له واحد من لفظه وليس علـى وزن مـن أوزان الــجموع الــمعروفة، نحـو: (ركـب)، و(جامـل)، وفيـه خلاف.

الثالث: ما كان علـى وزن من أوزان الـجموع الـمعروفة، وجرت عليه أحكام اسم الـجمع، نحـو: (رِكـاب)، و(فِئـة)، و(نِسوة).

❸ اسم الـجمع كلّ: الكلّ لا يتبع الـحكم فيـه كـلّ فـرد مـن أفـراده، كأسمـاء الأعـداد. والـحكم فــي الكـلّ علــى الـمجموع لا علـى كلّ فرد بانفراده، وذلك كقولنا: كلّ إنسان يَشِيلُ الصخرة العظيمـة، تقـول: حمـل الرّجـال الصـخرة، (رجال) كلّيّة، لا يستلزم أن يتبع الـحكم كلّ فرد.

الـجمع كلّية: الكلّيّة يتبع الـحكم فيها كلّ فرد من أفرادها. كقوله تعالـى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} الرحمن: الآية 26. تقـول: أعطيت الـجيش دينارًا دينارًا الـجيش كلّ، يستلزم أنّ كلّ جنديّ أعطي دينارًا.

❹ شرح الفصيح لابن هشام اللخمي (ص: 235).

❺ تاج العروس من جواهر القاموس – ث (3/ 186): والصحبة مصدر قولك : صحب يصحب صحبة.

وهو: من اجتمع مؤمنًا بمحمّد -صلّى الله عليه وسلّم-①..

= أطلقت على الجماعة المعلومة من باب (زيد عدل) وليس بجمع، إذ ليس لنا وزن على (فَعالة) يضبط شيئا من المفردات❶، قاله محشّي القاموس❷.

① قوله: (اجتمع مؤمنًا بمحمّد -صلّى الله عليه وسلّم-) يعني بعد البعثة ولو بعد إنذاره؛ ليدخل ورقة❸، ومن ثَمّ عدّه جمع في الصحابة❹. وأمّا من اجتمع معه قبل البعثة مؤمنًا بأنّه سيبعث، كبَحِيرَى الراهب❺ وزيد بن عمرو بن نفيل❻

---

❶ وفي حديثِ قَيْلَةَ: «خَرَجْتُ أَبْتَغِي الصَّحَابَةَ إِلى رَسُولِ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-» هُوَ بِالْفَتْحِ؛ جَمْعُ صَاحِبٍ وَلَمْ يُجْمَعْ (فَاعِلٌ) عَلَى (فَعَالَةٍ) إِلَّا هَذَا؛ لسان العرب (1/ 519).

❷ محشّي القاموس هو محمّد بن الطيّب محمّد بن محمّد بن محمّد الشرقيّ الفاسيّ، المغربيّ، المالكيّ، نزيل المدينة المنورة، محدّث علاّمة باللغة والأدب. مولده بفاس سنة 1110 هـ، ووفاته بالمدينة سنة 1170 هـ. وهو شيخ الزبيدى صاحب (تاج العروس). من كتبه: (شرح ألفية ابن مالك) في النحو. و(المسلسات) في الحديث، و(إِضاء الرامُوس وإفاضة الناموس على أضاة القاموس)، وهو حاشية على القاموس المحيط، للفَيْرُوزآبادى.

❸ ورقة بن نَوْفَل: (000 - نحو 12 ق هـ = 000 - نحو 611 م) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، من قريش: حكيم جاهليّ، اعتزل الأوثان قبل الإسلام، وامتنع من أكل ذبائحها، وتنصّر، وقرأ كتب الأديان. وكان يكتب اللغة العربيّة بالحرف العبرانيّ. أدرك أوائل عصر النبوّة، ولم يدرك الدعوة. وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين.

❹ قال البغدادي: ألّف أبو الحسن برهان الدين إبراهيم البقاعيّ تأليفا في إيمان ورقة بالنبيّ، وصحبته له، سمّاه (بذل النصح والشفقة، للتعريف بصحبة السيد ورقة).

❺ الراهب بحيرى: كان راهبا في منطقة بُصرَى الواقعة في جنوب بلاد الشام، كانت لديه مؤشّرات ممّا عنده من كتب ومأثورات على قرب ظهورِ نبيّ في شبه الجزيرة العربية، وحسب رواية الترمذي فإنّ رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- عندما كان مسافرا ضمن قافلة تجارية مع عمه أبي طالب، وهو في التاسعة أو في الثانية عشرة من عمره، وعندما توقّفت القافلة في بُصرى فإنّ الراهب بحيرى الذي كان يعيش في صومعة قريبة من مكان توقف القافلة قد شاهد أنّ (كلّ شجرة وصخرة قد ركعت له، وأنّ ذلك لم يحدث إلّا للأنبياء).

❻ قال ابن حجر: زيد بن عمرو بن نفيل العدويّ، والد سعيد بن زيد ... ابن عمّ عمر بن الخطّاب. ذكره البغويّ، وابن مندة، وغيرهما في الصّحابة، وفيه نظر؛ لأنّه مات قبل البعثة بخمس سنين، ولكنّه يجيء على أحد الاحتمالين في تعريف الصّحابي، وهو أنّه من رأى النبيّ -صلّى الله عليه وآله وسلم- مؤمنا به هل يشترط في كونه مؤمنًا به أن تقع رؤيته له بعد البعثة فيؤمن به حين يراه أو بعد ذلك، أو يكفي كونه مؤمنا به أنّه سيبعث كما في قصّة هذا وغيره؟ الإصابة في تمييز الصحابة (2/ 507).

....

= فنظر فيه الـحافظ ابن حجر، ووجّهه الكمـال بن أبـي شريف❶ بأنّه لـم يكن حينئذ نبيًّا، فملاقيه لـم يلق النّبـيّ، لكـن كان نبيًّا عند الله، فيخرج بالاعتبار الأوّل ويدخل بالثانـي.

ويدخل فـي قوله: (مؤمنًا): الـملائكةُ الذين اجتمعوا به فـي الأرض❷، وجنُّ نصيبين❸ علـى الـراجح عنـد الــحافظ ابن حجر فـي ترجمة زوبعة الـجنّيّ فـي الإصابة، قال: لأنّ النّبيّ -صلّـى الله عليه وسلّم- بُعث إليهم قطعًا............=

❶ كمـال الدين بن أبـي شريف (822 ـ 906 هـ = 1419 ـ 1501 م) فقيـه مـن فقهـاء الشـافعيّة، عالـم بالأصـول، مفسّـر، متكلّم، ولد فـي القدس، وقرأ علـى بعض علمـائها القرآن بالروايات والعربيّة والأصول والـمنطق والعـروض والـحديث والفقه، ورحل إلـى القاهرة وأخذ عن علمـائها كابن حجر والشمس القاياتـي والعزّ البغداديّ والكمـال بـن الـهمـام وغيرهم. وسمع بالـمدينة علـى الـمحبّ الطبريّ وغيره، وبمكّة علـى أبـي الفتح الـمراغيّ وغـيره. واسـتوطن القاهرة وانتفع به أهلها، ثمّ عاد إلى بيت الـمقدس وتولّـى عدّة مدارس وتوفـي بها، وقيل: توفّـي بمصر.

❷ اختلف فـي دخول الـملائكة فـي مفهوم الصحبة: فقد ذهب جماعة منهم إلـى أنّه كان مبعوثـاً لـهـم، و مرسـلاً إلـيهم، وقد لقيه بعضهم وهم مؤمنون به، فثبتت لـهم الصحبة، ومـمّن جرى علـى هـذا القـول: الإمـام السـيوطيّ فــي كتابـه (الـحبائك فـي معرفة أخبار الـملائك)(ص 211). و رجحه القاضي شرف الدين البارزي وتقي الدين السبكي والإمـام الحافظ ابن كثير، و أثبت بعض الأصوليين فيه الإجماع كمـا فـي الـمواهب اللّدنّيّة (7/ 28) . وعلـى القول بـأنهم ليسـوا صحابة مشى الـحليميّ، وأقرّه البيهقيّ فـي الشعب، بل نقل الإمام فخر الدّين فـي (أسرار التّنزيل) الإجماع علـى أنه صلّى الله عليه وسلم لم يكن مرسلا إلـى الـملائكة، وحكاه هو والبرهان النسفيّ فـي تفسيريهمـا، ونوزعا فـي هذا النقل. ينظر: فتح المغيث (3/ 97)

❸ جاء فـي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنّـه كـان يـحمل مـع النّبـيّ -صلّــى الله عليـه وسـلّم -إدواة لوضـوئه وحاجته، فبينمـا هو يتبعه بها فقال: «من هذا؟» فقال: أنا أبو هريرة، فقال: «أبغني أحجارًا أستنفض بها، ولا تأتيني بعظم ولا بروثة»، فأتيته بأحجار أحملها فـي طرف ثوبـي حتى وضعت إلـى جنبه، ثـمّ انصـرفت، حتـى إذا فـرغ مشـيت معـه فقلت: ما بال العظم والروثة؟ قال: «هما من طعام الـجنّ، وإنّه أتانـي وفد جنّ نصيبين – ونِعْمَ الـجنُّ– فسألونـي الـزاد، فدعوت الله لـهم أن لا يمرّوا بعظم ولا بروثة إلّا وجدوا عليها طعمًـا». رواه البخاري. و(نصيبين) هذه قيل: إنّهـا مدينـة بالشام، وجنّها سادات الجنّ، وقيل: إنّها قرية باليمن غير التي في العراق، وقيل: إنّهم من نينوى، وأنّ جنّ نصيبين أتوه بعـد ذلك بمكّة، وذكر ابن حجر أنّ (نصيبين) منطقة بين الشام والعراق، وذكر القرطبيّ أنّ الجنّ الذين قـدموا علــى الرسـول وهو بمكّة كانوا سبعة نفر: ثلاثة من أهل حران وأربعة من أهل نصيبين، والذين أتوه بنخلة جنّ نينوى.

....

= فمن عُرف اسمه منهم لا يبقى التردّد في ذكره في الصحابة❶. ويخرج من التعريف: من اجتمع به كافرًا، فليس بصاحب له؛ لعداوته، ولو أسلم بعد وفاته، كرسول قيصر❷، قاله العراقيّ❸. وتنظير ابن عرفة فيه قصور❹.......=

❶ قال ابن حجر: روى الحاكم في (المستدرك)، وابن أبي شيبة، وأحمد بن منيع مسنديهما، من طريق عاصم، عن زرّ، عن عبد الله، قال: هبطوا على النبيّ -صلّى الله عليه وآله وسلّم- وهو يقرأ ببطن نخلة، فلمّا سمعوه قالوا: أنصتوا، وكانوا سبعة، أحدهم زوبعة. إسناده جيّد، ووقع لنا بعلوّ في جزء ابن نجيح. قلت: أنكر ابن الأثير على أبي موسى إخراجه ترجمة هذا الجنيّ، ولا معنى لإنكاره؛ لأنّهم مكلّفون، وقد أرسل إليهم النبيّ -صلّى الله عليه وآله وسلّم- فآمن منهم به من آمن، فمن عرف اسمه ولقيه للنبيّ -صلّى الله عليه وآله وسلّم- فهو صحابيّ لا محالة. الإصابة في تمييز الصحابة (2/ 480).

❷ هو التنوخي الذي بعثه قيصر رسولا إلى رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلّم- بتبوك، فقال له رسول الله: هل لك في الإسلام الحنيفية ملّة أبيك إبراهيم؟ فقال التنوخي: إنّي رسول قوم، وعلى دين قوم، لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم. فضحك وقال: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص: 56]. انظر قصته بكاملها في مسند أحمد ط الرسالة (24/ 416) / حديث التنوخي عن النبي / الحديث 15655.

❸ العراقي، الحافظ أبو الفضل (725 - 806 هـ، 1325 - 1404 م). الحافظ أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم، الكردي الرازناني الأصل، المهراني، المصري، الشافعي. يقال له: العراقي نسبة إلى العراق لأن أصله كردي من بلدة من أعمال أربيل يقال لها: رازنان، ثم تحول والده لمصر وهو صغير، ونشأ هناك، وتزوج بامرأة صالحة عابدة ولدت له عبد الرحيم بالمنشية بمصر. توفي بالقاهرة بعد أن ترك مصنفات كثيرة منها: ألفيته في مصطلح الحديث وشرحها، وعدة تخاريج منها: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين.

❹ قوله: (وتنظير ابن عرفة فيه قصور): قال ابن عرفة عند تفسيره لقوله تعالى: {فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ} [الذاريات: 59]: أي حظًّا، وظاهر استعمال الأدباء له أنّه خاصّ بالشّرّ، ويصحّ أن يكون مشتركا بينه وبين الخير، ومنه حديث الموطأ: «أَمَرَ بِذَنُوبٍ مِنْ مَاءٍ، فَصُبَّ عَلَى بول الأعرابي»، وفي البخاري ومسلم في فضائل عمر: «فَنَزَعَ ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ»، ويؤخذ من الآية أنّ الصحبة تصدق بمطلق المشاركة في الوصف، والمتحدّثون مطبقون على منع ذلك وإنّما اختلفوا: فمنهم من يطلقها على المشاركة في الزمان، ويجعل الصحابيّ من عاصر النبيّ -صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم- وإن لم يره، ومنهم من يقيّد ذلك بالرؤية، فإنّ هذه لغة وذلك اصطلاح، قلت: بل هذا عرف، فيصحّ فيمن اتّصف بالكفر والعصيان، يقال: (هذا صاحب فرعون). تفسير ابن عرفة (4/ 75).

وابن عرفة (716 - 803 هـ = 1316 - 1400 م) هو محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي، نسبته إلى (ورغمة) قرية بإفريقية، أبو عبد الله: إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره. مولده ووفاته فيها. من كتبه: (المختصر الكبير) في فقه المالكية، (الحدود) في التعاريف الفقهية.

= والـمراد بالاجتماع كما قال الكمال وغيره: الـمتعارف، لا ما وقع على سبيل خرق العادة، كمن اجتمع به ليلة الإسراء من الأنبياء والـملائكة، فليسوا بصحابة؛ لعدم بروزهم حينئذ لعالـم الدنيا كما جزم به البُلْقِينيّ❶، إلا عيسى -على نبيّنا وعليه السلام- فصحابيّ كما جزم به الذهبي وغيره❷؛ لرفعه حيًّا ونزوله بعدُ، وحكمه بشرع الـمصطفى -صلّى الله عليه وسلّم-، وهو أفضل الأمّة كما أشار له التاج السبكيّ بقوله لغزًا:

مَن باتّفاق جميع الـخلق أفضل مِن　　خير الصّحاب أبي بكر ومِن عمر
ومِن عليّ ومِن عثمان وهو فتى　　من أمّة الـمصطفى المختار من مضر

وجوابه❸:

ذاك ابن مريم روح الله حيث رأى　　نبيّنا الـمصطفى في أحسن الصُّوَر
فوق السموات ليلا عندما اجتمعا　　كذاك عند ظراب البيت والحجر

---

❶ مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح (ص: 111). والبُلْقينيّ هو: سراج الدين البُلْقِينيّ (724 - 805 هـ = 1324 - 1403 م) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانيّ، العسقلانيّ الأصل، ثمّ البُلْقِينيّ الـمصريّ الشافعيّ، أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد في بُلْقِينة (من غربية مصر) وتعلّم بالقاهرة. وولي قضاء الشام سنة 769 هـ وتوفّي بالقاهرة. من كتبه: تصحيح الـمنهاج في الفقه، ومحاسن الاصطلاح في الحديث.

❷ قال الذهبي في (تجريد أسماء الصحابة، 1 / 432): عيسى بن مريم نبيّ صحابي، فإنه رأى النبي عليه وعلى آله وسلم، فهو آخر الصحابة موتاً اهـ.

وقال السبكي رحمه الله في الطبقات: 9 / 115: قَالَ لي شَيخنَا الذَّهَبِيّ مرّة: من فِي الْأمة أفضل من أبي بكر الصّديق -رَضِي الله عَنهُ- بِالْإِجْمَاع؟ فَقلت: يفيدنا الشَّيْخ ؟ قَالَ: عِيسَى بْن مَرْيَم عَلَيْهِ السَّلَام، فَإِنَّهُ من أمة الْـمُصْطَفى -صلّى الله عَلَيْهِ وَسلّم-، ينزل على بَاب دمشق، ويأتمّ فِي صَلَاة الصُّبْح بإمامها، وَيحكم بِهَذِهِ الشَّرِيعَة. انتهى.

وكذا قال الحافظ العراقي في نكته على ابن الصلاح، والحافظ ابن حجر في الإصابة، والحافظ السيوطي في التهذيب، وفي الإعلام بحكم عيسى عليه السلام. وجاء في موقع الإسلام سؤال وجواب السؤال رقم: 226877: البحث في هذه الـمسألة إن كان من أجل تحرير تعريف الصحابيّ وضبط ألفاظه ، فهذا لا بأس به، أمّا إن كان من أجل إثبات الصحبة أو نفيها عن عيسى -عليه السلام-، فهذا البحث لا فائدة من ورائه، فإنّ عيسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، وهي أعلى منزلة للبشر، فإثبات الصحبة له لن يزيده رفعة.

❸ الـجواب لابن حمدون -رحمه الله-.

سواء رآه أو لا①..

① قولـه: (سـواء رآه) الـخ، أي: وسـواء روى عنـه أم لا❶، وإن لـم تطـل صـحبته علـى الأصحّ كمـا فـي جمع الـجوامع❷، بخلاف التّابعيّ، فلا بدّ من طول اجتماعه بالصحابيّ على الأصحّ.

قال الـمحلّيّ❸: والفرق: أنّ الاجتماع بالـمصطفى -صلّى الله عليـه وسلّم -يـؤثّر مـن النـور القلبـيّ فـي لـحظةٍ أضعافَ ما يؤثّره الاجتماع الطويل بالصّحابيّ وغيره من الأخيار❹.

لكن قال ابن أبي شريف: الذي عليه أكثر أهل الـحديث ورجّحه ابـن الصـلاح والنـوويّ وغيرهـما أنّـه لا يشـترط فـي التابعيّ طول الصّحبة للصّحابـيّ أيضًا❺اهـ.

---

❶ قال ابن حجر عند تعريفه للصحابيّ: (وأصحّ ما وقفت عليه من ذلك أنّ الصحابيّ من لقي النّبيّ -صلّـى الله عليـه وسلّم- مؤمناً به، ومات على الإسلام؛ فيدخل فيمن لقيه: من طالت مـجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لـم يرو، ومن غزا معه أو لـم يغز، ومن رآه رؤية ولو لـم يـجالسه، ومن لـم يره لعارض كالعمى). الإصابة في تـمييز الصـحابة (1/ 158).

وجاء في حاشية العطّار على شرح الـجلال الـمحلّي على جمع الجوامـع (2/ 197): وقـال الـمحلّـي: وعَـدَلَ (أي صاحب جمع الجوامع) عن قول ابن الـحاجب وغيره: (من رأى النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-) ليشمل الأعمى مـن أوّل الصحبة، كابن أم مكتوم.

❷ جمع الـجوامع في أصول الفقه لتاج الدين السبكيّ (727-771هـ)، أحد أشهر كتب أصول الفقه عنـد أهـل السـنّة والـجماعة، وضعه مصنّفه في الأصلَيْن (أصول الفقه وأصول الدين)، وأودع فيه زبدة ما في شرحَيْـهِ علـى مـختصر ابن الـحاجب، ومنهاج البيضاوي، مع زيادات كثيرة من كتب الأصول وغيرها، أكثر من مائة مصنَّف.

❸ جلال الدين الـمحلّي (791 - 864 هـ = 1389 - 1459 م) مـحمّد بن أحمد بن مـحمّد بـن إبـراهيم الـمحلّـي الشّافعي: أصولـيّ، مفسّر. مولده ووفاته بالقاهرة. عرّفه ابن العمـاد بتفتازانـي العرب. كان مَهيبًا صدّاعًا بالـحقّ، عُرض عليه القضاء الأكبر فامتنع. وصنّف كتابـا فـي التفسـير أتـمّه الـجلال السيوطي، فسمّي (تفسـير الـجلالَيْن)، ومـن مصنفاته: (البدر الطالع في حلّ جمع الـجوامع) في أصول الفقه، وغيرهما من الكتب.

❹ جمع الجوامع / الكتاب الثاني من السنة / الكلام في الأخبار / مسألة الشخص الذي يسمى صحابيا.

❺ حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (2/ 198)

كابن أمّ مكتوم الأعمى، وهذا هو سرّ التعبير بالاجتماع دون الرؤية.

= قال العراقيّ: ولا بدّ في التعريف من زيادة: (ومات على ذلك)؛ لإخراج من مات مرتدًّا كعبد الله بن خَطَل ❶.

قال في ك: ورُدّ بأنّه يقتضي أن لا تتحقّق الصحبة لأحد في حياته، وهو خلاف الإجماع اهـ. وفيه نظر، بل الزيادة صحيحة ولا تقتضي ذلك؛ لأنّ هذا التعريف إنّما وقع بعد عصر الصحابة لتمييزهم من غيرهم، فلولا تلك الزيادة لدخل في التعريف من ارتدّ ومات على ردّته، أشار له المحلّيّ ❷.

فإن عاد للإسلام بعد ردّته ولم يجتمع معه عادت مجرّدةً عن الثواب عند الشافعيّة ❸..........................=

---

❶ التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للحافظ العراقي (ص: 292).

وقال الواقديّ في سبب رِدّة ابْنِ خَطَلٍ: وكان جُرْمُهُ أنّه أسْلم وهاجر إلى الـمَدِينَةِ وَبَعَثَهُ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ساعيًا، وبعث مَعَهُ رَجُلًا مِنْ خُزَاعَةَ، فَكَانَ يَصْنَعُ طَعَامَهُ وَيَخْدُمُهُ، فَنَزَلَا فِي مَجْمَعٍ، فَأَمَرَهُ يَصْنَعُ لَهُ طَعَامًا، وَنَامَ نِصْفَ النَّهَارِ، فَاسْتَيْقَظَ وَالْخُزَاعِيّ نَائِمٌ وَلَمْ يَصْنَعْ لَهُ شَيْئًا، فَاغْتَاظَ عَلَيْهِ، فَضَرَبَهُ فَلَمْ يُقْلِعْ عَنْهُ حَتّى قَتَلَهُ.

فَلَمّا قَتَلَهُ قال: وَاَللهِ لَيَقْتُلَنّي مُحَمّدٌ بِهِ إنْ جِئْتُه. فَارْتَدّ عَنْ الْإِسْلَامِ، وَسَاقَ مَا أَخَذَ مِن الصّدَقَةِ وَهَرَبَ إلَى مَكّةَ.

فَقَالَ لَهُ أَهْلُ مَكّةَ: مَا رَدّك إلَيْنَا؟

قَالَ: لَمْ أَجِدْ دِينًا خَيْرًا مِنْ دِينِكُمْ.

فَأَقَامَ عَلَى شِرْكِهِ، وَكَانَتْ لَهُ قَيْنَتَانِ، وَكَانَ يَقُولُ الشّعْرَ يَهْجُو رَسُولَ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَيَأْمُرُهُمَا تُغَنّيَانِ بِهِ، وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ وَعَلَى قَيْنَتَيْهِ الـمُشْرِكُونَ فَيَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، وَتُغَنّي الْقَيْنَتَانِ بِذَلِكَ الْهِجَاءِ.

وَتَعَلُّقُ ابْنِ خَطَلٍ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ هُوَ ظَنٌّ مِنْهُ أَنَّ ذَلِكَ يُنْجِيهِ؛ لِحُرْمَةِ الْكَعْبَةِ فِي نُفُوسِ الـمُسْلِمِينَ، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمَرَ بِقَتْلِهِ وَلَوْ تَعَلَّقَ بِأَسْتَارِهَا؛ كَمَا فِي حَدِيثِ أَنَسٍ -رَضِيَ الله عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: دَخَلَ عَامَ الْفَتْحِ وَعَلَى رَأْسِهِ الـمِغْفَرُ، فَلَمَّا نَزَعَهُ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ ابْنَ خَطَلٍ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَقَالَ: اقْتُلُوهُ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

❷ الدر الثمين والمورد المعين (ص: 18).

❸ قال تعالى: {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: 217].

قال الشافعيّة: إن الوفاة على الردّة شرط في حبوط العمل، أخذًا من قوله تعالى: {فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} فإن عاد إلى الإسلام فإنّه يحبط ثواب عمله فقط، ولا يطالب بالإعادة. القليوبي 4 / 174.

وبين الآل والصحب عموم وخصوص من وجه①: فيجتمعان في مثل عليّ -كرّم الله وجهه-، وتنفرد الصّحبة في نحو الصّدّيق -رضي الله عنه- ❽، وتنفرد الآلية في نحو زين العابدين ❾.........................

= وفائدتها: التسمية والكفاءة، فيسمّى صحابيًّا ويكون كفؤًا لبنت الصحابيّ، وقد أطبق الـمحدّثون على عدّ الأشعث بن قيس ❶ ونحوه ممّن وقع له ذلك من الصّحابة، وإخراجهم أحاديثهم في الـمسانيد، وزوّجه أبو بكر أخته، واشتهر عند الـمالكيّة عدم العود؛ للإحباط ❷، وجزم به في ك ❸، وكذا عج ❹ وأتباعه، وتردّد الـحطّاب في ذلك.

① قوله: (وبين الآل والصّحب عموم) الخ، هذا على تفسير الآل بما ذكره ❺، وأمّا على تفسيره بما هو الـمناسب في هذا الـمقام ❻، فعطفُ الآل على الصّحب من عطف الـخاصّ على العامّ، وبه جزم القرافيّ في حواشي القاموس ونسبه لـحواشي الـمطوّل ❼.

---

❶ الأشعث بن قيس (23 ق هـ - 40 هـ = 600 - 661 م) ابن معدي كرب الكندي، أبو محمد: أمير كندة في الـجاهليّة والإسلام. كانت إقامته في حضرموت، ووفد على النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- بعد ظهور الإسلام، في جمع من قومه، فأسلم، ... ولـمّا ولي أبو بكر الـخلافة امتنع الأشعث من تأدية الزكاة، فتنحّى والي حضرموت بمن بقي على الطاعة من كندة، وجاءته النجدة فحاصر حضرموت، فاستسلم الأشعث وفتحت حضرموت عنوة، وأُرسل الأشعث موثوقا إلى أبي بكر في الـمدينة ليرى فيه رأيه، فأسلم وأطلقه وزوّجه أخته أم فروة.

❷ مستدلّين بقوله تعالى: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ} [المائدة: 5].

❸ قال ميّارة في الدر الثمين والـمورد المعين (ص: 18): عدم وصف الـمرتدّ بالصحبة بعد الردّة؛ لأنّ الردّة أحبطتها بعدم وجودها له بالإيمان.

❹ نور الدين الأُجْهُوري هو علي بن محمد بن عبد الرحمن بن علي، أبو الإرشاد، شيخ الـمالكية في عصره بالقاهرة، ومن العلماء بالـحديث، أخذ عن مشايخ كثيرين، وألّف التآليف الكثيرة منها شروحه الثلاثة على مختصر خليل في فقه المالكية، شرح الدرر السنية في نظم السيرة النبويّة، النور الوهاج في الكلام على الإسراء والمعراج، وحاشية على شرح التتائي للرسالة، وشرح عقيدة الرسالة، وشرح ألفية السيرة للزين العراقي، وشرح التهذيب للتفتازاني في المنطق، وحاشية على شرح النخبة للحافظ ابن حجر.

❺ أي أقاربه المؤمنون من بني هاشم.

❻ أي مقام المدح، فالآل كلّ مؤمن تقيّ.

❼ الـمطوّل شرح فيه التفتازانيّ القسم الثالث من كتاب تلخيص مفتاح العلوم للقزوينيّ، ومفتاح العلوم للسكّاكيّ في علوم البلاغة.

❽ هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب.

❾ زَيْن العابِدين (38 - 94 هـ = 658 - 712 م) عليّ بن الـحسين بن عليّ بن أبي طالب، الـهاشميّ القرشيّ، أبو الـحسن، كان يضرب به الـمثل في الـحلم والورع. يقال له: (عليّ الأصغر) للتمييز بينه وبين أخيه (عليّ) الأكبر، مولده ووفاته بالـمدينة. أحصي بعد موته عدد من كان يقوتهم سرًّا، فكانوا نحو مائة بيت.

فلذلك عَطَف أحدهـمـا علـى الآخر ولـم يكتف بواحد منهمـا عن الآخر.

والـمقتدي①: الـمتّبع، أي للنبيّ -صلّـى الله عليه وسلّم-.

قوله:

وَبَعْـــدُ❷ فَـــالْعَونُ مِـــنَ اللهِ الْـمَجِيـــدْ ... فِـــي نَظْـــمِ أَبْيَـــاتٍ لِلُامِّـــيِّ تُفِيـــدْ

فِـــي عَقْـــدِ الاَشْـــعَرِيِّ وَفِقْـــهِ مَالِـــكْ ... وَفِـــي طَرِيقَـــةِ الْجُنَيْـــدِ السَّـــالِكْ

(بَعْدُ) من الأسمـاء اللّازمة للإضافة، فإذا قطع عنها❸ لِـحَذْفِ الـمضاف إليه اختصارًا لقرينـة ذِكْـرِه أوّلًا كمـا هـو فـي كلام الناظم بُنِيَ؛ لشَبَهِه بالـحرف فـي الافتقار لـِمـا بعده②......................

① قوله: (والـمقتدي) الـمراد به الاستغراق❶، فيدخل جميع من تبعهم إلـى يوم الدين، وفـي نسخة بدل هذا البيت:

ثمّ الصّلاة والسّلام أبدًا * علـى مـحمّد ومَنْ به اهتدى

ويدخل فـي (من به اهتدى): آلُه، وصحبُه، ومن تبعهم بإحسان إلـى يوم الدين.

② قوله: (وبعد فالعون من الله الـمجيد) قول م: (لشَبَهِه بالـحرف فـي الافتقار) فيه نظر؛ لأنّ الشَّبَه الافتقاريّ إنّمـا يعتبر فيمـا افتقر إلـى جملة، كـ(حيث، وإذ، وإذا، والـموصولات) كمـا فـي ابن هشام، ولعلّ مراد م: أنّ (بعدُ) شبيه بـ(حيث) الشّبيهِ للحرف فـي الافتقار؛ لأنّ (حيث) ظرف لـم يظهر فـي اللفظ أثرُ إضافته؛ لإضافته إلـى الـجملة، والإضافة إليها كلا إضافة، وهو مضاف فـي الـمعنى لـمضمون الـجملة، وكذا (بعدُ) ظرف لـم يظهر أثر إضافته فـي اللّفظ لقطعه عنها، وهو مضاف معنًى❹.

❶ أي شمول الصلاة والسلام علـى كلّ مقتدٍ فـي كلّ زمان.

❷بعدُ: يؤتى بها للانتقال من غرض إلى غرض آخر، فلا يؤتى بها في أول الكلام بحيث لم يتقدمها شيء، ولا في آخر الكلام بالكليـة، بل بين كلامين متغايرين بالجنس أو بالنوع، ولم ترد في القرآن الكريم استغناء عنها بالاسم الإشارة، كقوله تعالى: {هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ} [ص: 55]. ووردت عنه صلى الله عليه وسلم بلفظ (أما بعد)، وهو الأولى؛ لأنه الوارد، فيستحب الإتيان بها في الخطب والمكاتبة، وقد عقد لها البخاري بابا في كتاب الجمعة، ورأى بعض العلماء أن الاقتداء يحصل بنفس الظرف، فعبروا بالواو اختصـارا سيّما في النظم. هامش ص 97 من كتاب شرح الطيب ابن كيران على توحيد الإمام ابن عاشر.

❸ القطع عن الإضافة معناه أن يـحذف الـمضاف إليه ويُنوى معناه دون لفظه.

❹ قال ابن عطية في تفسيره: (قَبْلُ) و(بَعْدُ) ظرفان بنيا علـى الضمّ؛ لأنهـما تعرّفا بحذف ما أضيفا إليه وصارا متضمّنين ما حـذف، فخالفا معرب الأسمـاء وأشبها الـحروف فـي التضمين فبُنيا، وخُصّا بالضم؛ لشبههمـا بالـمنادى الـمفرد فـي أنّـه إذا نكّـر أو أضيف زال بناؤه*، وكذلك هما فضُمَّا كمـا الـمنادى مبنيّ علـى الضمّ، وقيـل فـي ذلـك أيضـا: أنّ الفـتح تعـذّر فيهمـا؛ لأنّـه حالُـهمـا فـي إظهار ما أضيفا إليه، وتعذّر الكسر؛ لأنه حالُـهمـا عند إضافتهمـا إلـى الـمتكلّم، وتعـذّر السكون؛ لأنّ مـا قبـل أحدهما ساكن، فلم يبق إلّا الضمّ فبُنيا عليه. ومن العرب من يقول: «من قبلٍ ومن بعدٍ» بالـخفض والتنوين. قـال الفـراء: ويجوز ترك التنوين فيبقى كما هو في الإضافة وإن حذف المضاف. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (4/ 328).

* نحو قول الأعمى: يا رجلٌ خذ بيدي، ونحو: يا صاحبَ الدار.

والمضاف إليه هنا ضمير ما تقدّم من الحمد① والصّلاة والسّلام، أو اسم ظاهر، والتّقدير: (وبعدَ الحمدِ والصلاة والسلام المتقدِّمِي الذِّكرِ②)، وبُنِيَا على حركة؛ لالتقاء الساكنَيْنِ③، وكانت ضمّةً؛ لأنّها حركة، لا تكون لهما حالةَ الإعراب④؛ لأنّهما إمّا منصوبان على الظرفيّة، وإمّا مجروران بـ(مِن).

وأتى بعده بالفاء❷: إمّا على توهّم (أمّا)، وإمّا على تقديرها في الكلام⑤.

---

① قوله: (من الحمد) المراد به الثناء، فدخلت البسملة، وإلّا لاحتاج لذكرها، وبه يندفع ما يقال: إنّ م لم يأت في تقدير المضاف إليه بجميعه.

② قوله: (المتقدِّمِي الذِّكْر) بصيغة الجمع، ويصحّ أن يكون بصيغة التثنية، والمثنّى: الثناء على الله (البسملة والحمدلة) والثناء على النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- (الصلاة والسلام).

③ قوله: (لالتقاء الساكنَيْن) أي لدفعهما.

④ قوله: (وكانت ضمّة؛ لأنّها حركة لا تكون لهما حالةَ الإعراب) هذا نظر للغالب، وإلّا فقد نقل ابن القاسم في حاشية المحلّي على المنهاج جواز رفعها منوّنة على الابتداء عند القطع عن الإضافة رأسًا، فمعنى قول الناظم: (وبعدٌ فالعون) على هذا: وزمنٌ أطلبُ فيه العون، والمسوّغ للابتداء بالنكرة الوصف معنًى، أي: وزمنٌ تالٍ للزمن السابق أطلبُ الخ❶.

⑤ قوله: (في الكلام) راجع للتقدير، وأشار به للفرق بين التوهّم والتقدير، وهو أنّ المقدّر كالمذكور في نظم الكلام، وأمّا التوهّم فإنّه يلاحظ فيه جانب المعنى دون تقدير في اللفظ. وعلى تقديرها❸: فالواو عوض عنها، والظرف -أعني (بَعْدُ)- يجوز أن يتعلّق بها إن قلنا: إنّ حروف المعاني يجوز أن تعمل في الظرف وعديله❹، أو بالفعل المحذوف الذي نابت عنه؛ لأنّها نائبة عن (مهما يكن من شيء)، ويجوز أن يتعلّق بمقدّر بعد الفاء، وهو مبتدأ مخبر عنه بالعون❺، أو فعل ناصب للعون❻. وعلى توهّمها: فالواو استئنافيّة بيانيّة❼، كأنّه قيل: ماذا تقول بعد البسملة والحمدلة والصلاة؟................ =

---

❶ ونحوه: (رُجيل جاءني)؛ لأنّه في معنى (رجل صغير جاءني)، وقولهم: (ما أحسن زيدًا)؛ لأنّه في معنى (شيء عظيم حسّن زيداً).

❷ هذا جواب عما يقال: إن الفاء إنما تدخل في جواب الشرط ولا شرط هنا، فأجاب بأن إدخالها لأحد أمرين: الأول: تقديرها في نظم الكلام والواو عوض عنها، والثاني: توهّم دخولها؛ لأن الشيء إذا كثر الإتيان به ثم ترك تُوُهِّم وجوده، وقد كثر في (أمّا) مصاحبتها لـ(بعدُ)، فلما تركت (أمّا) تُوُهِّمَ وجودُها. هامش ص 98 من كتاب شرح الطيب ابن كيران.

❸ أي على تقدير (أمّا) التفصيليّة الشرطيّة، وتؤوّل في غالب الأحيان بعبارة (مهما يكن من شيء) وجوابها يجب اقترانه بالفاء.

❹ قوله: (وعديله): أي الجارّ والمجرور؛ لأنّه يتوسّع في الظرف وعديله ما لا يتوسع في غيرهما.

❺ فمطلوبي العون.

❻ فأطلب العون.

❼ أي الجملة بعدها مستقلّة تمامًا عمّا قبلها في المعنى، وكأنّها جواب سؤال مقدّر.

....

= فأجاب: مهمـا يكن من شيء فـي الوجود بعدما تقدّم فمطلوبـي العون، أو فأطلب العـون، فـالظرف يتعـيّن أن يكـون معمـولًا لـمقدّر بعد الفاء. ولا يصحّ أن تكون عاطفة؛ لتعذّر عطف الـخبر علـى الإنشاء❶ عند ابن مالك وغيره؛ لـمـا بينهمـا من كمـال الانقطاع بلا إيهام❷. ولا يـجوز أن يكون (العون) مبتدأ، و(من الله) خبرًا؛ لأنّه لـم يُرِدِ الإخبار بحصول العـون مـن الله، بـل أراد طلب حصوله، فـ(من الله) متعلّق بالعون.

تنبيهـان: الأوّل: اعترض الرّضي❸ كلام من ادّعى التقدير وقال: إنّه غير مطّرد، وإنّـما يطّرد إذا كان ما بعد الفاء أمرًا أو نهيًا، نحو: {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ} [المدثر: 3]❹، وصرّح الـجَعْبَرِيّ❺ والبدر الدمامينيّ❻ وغيرهما بأنّ عامل الظّرف فـي مثل هذا قـول مـحذوف والـمعمول مـحذوف -أيضًا-، أي: وأقول بعدما تنبّه فالعون الخ، أي إن تنبّهت فالعون، فالفاء سببيّة.................... =

❶ وهو هنا طلب حصول العون.

❷ عطف الـخبر علـى الإنشاء وبالعكس منعه البيانيّون، وابنُ مالك فـي شرح باب الـمفعول معه من كتاب التسـهيل، وابـنُ عصـفور فـي شرح الإيضاح ونقله عن الأكثرين، وأجازه الصفّار -بالفاء- تلميذُ ابن عصفور وجماعةٌ. مغني اللبيب 2 / 482. ففي قوله تعالـى -مـثلا-: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [الكوثر: 1، 2] الفاء سببيّة وليست عاطفة علـى الـمذهب الأوّل.

❸ مـحمّد بن الـحسن الرضيّ الاستراباذيّ (ت 684هـ أو 686هـ)، هو نحويٌّ وعالـم لغة من بلدة استراباذ فـي طَبَرِسـتان (الواقـع فـي شمـال دولة إيران وفـي جنوب غرب دولة تركمـانستان اليوم)، يُعدُّ الرضيّ من أشهر علمـاء النَّحو علـى مرِّ العصـور، وكثـيرًا مـا يُستَشَـهد بآرائه، ونظراً لـمكانته لُقِّبَ بـ(نجم الأئمّة). من أشهر مؤلّفاته (شرح كافية ابـن الحاجـب) فـي النَّحـو و(شرح شـافية ابـن الحاجـب) فـي التصريف.

❹ قال الرضيّ: وقد تـحذف (أمّا) لكثرة الاستعمـال نحو قوله تعالـى: {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَـاهْجُرْ (5)} [المـدثر]، و: {هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ} [ص: 57]، و: {فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا} [يونس: 58]، وإنّـما يطّرد ذلك إذا كان ما بعد الفاء أمرًا أو نهيًا، وما قبلهـا منصـوب به أو بمفسّر به، فلا يقال: زيدًا فضربت، ولا زيدًا فضـربته، بتقدير (أمّا)، وأمّا قولك: زيد فوجد، فالفاء فيه زائدة، ... وإنّـما جاز تقدير (أمّا) بالقيد الـمذكور؛ لأنّ الأمر، لإلزام الفعل لفاعله، والنهي لإلزام ترك الفعل لفاعله، فناسبا إلزام الفعل أو تركـه للمفعـول، وذلـك بـأن يقـدّر (أمّا) قبل الـمنصوب، وتدخل فاؤها علـى الأمر والنهي، فإنّ ما قبل فاء (أمّا) ملزوم لـمـا بعدها. شرح الرضي على الكافية (4/ 474).

❺ إبراهيم الـجعبري (640هـ - 732هـ)، هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري، أبو إسحاق، عالـم بـالقراءات، مـن فقهـاء الشافعية، له نظم ونثر، ولد بقلعة (جعبر) علـى الفرات في سورية، بـين بـالس والرقـة، وتعلّـم بدمشـق وبغـداد، واسـتقرّ ببلـد الـخليل (في فلسطين) إلـى أن مات، يقال له: شيخ الخليل، وقد يعرف بابن السراج، وكنيته في بغداد (تقي الدين) وفـي غيرها (برهان الدين)، له نحو مائة كتاب أكثرها مـختصر، له: (خلاصة الأبحاث) شرح منظومة له في القراءات، و(شرح الشاطبية) الـمسمّى (كنز الـمعاني شرح حرز الأمـاني) فـي التجويد، و(نزهة البررة في القراءات العشرة).

❻ بدر الدين الـدَّمَامِيني (763 - 827 هـ = 1362 - 1424 م) مـحمّد بـن أبي بكـر بـن عمـر، بـدر الـدين الـمخزوميّ، السَّكندريّ، الـمـالكيّ، الـمعروف بالدمامينيّ، وبابن الـدمامينيّ، سبط الإمام نـاصر الـدين بـن الـمنيِّر، عالـم بالشـريعة وفنـون الأدب. ولـد فـي الإسكندرية، واستوطن القاهرة ولازم ابن خلدون. ثمّ تـحوّل إلـى دمشق. ورحل إلـى اليمن فدرّس بجامع زبيد نحو سنة، وانتقل إلـى الهند فمـات بها في مدينة (كلبرجا). من كتبه: (تحفة الغريب) شرح لمغني اللبيب. (العيون الغامزة) شرح للخزرجية في العروض.

....

= الثانـي: جرى الـخُلْفُ فـي أوّل من نطق بها بعد آدم❶ علـى أقوال سبعة، أشار إليها من قال❷:

جـرى الــخُلْفُ (أمّـا بعـدُ) مــن كـان بادئَـا ... بهـــا ســـبع أقـــوال وداود أقـــربُ

لفصـل خطـاب❸ ثـمّ يعقـوب❹ قُسُّـهم❺ ... فسَـحبانُ❻ أيُّـوبُ❼ فكعــبُ❽ فيَعْـرُبُ❾

❶ يوحي تعبير ابن حمدون رحمه الله أنّه تمّ الاتفاق علـى أنّ أوّل من قال (أمّا بعد) هو آدم -عليه السلام-، وأنّ الـخلاف فـي أوّل من قالـها بعده، ولـم أجد إثباتا لهذه الدّعوى. أمّا عن كون أوّل من نطق بها آدم -عليه السـلام- فـيمكن تعليـل ذلك بقوله تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَـاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْـمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِـي بِأَسْمَـاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَـادِقِينَ} البقرة: 31، حيث إنّ الله -سبحانه وتعالـى- علّم آدم الأسمـاء كلّها والتي ثبت نطقه بها، من جملة هـذه الأسمـــاء: (أمّـا بعد) والله أعلم. إحراز السعد بإنجاز الوعد بمسائل أمّا بعد، لإسمـاعيل بن غنيم الـجوهري، ص: 29-34. بتصرّف.

❷ هو شمس الـميداني. والأبيات ذكرت في غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، لـمحمّد السَّفاريني الحنبلي، 1 / 25.

❸ أما عن كون داود -عليه السلام- أوّل من نطق بها فيمكن تعليل ذلك بقوله تعالى: {وَشَـدَدْنَا مُلْكَـهُ وَآتَيْنَـاهُ الْـحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْـخِطَابِ} ص: 20، و(أمّا بعد) هي العبارة التي يقصد بها فصل الـخطاب.

وقد أخرج الطبراني في (الأوائل) عن عبد العزيز بن أبـي ثابت عن عبد الرحمن بن أبـي الزِّنَاد عن أبيه عن بلال بن أبي بُـرْدة عن أبي موسى مرفوعاً: «أوّل من قال: (أما بعد) داود النبيّ -عليه السلام-، وهو فصـل الـخطاب»، وإسـناده واه، عبـد العزيز بن أبـي ثابت قال ابن معين: ليس بثقة، وقال البخاريّ: منكر الـحديث، لا يكتب حديثه، وقـال النسـائيّ: متـروك الحديث.

❹ جاء فـي غريب مالك للدارقطنيّ بسند ضعيف أنّ يعقوب -عليه الصلاة والسلام- لـمّـا جاءه ملك الـموت قال مـن جملة كلامه: «أما بعد.. فإنّا أهل بيت موكّل بنا البلاء».

❺ هو قُسُّ بن ساعدة الأيادي. شاعر وحكيم من حكمـاء العرب قبل الإسلام، توفّـي حوالـي 23 قبـل الـهجرة. عـدّه الشهرستانـيّ فـي كتاب (الـمِلَل والنِّحَل) بين من يعتقد التوحيد ويؤمن بيوم الـحساب.

❻ سيبيّن ابن حمدون أمره بعد البيتين.

❼ أي سيّدنا أيّوب النّبيّ عليه وعلـى نبيّنا أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

❽ هو كعب بن لؤي جد النبي -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم. كمـا فـي: (فتح الباري) (2/ 470)، وقـال الـحافظ ابن حجر: (أخرجه القاضي أبو أحمد الغسَّاني من طريق أبـي بكر بن عبد الرحمن، بسند ضعيف).

❾ هو يعرب بن قحطان. اسم جدٍّ عربـيٍّ قديم، وانقسم القول فـي نسب قحطان إلـى أقوال عدّة، منهم من قال إنّـه مـن ولد إسماعيل، ومنهم من قال إنّه من ولد هود كمـا يُعتقد.

= والـحقّ أنّ داود أعجميّ وهي عربيّة، إلّا إن أريد أنّه أوّل من نطق بمرادفها، ففصل الـخطاب الـمراد بـه مطلـق كـلام فاصل بين الـحقّ والباطل❶.

وإنّ الـمراد بسَحبان: سَحبان وائلٍ، بالإضافة، الّذي كان فـي الـجاهليّة، لا سَـحبان ابـن وائـل الـذي كـان فـي زمـن معاوية❷، خلاف ما وقع فـي الـحطّاب وغيره من شروح الـمختصر، قاله ابن التلمسانـيّ فـي حاشية الشفاء❸......=

---

❶ قال الرازي: ولـمّـا بيّن الله -تعالـى- كمـال حال جوهر النفس النطقية التي لداود بقوله: {وآتينـاه الـحكمة} أردفـه ببيان كمـال حاله فـي النطق واللفظ والعبارة فقال: {وفصل الخطاب}، وهذا الترتيب فـي غاية الجلالة، ومن الـمفسّرين من فسّر ذلك بأنّ داود أوّل من قال فـي كلامه: (أمّا بعد)، وأقول حقًّا: إنّ الذين يتّبعون أمثال هذه الكلمـات فقد حرمـوا الوقوف علـى معانـي كلام الله -تعالـى- حرمانا عظيمـًا والله أعلم. تفسير الرازي = مفـاتيح الغيـب أو التفسـير الكبـير (26/ 376).

❷ لـم أقف علـى من ذكر بأنّ سحبان اثنان، أحدهما سحبانُ وائلٍ، والثانـي سحبان ابـن وائـل، حتّـى فـي حاشـية ابـن التلمسانـيّ التي أحال عليها الشيخ ابن حمدون -رحمه الله-، وسأنقل لك نصه. والـذي وجدتـه فـي الكتـب الـمختصّة بالتواريخ والأنساب والتراجم والسير أن هناك سحبان واحد فقط، قال ابن عساكر (ت 571 هـ) فـي تاريـخه: ذكـر مـن اسمه سحبان: سحبان الـمعروف بسحبان وائل ... بلغني أنّ سحبان وفد إلـى معاوية فتكلّم فقال معاوية: أنـت الشـيخ. قال: أي والله... أبو الـحسن الدارقطني قال: أمّـا سـحبان فهـو سـحبان وائـل الـذي يضـرب بـه الـمثل فـي البلاغـة والفصاحة. تاريخ دمشق (20/ 143).

وقال الزركلي: (سحبان وائل) (...- 54 هـ =...- 674 م) ... خطيب يضرب به المثل في البيـان. يقـال: (أخطـب مـن سحبان) و(وأفصح من سحبان). اشتهر فـي الـجاهليّة وعاش زمنًا فـي الإسلام. وكان إذا خطب يسيل عرقًـا، ولا يعيـد كلمة، ولا يتوقّف ولا يقعد حتى يفرغ. أسلم فـي زمن النّبيّ -صلّـى الله عليه وسلّم- ولـم يـجتمع به، وأقام فـي دمشق أيام معاوية. الأعلام للزركلي (3/ 79)

❸ قال ابن التلمسانـيّ: وقيل: سحبان الوائلـيّ؛ لقوله: (لقـد علـم الـحي اليمـانيّون أنّني * إذا قلـت أمّـا بعـدُ أنّـي خطيبها). قال بن سيدي الـحسَن أفاض الله علينا من بركاته وبركات الطاهرين من أسـلافه بعنايـة مـحمّد -صلّـى الله عليه وسلّم-: وما نقل عن سحبان ففيه نظر؛ لأنّ النّبيّ -صلّـى الله عليه وسلّم- كان يقول فـي خطبه، وهو قبـل سـحبان إجماعًا، وسحبان كان فـي زمان معاوية، وأجيب بأنّ أوّل من قاله بعد النّبيّ -صلّـى الله عليه وسلّم- فـي الإسلام. اهـ من كتابه الـمنهل الأصفى فـي شرح ما تـمسّ الـحاجة إليه من ألفاظ الشفا (مـخطوط من مكتبة الأستاذ الدكتور مـحمّد بن تركي التركي). وليس فـي هذا النص إشارة إلـى أنّه يوجد سحبان آخر غير الـمذكور.

والعون والإعانة: الظهور على الأمر والتقوّي عليه①. والمجيد: صفة الله، وهو الذي انتهى في الشّرف وكمال الملك واتّساعه إلى غاية لا يمكن المزيد عليها ولا الوصول إلى شيء منها②.

= وقوله: (لقد علم الحيّ اليمانون أنّني * إذا قلت أمّا بعد أنّي خطيبها) لا يدلّ على أنّه أوّل من قالها❶.

① قوله: (والعون والإعانة: الظهور) الخ هذا معناه لغة، وأمّا عرفًا❷: فـ(خلق القدرة على الفعل مطلقًا)، وإن شئت قلت: (خلق القدرة والفعل مطلقًا❸)، وهو أسلم من إيهام مذهب الاعتزال❹، وكثيرًا ما يطلق بمعنى التوفيق، وهو (خلق القدرة على الفعل المحمود).

وإنّما طلب معونته تعالى؛ لأنّ من أعانه تيسّرت مطالبه ونجحت مآربه، ومن لم يعنه لم يحصل على طائل وإن كدّ في دهر طائل.

إذا كان عونُ الله للمرء ناصرًا	تهيّأ له مِنْ كلِّ صعبٍ مرادُهُ
وإن لم يكن عونٌ من الله للفتى	فأكثرُ ما يَجْني عليه اجتهادُهُ

② قوله: (وهو الذي انتهى في الشّرف) الخ تفسير (المجيد) بهذا المعنى لا يظهر معه مناسبة للمقام إلّا بنوع الاستلزام❺، وقال السهيليّ❻: المجيد من المجد، واستمجد إذا زاد، ومن دعا الله باسم فقد طلب معناه..........

---

❶ وجمع ناظم آخر الخلاف في المسألة بقوله:

فهاك خلافاً في الذي قد تقدما	بنطق أمّا بعد فاحفظ لتغنما
فداود، يعقوب، وآدم أقرب	فقُسُّ، فسحبان، فكعب، فيعرب

❷ أي في عرف أهل علم العقيدة.

❸ أي: سواء كان خيرا أو شرا.

❹ يرى أكثر المعتزلة أنّ أفعال العباد ليست مخلوقة لله، وإنّما العباد هم الخالقون لها، ولهم إرادة وقدرة أودعها الله فيهم وهي مستقلّة عن إرادة الله وقدرته، فأفعالهم لا فاعل لها ومحدث سواهم، ومع ذلك لم ينكروا علم الله الأزليّ، ولم ينكروا أنّ القدرة التي يعمل بها الإنسان من الله تعالى. وقد نوقش مذهبهم هذا بمناقشات كثيرة، أهمها بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 96]. ينظر: أفعال العباد عند الفرق الإسلامية، د. سعد عبد الله عاشور.

❺ لأنّ من انتهى في الشرف الخ وسئل منه شيء فلا بدّ أن يجزل عطاء من سأله ويزيده على مأمله. وفائدة خاصية هذا الاسم: تحصيل الجلالة والمجد والطهارة ظاهرا وباطنا حتى في عالم الأبدان والصور، وحظ العبد منه أن يعامل الناس بالكرم وحسن الخلق ليكون ماجدا عندهم.

❻ السهيلي (508 - 581 هـ = 1114 - 1185 م) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي: حافظ، عالم باللغة والسير، ضرير. ولد في مالقة، وعمي وعمره 17 سنة. ونبغ، فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه، فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها. من كتبه (الروض الأنف) في شرح السيرة النبوية لابن هشام.

وقوله: (فـي نظم) أي علـى نظم؛ لأنّ الاستعانة وما تصرّف منها إنّمـا تتعدّى بـ(علـى)①.

والنظم لغة: الـجمع②، من نظمت العِقـد③ إذا جمعـت جـواهره علــى وجـه يستحسـن، واصـطلاحا④: الكـلام الـموزون الذي قصد وزنه، فارتبط لـمعنى وقافية.

ووَضَع جمعَ القلّةِ فـي قوله: (أبيات)⑤..

= فمن قال: يا غفور، طلب الـمغفرة، ومن قال: يا مـجيد، طلب الإمـجاد، أي الزيادة، تقول العرب: أَمْجَدَ الناقةَ علفًـا، أي زادها، وعليه: فهو فعيل بمعنى مُفَعّل؛ إذ هو مُـمَجِّدٌ عبادَه أي يزيد عليهم الـنِّعَمَ، وهـو مناسـب فـي الـنظم للمقـام غاية؛ لأنّه مقام طلب الـمدد ومزيد العلم والتسهيل لـمـا يـحاوله من أموره عمومًا ومن هذا النظم خصوصًا.

① قوله: (إنّمـا تتعدّى بعلـى) أي للمفعول الثانـي؛ لتدلّ علـى العلوّ علـى الشيء والتمكّن منه والاستيلاء والظهور عليـه، وهـذا علـى مذهب الكوفيّين الـمجوّزين إنابة حروف الـجرّ بعضها عن بعض، ومذهب البصـريّين الـمنع، وما ورد مـن ذلـك فهـو إمّـا مؤوّل تأويلًا يقبله اللّفظ، أو علـى تضمين الفعل معنى فعل يتعدّى بذلك الـحرف، فيُضمّن معنى العـون هنـا معنـى الطلـب، أي طلب الله فـي النظم، ومذهب الكوفيّين أقلّ تعسّفًا، قاله فـي الـمغني❶.

② قوله: (والنظم لغة: الـجمع) أي ومنه: نظمتُ القوم، ألّفت بينهم، إلّا أنّه كثر استعمـاله فـي جمع مـخصوص كجمـع جـواهر العِقْد وكَلِم الشِّعر.

③ قوله: (من نظمتُ العِقد) صوابه: ومنه: نظمتُ العقد.

④ قوله: (واصطلاحا) أي عند العروضّيين، ولا يصحّ إرادته فـي كلام النّاظم؛ لأنّـه نظـم بمعنـى منظـوم، فـلا يصـحّ أن يضـاف للمفعول❷، وإنّمـا الـمراد به جمع الكلم الـمنتخبة للتدوين والشعر علـى الوجه الـمتّزن، فهو مصدر؛ لإضافته إلـى الـمفعول، وهو أبيات، أي: فـي نظمي أبيتًا.

⑤ (أبيات) جمع بيت، وبيت الشِّعْر: هو مـجموع الـمصراعين فـي غـير الـمشطور والـمنهوك❸، والـحقّ -كمـا قـال ابـن مرزوق❹ فـي شرح الـخزرجيّة❺-..=

❶ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام (ص: 151)، وقال فيه: كَمَا ضمّن بَعضهم (شربن) فِي قَوْلـه: (شربـن بِمَـاء الْبَحْر ...) معنى (روين)، و(أحسن) فِـي: {وَقَدْ أَحْسَنَ بِـي} [يوسف: 100] معنى (لَطَف).

❷ يعني إذا أريد الـمعنى الاصطلاحيّ والأبيات منظومة أيضًا، فلا يصحّ تسلّط النظم عليها.

❸ الـمصراعان: الشطران، وقوله: (فـي غير الـمشطور) هو الذي ذهب شطره، أي نصفه، أي: (مستفعلن مستفعلن مستفعلن). والـمنهوك: هو الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه، نحو: (مستفعلن مستفعلن). فهو كالمريض الذي أنهكه المرض

❹ الـحَفِيد ابن مَرْزُوق (766 - 842 هـ = 1364 - 1438 م) مـحمّد بن أحمد بن مـحمّد، ابن مرزوق العجيسـي التلمسانـيّ، أبو عبد الله، الـمعروف بالـحفيد، أو حفيد ابن مرزوق: عالم بالفقه والأصول والحديث والأدب.

❺ الـمفاتيح الـمرزوقيّة لـحلّ الأقفال واستخراج خبايا الـخزرجيّة. و(الـخزرجيّة) قصيدة فـي علم العروض، لـمحمّد عبـد الله الـخزرجيّ الأندلسيّ. وتسمى (نَـظْـم الرَّامزَةْ).

موضعَ جمع الكثرة①، وذلك كثير②.

= أنّ الرَّجز من الـمشطور، فكلّ شطر بيت❶، وإلّا اختلّ شرط التقفية الـمشار إليها بقول الـخزرجيّ: (تـحوز رَوِيًّا)❷، وإن كان هذا خلافَ قول الناظم: (أبياته أربعة عشر تصل * مع ثلثمائة...)، وتنكير (أبيات) للتقليل، أي: في أبيات قليلة بالنسبة لـما احتوت عليه من العلم الغزير.

① قوله: (ووضع جمع القلّة في قوله أبيات موضع جمع الكثرة❸) أي لفقد جمع الكثرة في هذا❹، إذ لا يقال في جمع (بيت الشِّعر): بيوت❺.

② قوله: (وذلك كثير) أي لقول الألفية:

وبعضُ ذِي بكثرةٍ وضعًا يَفِي * كأَرْجُلٍ والعكسُ جاء كالصُّفِي❻

❶ أي فتمام البيت عدُّ تـمام ثلاثة أجزاء من أجزاء التفعيل، وهي في الـمشطور (مستفعلن) ثلاث مرّات، وعليه فقول الناظم: (يقول عبد الواحد بن عاشر) بيت، وقوله: (مبتدئا باسم الإله القادر) بيت آخر، ومجموعهما شعر مستقلّ مزدوج. هامش ص 101 من كتاب شرح الطيب ابن كيران على توحيد الإمام ابن عاشر.

❷ قال الخزرجي: (تـحوز رَوِيًّا حرفًا انتسبت له * وتـحريكه الـمجرى فإن قُرِنا بما). قال الدمامينيّ شارحا: الضمير الـمستتر في (تـحوز) عائد إلى القافية، يعني أنّ القافية تـحوز رويًّا؛ لأنّها تتضمّنه وتشتمل عليه، فهو في حوزها، فلذلك قال: (تـحوز). قال الشريف: والرويّ هو الـحرف الذي تُبنى عليه القصيدة وتنسب إليه، فيقال قصيدةٌ رائية وقصيدةٌ دالية، وهذا هو الذي أراد الناظم بقوله (حرفاً انتسب له). العيون الغامزة على خبايا الرامزة، للبَدْر الدَّمَامِيني: 1/ 82.

❸ جمع القلة هو أحد أنواع جمع التكسير، ويدلّ على العدد من الثلاثة إلى العشرة، ويُعرف جمع القلّة بأنّ له أربعة أوزان، وما دون ذلك فهو من جمع الكثرة. وقد جمعها ابن مالك في قوله: (أَفْعِلَة أَفْعُل ثُمَّ فِعْلَة * ثُمَّتَ أَفْعَال جموعُ قِلَّة).

❹ أي: لعدم وروده عن العرب، والصواب أنه وارد إلا أنه قليل، فلو قال: لقلة جمع الكثرة ويحذف ما بعده لأصاب. هامش ص 101 من كتاب شرح الطيب ابن كيران على توحيد الإمام ابن عاشر.

❺ قال صالح مراد الهلالي: قوله: (إذ لا يقال) الخ، في اللّسان: والـجمع أبيات، وحكى سيبويه في جمعه (بيوت).اهـ وقال في المصباح: وبيت الشعر ما اشتمل على أجزاء معلومة، والجمع: بيوت وأبيات.

❻ قال الأشموني (وبعْضُ ذِي بِكَثْرَةٍ وَضعاً يَفِي) أي بعض هذه الأبنية يأتي في كلام العرب للكثرة (كأرجُلٍ) في جمع رجل، فإنهم لم يجمعوه على مثال كثرة، ونظيره عنق وأعناق وفؤاد وأفئدة (والعكْسُ) من هذا وهو الاستغناء ببناء الكثرة عن بناء القلة (جَاءَ) وضعاً (كالصُّفِي) جمع صَفاة وهي الصخرة الـملساء، وكرجل ورجال، وقلب وقلوب، وصرد وصردان. شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك (1/ 441)

والأمّيّ منسوب إلـى الأمّة الأمّيّة التي هي علـى أصل ولادة أمّهاتها ولـم تتعلّم الكتابة ولا قراءتها① . وجملـة (لِلُامّـيّ تفيد) صفة (أبيات)❶، وقوله: (فـي عقد) يـحتمل الصفة لـ(أبيات)، أو الـحاليّة؛ لوصفها بجملـة (تفيـد)❷، فيتعلّـق بمحذوف واجب الـحذف. و(الاشعريّ②)..

① قوله: (التي هي علـى أصل ولادة أمّهاتها) الخ، الصواب أنّ الـمراد به هنا: ما هو أعمّ من كلّ من يـجهل مـا احتـوى عليه هذا النظم وإن كان يقرأ أو يكتب، واللّام الـجارّة مقوّيّة للعامل، وهو (تفيد)؛ لضعفه بتقدّم مفعوله عليه، علـى حـدّ {إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} [يوسف: 43]

② قوله: (فـي عقد الاشعريّ) نسبة إلـى أشعر أحد أجداده❸، وقيل فيه أشعر؛ لأنّ أمّه ولدته والشَّعر علـى بدنـه، قالـه السمعانـيّ❹.

وظرفيّة الأبيات (فـي عقد الأشعري) وما عطف عليه من باب مظروفيّة الألفاظ فـي الـمعانـي، وظرفيّـة الـمعانــي لــها باعتبار أنّ الـمعنى مـحيط باللّفظ، إذ قد يعبّر عنه بغير ذلك اللّفظ الـخاصّ، فالـمعنى أعمّ واللفظ الـخاصّ أخـصّ، أي وجودًا، إذ الأعمّ مـحيط بالأخصّ ويزيد عليه، فناسب أن يكون ظرفًا له، وهكذا قولـهم: (هذا الكتاب فـي علـم كـذا)، وكثيرا ما يـجعل اللفظ هو الظرف للمعنى باعتبار أنّ الألفاظ كالقوالب للمعانـي تُصبّ فيها الـمعاني بقدرها.........

❶ أي قوله (للامّيّ) متعلّق بمحذوف صفة لـ(أبيات)، ويـجوز أن يتعلّق بـ(نظم). و(تفيد) صفة ثانية، والـلّام عليهمـا تعليليّة، وحُذِف مفعول (تفيد) وهو ضمير الأمّيّ، أي (فـي أنْ أنظُم لأجل نفع الأمّيّ أبياتًا تفيده)، أو (فـي نظمي أبياتًـا كائنة لأجل الأمّيّ مفيدةً له). هامش ص 101 من كتاب شرح الطيب ابن كيران علـى توحيد الإمام ابن عاشر.

❷ النكرة هنا موصوفة، النكرة الـموصوفة ليست نكرة خالصـة أو معرفـة خالصـة؛ لأنّ وصـفها يضـيّق عـدد أفرادهـا، فتقترب من المعرفة. مثال: (أقبل رجلٌ طويلٌ يبكي). كلمـة (رجـل) خُصّصـت بوصـف، فصـارت نكـرة غـير مــحضة (موصوفة)، ولذا أعرب النحاة مثل جملة (يبكي) فـي مـحلّ نصب حال من (رجـل) لاقترابهـا مـن الــمعرفة بالوصـف، وبعضهم أجازها نعتًا علـى اعتبار أنّها لا زالت شائعة الأفراد.

❸ هو علـيّ بن إسمـاعيل بن أبـي بشر إسحاق بن سالـم بن إسمـاعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبـي بـردة بـن عبد الله (هو أبو موسى الأشعري) بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن عنز بن بكر بـن عـامر بـن عـذر بـن وائل بن ناجية بن الـجمـاهر بن الأشعر، والأشعريّون قبيلة قحطانيّة يمـانيّة. ولد أبو الحسن الأشعري فـي البصـرة سـنة 260هـ، وتوفّـي فـي بغداد سنة 324هـ علـى الأصحّ، وقيل غير ذلك علـى ما سيأتي.

❹السّمعانـيّ (506 – 562 هــ = 1113 – 1167 م) عبـد الكـريم بـن مــحمّد بـن منصـور التميمـيّ السّمعانــيّ الـمروزيّ، أبو سعد: مؤرّخ رحّالة من حفّاظ الحديث. مولده ووفاته بمرو. رحـل إلــى أقـاصي الـبلاد، ولقـي العلمــاء والـمحدّثين، وأخذ عنهم، وأخذوا عنه. نسبته إلـى سمعان (بطن من تـميم). من كتبه: (الانساب)، و(تاريخ مرو).

يُقرأ بنقل حركة الهمزة للسّاكن قبلها؛ للوزن①، وكذلك (للامّيّ).

= ويرجع إلى تلك الألفاظ لأخذ المعنى منها، فهي كالظروف والمعاني مخبوءة فيها، وعلى هذا قولهم: (هذه المسألة في كتاب كذا)، بيّن ذلك السيّد الجرجانيّ في حواشي المطوّل❶ والدمامينيّ في شرح التسهيل.

وهذه الفنون الثلاثة التي ذكرها الناظم متعلّقة بأقسام الدّين الثلاثة على الترتيب: (الإيمان، والإسلام، والإحسان) المستعار له الصّراط المستقيم {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الأنعام: 161]. وقد مدح الشعراءُ كُلًّا منها. فممّا قيل في الكلام:

أيّـــهَا الـــمُغْتَدِي لِتَطلُـــبَ عِلْمًـــا ... كُـــلُّ عِلـــمٍ عَبْـــدٌ لِعِلْـــمِ الكَـــلاَمِ

تَطلُـــبُ الفِقْـــهَ كَـــيْ تُصَـــحِّحَ حُكْمًـــا ... ثُـــمّ أغْفَلْـــتَ مُنَـــزِّلَ الأَحْكَـــامِ

وفي الفقه قيل:

إِذا مَـــا اعتـــزّ ذُو علـــم بِعلـــم ... فعلـــم الْفِقْـــه أشرف فـــي اعتـــزاز

فكـــم طِيـــبٍ يفـــوح ولا كمســـك ... وكـــم طـــيرٍ يطـــير ولا كبـــاز

وفي التصوّف قيل:

يـــا مـــن تقاعـــد عـــن مكـــارم خُلْقِـــه ... لـــيس التفـــاخر بـــالعلوم الظـــاهره

مـــن لـــم يُـــهذِّب علمُـــه أخلاقَـــه ... لـــم ينتفـــع بعلومـــه فـــي الآخـــره

① قوله: (للوزن) فيه نظر❷، بل هو لغة❸.

❶ عبارة السيّد في حاشية المطوّل ما نصّه: المختار على ما أشرت إليه، هو أنّ الكتاب عبارة عن الألفاظ والعبارات، وهي مظروفة للمعاني، وقد اشتهر بينهم أنّ الألفاظ قوالب للمعاني، فيلزم أن يكون كلّ منهما ظرفًا للآخر ومظروفًا له، لكن لا محذور فيه؛ لأنّ ظرف الألفاظ هو بيان المعاني، بناء على أنّ الألفاظ مسوقة لذلك البيان الذي قد يحصل بغيرها، فكأنّ البيان محيط بالألفاظ، وظرف المعاني هو الألفاظ بناء على أنّ المعاني تؤخذ من الألفاظ، وتزيد بزيادة الألفاظ وتنقص بنقصانها، فكأنّ الألفاظ قوالب يُصبّ فيها المعاني بقدرها. وكتب عليه عبد الحكيم: الأظهر أنّ الألفاظ مظروفة في المعاني بالنسبة للمتكلّم؛ لأنّه يريد المعاني أوّلًا ثمّ يجيء بالألفاظ على طبقها، فكأنّه يصبّ الألفاظ في المعاني. والمعاني مظروفة في الألفاظ بالنسبة للسامع؛ لأنّه يأخذها منها كما يأخذ المظروف من الظرف. وهذا التفصيل غير ما ذكره الشارح تبعًا للسيّد إلّا أنّه قريب منه، ولا يَرِدُ أن يقال: لو كان المعنى ظرفًا للّفظ أيضًا للزم كون كلّ منهما ظرفًا للآخر ومظروفًا له؛ لأنّ هذا أمر اعتباريّ يختلف باختلاف الاعتبار. حاشية الجرجاني على المطول: 41-42

❷ وزن (في عقد الاشعري وفقه مالك) بالنقل هو: (مستفعلن متفعلن متفعل)، ووزن (في عقد الأشعري وفقه مالك) بدون نقل هو: (مستفعلن متفعلن متفعل) واعتبار الحرف (في) خزما. والله أعلم.

❸ هذا النقل هو أحد أقسام التسهيل، وهو نوع من أنواع تخفيف الهمز المفرد، وهو لغة أهل الحجاز، اختص بروايته ورش.

وحاصل معنى البيتين: أنّ الناظم طلب من الله -تعالى- العون على نظم أبيات تنفع الأمّيَّ قراءتُها وتفهّمُ معانيها؛ لاشتماله على ما يجب عليه تعلّمه ولا يسعه تركه من العقائد والفقه والتصوّف، وهو مراده بطريقة الـجُنَيْد -رضي الله عنه-.

وانظر: تفسير (السالك) في شرح قول النّاظم في التصوّف: (وحاصل التقوى اجتناب وامتثال...) البيتين من الشرح الكبير ❶.

و(عَقْد) مصدر عقد يعقد إذا جزم، وأضافه إلى الأشعريّ؛ لأنّه واضع علم العقائد① ....

① قوله: (لأنّه واضع علم العقائد) فيه نظر، بل الحقّ كما قال اليوسيّ❷ في كتابه (القانون)❸ و(حواشي الكبرى)❹ أنّه: علم قرآنيّ مبسوط في كلام الله -تعالى- بذكر العقائد وذكر النبويّات وذكر السمعيّات وذلك مجموعه مع ذكر ما يتوقّف عليه وجود الصانع من حدوث العالم المشار إليه بخلق السموات والأرض والنفوس وغيرها، والإشارة إلى مذاهب المبطلين❺ والطبائعيّين❻ وإنكار ذلك عليهم، والجواب عن شُبَه المبطلين ......=

❶ قال ابن عاشر:

وحَاصِلُ التَّقْوَى اجتِنَابٌ وَامْتِثَالْ	فِي ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ بِذَا تُنَالْ
فَجَاءَتِ الأَقْسَامُ حقّاً أَرْبَعَةْ	وَهْيَ لِلسَّالِكِ سُبُلُ الْمَنْفَعَةْ

قال ميّارة: والسّالك أي إلى الله تعالى وهو المريد... فالمريدون السالكون إلى الله تعالى في حال سلوكهم محجوبون عن ربّهم برؤية الأغيار، فالآثار والأكوان ظاهرة لهم موجودة لديهم، والحقّ تعالى غيب عنهم، فهم يستدلّون بها عليه في حال ترقيتهم. الدر الثمين والمورد المعين (ص: 553-354).

❷ اليوسي (1040 - 1102 هـ = 1630 - 1691 م) الحسن بن مسعود بن محمّد، أبو عليّ، نور الدين اليوسي: فقيه مالكي أديب، ينعت بغزاليّ عصره. من بني (يوسي) بالمغرب الأقصى. من كتبه: المحاضرات في الأدب، وزهر الأكم في الأمثال والحكم.

❸ القانون في أحكام العلم والعالم والمتعلم ص 182، والنصّ المثبت هنا منه.

❹ حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي 1 / 307.

❺ في نسخة القانون التي طبعتها شالة الرباط، ط1سنة 1998م، زيادة: (كالمثلّثة والمثنية). والمثلّثة: الذين ادّعوا أنّ الإله ثلاثة، كالنصارى، والمثنية الذين ادعّوا أنّ الإله اثنان، يقتسمان الخير والشرّ، والنفع والضرّ، ويسمّون أحدهما النور والآخر الظلمة. ينظر: الملل والنحل: ص 220.

❻ الطبائعيّون: هم الذين لايؤمنون إلّا بالمادّة والمحسوس، ولايعرفون شيئاً عمّا وراء المادّة الذي هو الأساس.

....

= الـمنكرين لشـيء من ذلك، إمكانًا أو وجودًا؛ لقوله تعالـى: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ} [الأنبياء: 104]، وقوله تعالـى: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [يس: 79]، وقوله تعالـى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا} [يس: 80]، وذكر حجج إبراهيم وغيره من الأنبياء❶ وحِكَم لقمان، وغير ذلك ممّا يطول، وتكلّم فيه النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، كإبطاله اعتقاد الأعراب في الأنواء وفي العدوى❷ وغير ذلك.

وتكلّم فيه عمر بن الـخطاب❸ وابنه❹، وألّف فيه مالك رسالة❺ قبل أن يولد الأشعريّ.

---

❶ في نسخة القانون التي طبعتها شالة الرباط زيادة: (إقرارًا لـها).

❷ فقد ربط العرب في العصر الـجاهلي بين ساعات شروق الـمنازل القمريّة وغروبها وأحوال الرياح والأمطار والـحر والبرد. وكانوا يعتقدون أن العدوى تعدي بطبعها، ولما جاء الإسلام أبطل هذه الاعتقادات الفاسدة، فالـمطر ينزل بإذن الله الذي جعل لذلك أسبابا وبعض الأمراض تعدي بإذن الله، ولكنه جعل أسباب يجب احترامها.

❸ كان عمر -رضي الله عنه -حريصاً على إزالة كل شائبة قد تكدّر صفاء عقيدة التوحيد، مزيلاً كلّ الشبهات التي من شأنها أن تؤثّر على العقيدة سلباً، وممّا يدل على ذلك أنّه لـمّا قبّل الـحجر الأسود قال: «إنّي أعلم أنّك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنّي رأيت النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يقبّلك ما قبّلتك» رواه البخاري، كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، ومسلم كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف.

وقد قال عمر – رضي الله عنه – هذا القول «لأنّ النّاس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام فخشي عمر أن يظنّ الـجهّال أنّ استلام الـحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعل في الـجاهليّة، فأراد عمر أن يعلّم الناس أنّ استلامه اتّباع لفعل رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- لا لأنّ الـحجر ينفع ويضرّ بذاته كما كانت الـجاهليّة تعتقده في الأوثان». فتح الباري: 3 / 463.

❹ ممّا يدلّ على اهتمام ابن عمر بعلم العقائد أنّه لـمّا أحدث معبد بن خالد الـجهنيّ القول بالقدر، وأنّ الأمر أُنُف، أي: إن الله تعالى لـم يقدّر على خلقه شيئًا ممّا هم عليه. وبلغ عبد الله بن عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، مقالته تبرّأ من القدريّة، وقال: والذي يـحلف به عبد الله بن عمر لو كان لأحدهم مثلُ أحد ذهبًا، ثمّ أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه، حتى يؤمن بالقدر خيره وشرّه. رواه مسلم في الإيمان، والترمذي فيه أيضاً، وأبو داود في السنة، والنسائي في الإيمان.

❺ عرف عن الإمام مالك اشتغاله بالردّ على أهل الأهواء من الفرق الـمنحرفة -إلى جانب اشتغاله بالفقه-، ولقد أدّاه اهتمامه بعلم العقائد إلى تأليف رسالة، هي رسالته إلى ابن وهب في القدر والردّ على القدريّة. قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: 8 / 88: ولـمالك -رحمه الله- رسالة في القدر، كتبها إلى ابن وهب، وإسنادها صحيح. قال عنها القاضي: وهو من خيار الكتب في هذا الباب الدالّة على سعة علمه بهذا الشأن -رحمه الله-. ترتيب المدارك: 2 / 90.

....

= فلعلّ مراد من جعله واضعًا لعلم العقائد كميّارة والوالد -قدّس سرّه- في أرجوزته حيث قال:

واضـــعُه هـــو الإمـــام الاشـــعري	أتـــى بـــه مـــن كـــلّ شُـــبهةٍ عَـــرِي
أمـــره بـــه الرســـول رُؤْيَـــا ❶	فكـــان أحســـنَ الأنـــام رَأْيَـــا

أنّه أوّل من تصدّى لتحرير عقائد أهل السنّة وتلخيصها، ودفع الشكوك والشُّبَهِ عنها، وإبطال دعوى الخصوم❷....=

❶ قال تاج الدين السبكي: ويحكى من مبدأ رُجُوعه أنّه كَانَ نَائِمًا في شهر رَمَضَان، فَرَأى النبيّ -صلّى الله عَلَيْهِ وَسلّم- فَقَالَ لَهُ: يَا عليّ، انصر الْمذَاهب المروية عَنّي، فَإِنَّهَا الْحقّ. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ دخل عَلَيْهِ أَمر عَظِيم، وَلم يزل مفكّرًا مهمومًا من ذَلِك، وَكَانَت هَذِه الرُّؤْيَا في الْعشْر الأوّل فَلَمَّا كَانَ الْعشْر الْأَوْسَط رأى النبيّ -صلّى الله عَلَيْهِ وَسلّم- في الْمَنَام ثَانِيًا فَقَالَ: مَا فعلت فِيمَا أَمرتك بِهِ؟ فَقَالَ: يَا رَسُول الله، وَمَا عَسى أَن أفعل وَقد خرّجت للمذاهب المروية عَنْك محامل صَحِيحَة؟ فَقَالَ لي: انصر الْمذَاهب المروية عَنّي، فَإِنَّهَا الْحقّ. فَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ شَدِيد الأسف والحزن وَأجْمع على ترك الْكَلَام وَاتِّبَاع الحَدِيث وملازمة تِلَاوَة الْقُرْآن. فَلَمَّا كَانَت لَيْلَة سبع وَعشْرين، وَكَانَ من عَادَته سهر تِلْكَ اللَّيْلَة أَخذه من النعاس مَا لم يَتَمَالَك مَعَه السهر، فَنَامَ وَهُوَ يتأسّف على ترك الْقيام فِيهَا، فَرَأى النَّبِيّ -صلّى الله عَلَيْهِ وَسلّم- ثَالِثًا، فَقَالَ لَهُ: مَا صنعت فِيمَا أَمرتك بِهِ؟ فَقَالَ: قد تركت الْكَلَام يَا رَسُول الله، ولزمت كتاب الله وسنّتك. فَقَالَ لَهُ: أَنا مَا أَمرتك بترك الْكَلَام، إِنَّمَا أَمرتك بنصرة الْمذَاهب المرويّة عَنّي، فَإِنَّهَا الْحقّ. قَالَ: فَقلت: يَا رَسُول الله، كَيفَ أدع مذهبًا تصوّرت مسَائِله وَعرفت دلائله مُنْذُ ثَلَاثِينَ سنة لرؤيا؟ قَالَ: فَقَالَ لي: لَوْلَا أَنّي أعلم أَنّ الله يمدّك بمدد من عِنْده لما قُمْت عَنْك حَتَّى أبيّن لَك وجوهها، فجد فِيهِ، فَإِنّ الله سيمدّك بمدد من عِنْده. فَاسْتَيْقَظَ وَقَالَ: مَا بعد الْحقّ إِلَّا الضلال، وَأخذ في نصْرَة الْأَحَادِيث في الرُّؤْيَة والشفاعة وَالنَّظَر وَغير ذَلِك. وَكَانَ يفتح عَلَيْهِ من المباحث والبراهين بِمَا لم يسمعهُ من شيخ قطّ وَلَا اعْتَرَضَهُ بِهِ خصم وَلَا رَآهُ في كتاب. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (3/ 348-349).

❷ تميّز الإمام الأشعريّ بردّه على المعتزلة الذين انتشر مذهبهم في وقته، وقد ألهمه الله الردّ عليهم ومناظرتهم لإبطال قاعدتهم في الصلاح والأصلح، فإن للمعتزله عبارتين: وجوب الصلاح وهو ما قابل الفساد كالإيمان مقابل الكفر، بمعنى: إن كان هنالك أمران أحدهما صلاح والآخر فساد، هنا يجب على الله فعل الصلاح دون الفساد، وهذا لا يليق به تعالى. والعبارة الثانية وجوب الأصلح والمراد ما قابل الصلاح ككونه صلاحا والآخر أصلح، يجب على الله فعل الأصلح دون الصلاح، وهذا أيضا لا يليق به تعالى. وهذا الباب كان سبب افتراق الشيخ أبي الحسن الأشعرى من شيخه أبي هاشم الجُبّائي شيخ المعتزلة. فقد سأل الأشعري شيخه: ماذا تقول في ثلاثة إخوة مات أحدهم كبيرًا مطيعًا، والثاني كبيرًا عاصيًا، والثالث صغيرًا؟ فقال الجُبّائي: الأوّل يثاب بالجنة، والثاني يعاقب بالنار، والثالث لا يثاب ولا يعاقب. فقال الأشعري: إن قال الثالث: يا رب لم أمتّني صغيرا ولم تبقني حتى أكبر فأؤمن وأطيع فأدخل الجنة مع أخي؟ قال: يقول له: إني علمت أنك لو كبرت لعصيت فدخلت النار، فكان الأصلح لك أن تموت صغيرا. قال الأشعري: فإن قال الثاني: يا رب لم لَمْ تُمِتْني صغيرا لئلا أعصي فلا أدخل النار، ماذا يقول له؟ فبُهِتَ الجُبّائي وقال: أبك جنونك. قال الأشعري: بل وقف حمار الشيخ في العقبة. فترك الأشعري مذهبه.

كمـا أضيف الفقه❷ إلـى مالك①..

= وجَعَلَ ذلك علمًـا مفردًا بالتدوين❶.

① قوله: (وفقه مالك) الـمراد بـ(فقه): مقوله ومقول أصحابه فمن بعدهم مـمّـا كـان جاريًـا علــى قواعـده وضـوابطه وأصول مذهبه، فـ(فقه) مصدر بمعنى اسم الـمفعول.

فائدة: الأدلّة التي بَنَى عليها مالك مذهبه سبعة عشـر: نصُّ الكتاب❸، وظاهرُه، أعني العمومَ❹..................=

❶ لأبـي الـحسن الأشعريّ كتب كثيرة زادت على مائتي كتاب، ذكرها بالتفصيل الإمام أبو بكر بن فورك كمـا ورد فـي كتـاب (تبيين كذب الـمفتري) لابن عساكر، ومنها فيما يخص علـم العقائـد: كتـاب (الإبانـة عـن أصـول الديانـة)، وقـد اشـتمل علـى الـمباحث الكلاميّة العقدية فـي الرد على الفرق والـمذاهب الـمخالفة من الـجهميّة والـمعتزلة والقدريّة والــخوارج والرافضـة، فكان يورد كلامهم علـى شكل مناظرات كلاميّة، ثمّ يردّ عليها. (الفصول فــي الـردّ علــى الــملحدين والــخارجين عـن الملـة) كالفلاسفة والدهريين، وأهل التشبيه، والقائلين بقدم الدهر علـى اختلاف مقالاتهم وأنـواع مـذاهبهم، ثـم ردّ فيـه علــى البراهمـة واليهود والنصارى والـمجوس، وكتاب فـي (خلق الأعمال) نقض فيه شبهات الـمعتزلة والقدريّة فـي خلق الأعمـال وردّ عليهـا، و(مقالات الـمسلمين) يستوعب جميع اختلافاتهم ومقالاتهم، ولعلّه الكتـاب الـمعروف باسـم (مقـالات الإسـلاميّين واخـتلاف الـمصلّين)، وكتاب كبير فـي (صفات الله عز وجل) يبين مذهبه في الأسمـاء والصـفات، وكتـاب في (جـواز رؤيـة الله بالأبصـار) يستدل فيه لـمذهب أهل السنة والـجمـاعة القائلين بجوازها يوم القيامة ويرد على المعتزلة القائلين بنفيها وإنكارهـا، وكتـاب فــي (الردّ علـى الـمجسّمة والـحشوية) الذين يثبتون لله تعالـى صفات الأجسام من الـحركة والانتقال والـجلوس، وغير ذلك مـمّـا لا يليق به سبحانه وتعالـى.

❷ الفقه فـي اللغة: العلم بالشيء والفهم له، والفطنة فيه، وغلب، علـى علـم الـدين لشـرفه، (القـاموس المحـيط) قـال تعالى: {قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول} سورة هود: 91، وقيل: هو عبارة عن كل معلوم تيقنـه العالـم عـن فكـر. (لسان العرب، والمصباح المنير، والبحر المحـيط 1 / 19). وفــي الاصـطلاح هـو: العلـم بالأحكـام الشـرعيّة العمليّـة، الـمكتسبُ من أدلّتها التفصيليّة (البحر المحيط للزركشي 1 / 21).

❸ النصّ هو اللّفظ الذي يدلّ بالوضع على معنى واحد لا يـحتمل غيره أصلا، مثاله من القرآن: قوله تعالى: {تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ}، فإن هذا اللفظ نص في الحكم، حيث إن مجموع الثلاثة في الحج والسبعة إذا رجع هي عشرـة فقـط بـدون زيـادة أو نقصان.

❹ ظاهر النصّ هو: اللفظ الدال فـي مـحلّ النطق علـى معنى، لكنّه يـحتمل غيره احتمـالًا مرجوحا، كما في قوله تعـالى: {فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} [النساء: 3]، فإنّ قوله: {مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} مـحتمل لأن يكون الــمقصود مـا اشتهيتم، ويمكن أن يكون الـمقصود ما حلّ لكم، ويمكن أن يكون الـمقصود ما سهل عليكم، كلّ ذلك مــمكن، لكنّنـا عرفنا بدليل آخر أنّ الـمقصود ما أحلّ لكم، وهو ما طاب.

....

= ودليلُه، أعني مفهومَ الـمخالفة❶، ومفهومُه، أعني الـمفهومَ بالأولـى❷، وشِبْهُه، أعني التنبيهَ علـى العلّة، مثـل قولـه تعالـى: {فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا} [الأنعام: 145]❸، ومن السنّة أيضًا، مثل هذه الـخمسة❹........................=

❶ دليل النصّ: هو ما يفهم منه أنّ حكم الـمسكوت عنه مـخالف لـحكم المنطوق به، ويسمّى أيضـا (دليـل الخطـاب). مثاله: احتجاج فقهاء الـمـالكيّة علـى أنّ الغسل يـجزي عن الوضوء بقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّـذِينَ آمَنُـوا لَا تَقْرَبُـوا الصَّـلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا} [النساء: 43]، فـإنّ مفهـوم المخالفـة هنـا معناه: إن اغتسلتم فلكم أن تقربوا الصلاة، وعليه فلا يحتاج إلى وضوء في هذه الحالة.

❷ مفهوم النصّ هو ما يفهم منه أنّ الـمسكوت عنه أولـى من الـمنطوق به، ويسمّى (فحوى الـخطاب) أو أنّه مساوٍ له، ويسمّى (لـحنَ الخطاب). مثاله فـي فحوى الـخطاب: قوله تعالى فـي وجوب إحسان معاملة الوالدين : {فَلَا تَقُلْ لَـهُمَـا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا} [الإسراء: 23]، فإنّه لـمّـا حرم التأفّف منهمـا ونهرهما، كان تـحريم ضربهمـا أولـى. ومثاله فـي لـحـن الـخطاب: قوله تعالـى فـي تـحريم أكل أموال اليتامى ظلمًـا: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًـا إِنَّمَـا يَـأْكُلُونَ فِـي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء: 10]، فإنّه يفهم منه أيضا تـحريم إتلافهـا، وهـو مسـاو لتحـريم أكلهـا ظلمًـا، لـمساواة إتلافها لأكلها فـي إضاعتها علـى أصحابها.

❸ التنبيه على العلّة هو أن يقرن الوصف بحكم لو لم يكن اقتران الوصف بذلك الحكم لبيان كونـه علـة لـه لعابـه الفطـن بمقاصد الكلام، لأنّه لا يليق بالفصاحة، ففي الآية {قُلْ لَا أَجِدُ فِـي مَا أُوحِيَ إِلَـيَّ مُـحَرَّمًا عَلَـى طَـاعِمٍ يَطْعَمُـهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَـحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ} بيان أنّ علّةَ التحريم الوصفُ بـالرجس أو الفسق.

❹ مثال نص السنة: احتجاج فقهاء الـمـالكيّة علـى أنّ غسل الإناء من شرب الكلب سبع بقوله -صلّـى الله عيه وسلّم: «إذا شرب الكلب فـي إناء أحدكم فليغسله سبع مرات» متفق عليه.

ومثال ظاهر نصّ السنّة: قوله -صلّـى الله عليه وسلّم-: «من لـم يبيّت الصيام من اللّيل فلا صـيام لـه» رواه أبـو داود في الصوم عن حفصة، فإنّه ظاهر فـي أنّ تبييت النية واجـب فـي كـلّ صيام، ويـحتمل أن الـمراد بالصيام صيام النـذر والقضاء.

ومثال الأخذ بدليل نص السنة: احتجاج فقهاء الـمـالكيّة علـى أنّ ثمر النّخل التي لم تـؤبّر للمبتـاع : أي المشـتري، بقولـه -صلّـى الله عليه وسلّم-: «من باع نخلًا قد أُبّرت فثمرتها للبائع،إلّا أن يشترطها الـمبتاع» رواه مالك فـي الـموطّأ عـن ابن عمر، فإنّ مفهومه أنّ النّخل الـمبيعة إن لم تكن قد أبّرت فثمرتها للمشتري.

ومثال الأخذ بمفهوم نص السنّة فـي فحوى الخطاب: قو ل النبيّ -صلّـى الله عليه وسلّم- فـي شـأن اللّقطـة: «اعـرف =

....

= والـحادي عشر: الإجماع ❶، والثانـي عشر: القياس ❷، والثالثَ عشـرَ: عمل أهل الـمدينة ❸، والرابعَ عشـرَ: قـول الصحابـيّ ❹...

= وكاءها وعفاصها» متفق عليه، فيفهم من الـحديث حفظ ما التقط من الدنانير، لا حفظ الوكاء والعفاص فحسب.

الوكاء: رباط القربة ونحوها.

والعفاص: جلد يُغطّى به رأس القارورة أو غلافها.

ومثال الأخذ بمفهوم نص السنّة فـي لـحن الخطاب: ما ورد من أنّ ماعزًا «زنى وهو مـحصن فرجم» رواه البخاري عـن ابن عباس وغيره، ومعلوم أنّه ما رجم لأنّه ماعز، بل لأنّه زنى فـي حالة الإحصان، فيثبت هذا الـحكم فـي حقّ غيره.

ومثال التنبيه علـى علّة السنّة: قوله -صلّـى الله عليه وسلّم- فـي شأن الـهرّة: «إنّها ليست بنجس إنّـمـا هي من الطـوّافين عليكم والطوّافات» رواه مالك فـي الـموطأ فـي الطهارة، وغيره، فالـحديث يبيّن أن الـهرّة طاهرة ليست بنجس، وعلّـة طهارتها أنّها من الطوّافين، ولو لم يكن لذكر تطوافها عقيب الـحكم أثر فـي الطهارة لـمـا كان لذكره فائدة.

❶ الإجماع هو اتفاق مـجتهدي الأمّة بعد وفاة الرسول -صلّـى الله عليه وسلّم- فـي عصـر مـن العصـور علـى حكم شرعيّ عملـيّ. مثاله: الإجماع علـى تـحريم الـميتة والدّم ولـحم الخنزير، لقوله تعالى: {حُرِّمَـتْ عَلَـيْكُمُ الْـمَيْتَةُ وَالـدَّمُ وَلَـحْمُ الْـخِنْزِيرِ} [المائدة: 3]

❷ القياس هو إلـحاق مسألة لـم يرد فيها نصّ بمسألة ورد فيها نصّ فـي الـحكم؛ لاشتراكهمـا فـي علّـة ذلـك الحكـم، مثاله: جريان الرّبا في الأرز والعدس على البُرّ والشعير؛ لأن كليهما قوت مدّخر.

❸ عمل أهل الـمدينة هو عمل النّاس الذي كان أهل الـمدينة سائرين عليـه فــي عصرـ الإمـام مالـك وقبلـه واعتـادوه وتعارفوه وساروا عليه.

مثاله: القراءة خلف الإمام، فقد ذهب الإمام مالك -رحمه الله تعالـى- إلـى أنّه يستحب للمأموم أن يقرأ فيمــا لا يــجهر فيه الإمام، ويترك القراءة فيمـا يـجهر فيه. قال مالك فـي الـموطّأ: الأمر عندنا أن يقرأ الرجل وراء الإمام فيمـا لا يـجهر فيه الإمام بالقراءة، ويترك القراءة فيمـا يـجهر فيه الإمام بالقراءة.

❹ الـمراد بقول الصحابـيّ: ما نقل إلينا وثبت لدينا بسند صحيح عن أحد أصحاب الرّسول الأعلام من فتوى أو قضـاء فـي حادثة شرعيّة، لـم يَرِد فيها نصّ من كتاب أو سنّة ولـم يـحصل عليها إجماع.

مثاله: الزكاة فـي مال الصبيّ والـمجنون، فذهب مالك إلـى أنّها تـجب فـي مالـيهمـا مطلقًا، جاء فـي الـموطأ أنّـه بلغـه أنّ عمر بن الـخطاب قال: اتجروا في أموال اليتامى، لا تأكلها الصدقة. وجاء أيضا عن مالك عن عبد الـرحمن بـن القاسـم عن أبيه أنّه قال: كانت عائشة تليني وأخا لي يتيمين في حجرها، فكانت تخرج من أموالنا الزكاة.

....

والـخامسَ عشـرَ: الاستحسان❶، والسادسَ عشرَ: الـحكم بالذرائع، أي بسدّها❷، والسابعَ عشـرَ: الاستصحاب❸..

❶ الاستحسان هو العدول بالـمسألة عن حكم نظائرها إلـى حكم آخر لوجه أقوى يقتضي هذا العدول.

مثاله: إذا طلّقت الـمرأة التي كانت تـحيض فحاضت مرّة أو مرّتين ثمّ ارتفـع حيضـها بـلا سـبب، انتقلـت عـدّتها إلـى الأشهر، فتعتدّ سنة، تسعة أشهر منها من وقت الطلاق، تنتظر فيها لتعلم براءة رحمهـا، لأنّ هـذه الـمدّة هـي غالبـا مـدة الـحمل، ثمّ تعتدّ بعد ذلك عدّة الآيسات -ثلاثة أشهر- ثمّ تتزوج، مع أنّها ليست من ذوات الأشهر، والنّص أنّها لا تعتـدّ بالأشهر، إلّا عند بلوغها سنّ اليأس {وَالْـمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْـنَ بِأَنْفُسِـهِنَّ ثَلَاثَـةَ قُرُوءٍ} [البقـرة: 228]، ولكنّهـا اعتـدّت بالأشهر استحسانا؛ لأنّها لو بقيت دون زواج منتظرة الـحيض أو بلـوغ سـنّ اليـأس لتضرّـرت وتعرّضـت للزّلـل، ولأنّ الـمقصود من العدّة هو تـحقّق البراءة من الـحمل، وهـو يتحقّـق بانقضـاء الـمدّة الغالبـة لـه، فتتحـوّل إلـى الاعتـداد بالأشهر.

❷سدّ الذرائع: هو كلّ فعل مُوصِل إلـى شيء مـمنوع مشتمل علـى مفسدة.

مثاله: من مات وعليه زكاة لـم يؤدّها، قال مالك: إذا لم يوص بها لم يلزم الورثة إخراجها، وإذا أوصى بها يلزم الورثةَ إخراجها، وهي عنده من الثلث. وعمدته فـي عده لزوم شيء إذا لم يوص به: سد الذريعة، وذلك: أنّه إذا لزمت الورثة، أدّى هذا لأن يـترك الإنسـان أداء زكاة ماله طول عمره، اعتمـادًا علـى أنّ ورثته سيخرجونها بعد موته، وربّمـا يتّخذ ذلك ذريعة للإضرار بهم. وكذلك الأمر إذا أوصى بها فإنّه علـى الورثة فـي توصيته بإخراجها، ولذلك تـجعل من جنس الوصايا فتخرج من الثلث. وأيضا لو أجيز هذا لـجاز للإنسان أن يؤخّر جميع زكاته طول عمره، حتّى إذا دنا من الـموت وصّى بها.

❸ الاستصحاب هو الـحكم باستمرار وجود ما ثبت وجوده حتّى يدلّ الدليل علـى ذهابه، والـحكم باستمرار عـدم مـا لـم يثبت وجوده حتّى يقوم الدليل علـى وجوده.

مثاله: إرث الـمفقود الذي لا نعلم حياته أو موته، هل يعتبر كالـميّت فتوزّع تركته علـى وارثيه، وإذا مات أحد من يرثهم هو لا يـحتفظ له بنصيب أو أنّه يعتبر حيًّا فلا توزّع تركته، وإذا مات أحد مـمّن يرثهم هو احتفظ له بنصيبه؟ ذهب مالـك إلـى أنّه يعتبر حيًّا فـي حقّ نفسه فلا يرثه أحد، وكذلك فـي حقّ غيره، فإذا مات من يرثه احتفظ له بنصيبه إلــى أن يعلـم حياته أو موته، أو يمضي من الزمان ما لا يعيش إلـى مثله غالبا. وحجّته فـي ذلك: أنّ الأصل حياته، فيستصحب الأصـل حتّى يظهر خلافه، وإذا ثبت أنّه لا يورث استصحابًا لـحياته، ثبت توريثه من مورّثيـه إذا مـات؛ لأنّ الاستصـحاب حجّـة فـي الإثبات كمـا هو حجّة فـي الدّفع.

....

= وأمّا مراعاة الـخلاف فتارةً وتارةً❷.

❷ مراعاة الخلاف: أن يراعي الـمجتهد قول مـجتهد آخر مـخالف له فـي حكم واقعة بعد وقوعها -إذا كان دليله قويًّا- لأنّـه لـو راعى قوله لكان فيه مفسدة، ولولا هذا الـمآل الطارئ بعد الوقوع بالفعل ما كان له أن يفرّع علـى قـول الـمخالف وهـو يعتقد ضعفه، ويكون الـحكم فـي التعبّدات. مثاله: استحقاق الـمرأة الـمهر، وكذا الـميراث، عند مالك فيمـا إذا تزوّجت بغـير ولـيّ، فمـالك -مع كونه يقول بفساد النّكاح بدون ولـيّ- يراعي فـي ذلك الـخلاف عندما ينظر فيمـا ترتّب بعد الوقوع من مفسـدة لـو راعى اجتهاده، ولذلك فهو يقول بوقوع الـميراث وثبوت النسب للولد بهذا العقد. وإنّمـا قـال ابـن حمـدون -رحمـه الله-: (تـارة وتارة)؛ لأنّ رجحان دليل الـمخالف إنّمـا يكون بحسب نظر الـمجتهد فـي النوازل.

ومن الأدلّة التي الأدلّة التي بَنَى عليها مالك مذهبه: الـمصالح الـمرسلة: وهي كلّ منفعة داخلة فـي مقاصد الشارع دون أن يكـون لـها شاهد بالاعتبار أو الإلغاء. مثاله: تعليق طلاق الأجنبيّة علـى الزواج منها، وذلك كأن يقول: (إذا تزوّجت فلانة فهـي طـالق)، أو يقول: (كلّ امرأة أتزوّجها فهي طالق)، ثم تزوّج من فلانة أو تزوّج أيّ امرأة، فهل تطلّق منه عقيب الـزواج أو لا؟ ذهـب مالـك إلـى أنّه إن عمّ جميع النّساء، كأن يقول: (كلّ امرأة أتزوّجها فهي طالق)، لم يلزمـه الطّـلاق إذا تـزوج أيّ امـرأة، وإن خـصّ بعـض النّساء كأن يقول: (إن تزوّجت فلانة أو كلّ امرأة أتزوّجها من بني فلان أو من بلد كذا أو فـي وقت كذا فهي طالق) لزمـه الطّـلاق إذا تزوّج بواحدة من هؤلاء الـمخصوصات. وعمدة مالك -رحمه الله تعالـى- فـي الفرق بين التعميم والتخصـيص: النظـر إلـى الـمصلحة، وذلك أنّ الأصل أن يلزم بمـا ألزم به نفسه، لكن لو ألزمناه بذلك حال التعميم لكان فـي ذلـك حـرج عليـه ومشـقّة، حيث لا يمكن التزوّج بأحد، فربّمـا وقع فـي الـحرام، وأمّا حال التخصيص فيمكنه التزوج بغير الـمخصوصات، وليس فـي ذلك داعٍ لإلغاء ما ألزم به نفسه.

ومن أدلّة مالك كذلك: شرع من قبلنا، وهو ما نقل إلينا من أحكام تلك الشرائع التي كانوا مكلّفين بها، على أنّها شرع الله عز وجـل لهم، وما بيّنه لهم رسلهم عليهم الصلاة والسلام. وما نقل إلينا من أحكام هذه الشرائع في الكتاب والسّنّة الثابتة الصحيحة هـو علـى ثلاثة أنواع: النوع الأول: قد تنقل هذه الأحكام مقترنة بما يدل على أنها مشروعة في حقنا، كمشروعية الصوم. النوع الثاني: قد تنتقل إلينا مقترنة بدليل على أنّها منسوخة في حقنا، كمـا في قول -صلّى الله عليه وسلّم-: «وأحلّت لـي الغنائم ولم تحل لأحـد قـبلي» رواه البخاري ومسلم. النوع الثالث: ما قصّه الله تعالى علينا من شرائع من قبلنـا مـن غـير إنكـار، أو قصّـه رسـول الله -صـلّى الله عليـه وسلّم- كذلك ولم يدلّ دليل علـى أنّها منسوخة فـي حقّنا أو مشروعة، والـمختار عند المالكيّة أنّها شرع لنا وأنّها حجّة يلزم العمـل بها. مثاله: حكم الـجعالة وهي الإجارة على منفعة مظنون حصولها، مثل مشارطة الطبيب على البرء والمعلّم على حـذق المتعلم، ولقد ذهب مالك -رحمه الله تعالى- إلى جوازه، جاء في الموطأ: قال مالك في الرجل يعطـي الرجـل السـلعة يبيعهـا لـه، وقـد قوّمهـا صاحبها قيمة فقال: إن بعتها بهذا الثمن الذي أمرتك به فلك دينار أو شيء يسميه له، يتراضيان عليه، وإن لم تبعها فليس لـك شيء: إنّه لا بأس إذا سمّى ثمن بيعها به، وسمّى أجرًا معلومًا، إذا باع أخذه وإن لم يبع فلا شيء. وعمدة قوله هذا : قوله تعالى: {وَلِمَنْ جَـاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ} [يوسف: 72]، ومعلوم أن هذا الخطاب وارد في شرع من قبلنا.

= لأنّه إمامُ الفقهاء وقدوتُهم①..

①قوله: (لأنّه إمامُ الفقهاء وقدوتُهم) حكى جمع أنّ أبا حنيفة❶ لقي مالكًا وأخذ عنه، وإن كان أكبرَ سنًّا منه❷، وقد ألّف الدارقطنيّ❸ والخطيب البغداديّ❹ والزركشيّ❺ والسيوطيّ وغيرهم في الأحاديث التي رواها عنه، ولا غرابة في أخذه عنه؛ فقد أخذ عنه من هو أكبر سنًّا من أبي حنيفة، كالزهريّ❻، وربيعة❼، وغيرهما.

❶ أبو حنيفة (80هـ - 150هـ - 699 - 767م) هو النعمان بن ثابت بن زوطي -بضم الزاي وفتحها- ابن ماه، صاحب المذهب. ولد بالكوفة في خلافة عبد الملك بن مروان (الخليفة الأموي) وتربّى فيها وعاش بها أكثر حياته وتوفّي ببغداد. كان ذكيًّا فطنًا، سريع البديهة، قويّ الحجّة، حسن الهيئة والمنطق، كريمًا مواسيًا لإخوانه، زاهدًا متعبّدًا. ويعتبر أبو حنيفة من التابعين حيث لقي من الصحابة: أنس بن مالك، وعبدالله بن أبي أوفى، وسهل بن سعد الساعدي، وأبا الطفيل عامر بن واثلة، وروى عنهم الكثير.

❷ قال ابن الأثير: فأمّا أبو حنيفة فقد حكى غير واحد أنّه لقي مالكاً وأخذ عنه بعض شيء من الحديث فهو إذًا شيخ الكلّ، وإمام الأئمّة، وكلّهم على هدى وتقى وعلم وورع وزهد، وبالله التوفيق. شرح زروق على متن الرسالة (1/ 23).

❸ الدَّارقطْنِيّ (306 - 385هـ، 918 - 995م) أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي، الإمام الحافظ المجوِّد، شيخ الإسلام، المقرئ المحدّث. من أهل محلة دار القطن ببغداد. صنّف الكثير حتى بلغت مصنفاته أكثر من 80 مصنفاً، من أبرزها كتابه العلل والسنن؛ الأفراد والغرائب؛ المؤتلف والمختلف في أسماء الرجال؛ الضعفاء والمتروكون؛ الإلزامات على صحيحي البخاري ومسلم. تُوفي رحمه الله سنة 385هـ.

❹ الخطيب البغداديّ (392 - 463 هـ = 1002 - 1072 م) أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، المعروف بالخطيب: أحد الحفّاظ المؤرّخين المقدّمين. من كتبه: البخلاء، والكفاية في علم الرواية في مصطلح الحديث، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع.

❺ في نكته على مقدمة ابن الصلاح (1/ 148)، والزركشي هو بدر الدين (745 - 794 هـ = 1344 - 1392 م) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشيّ، أبو عبد الله، عالم بفقه الشافعيّة والأصول. له تصانيف كثيرة في عدّة فنون، منها: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، لقطة العجلان في أصول الفقه، البحر المحيط في أصول الفقه، إعلام الساجد بأحكام المساجد.

❻ ابن شِهَاب الزُّهْري (58 - 124 هـ = 678 - 742 م) محمد بن مسلم بن عبد الله بن شِهَاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر: أول من دوّن الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء. تابعي، من أهل المدينة.

❼ ربيعة بن أبي عبد الرحمن فرّوخ التيمى المدني، المعروف بـ ربيعة الرأي، (ت 136هـ وقيل 142هـ) تابعي من حفّاظ الحديث النبوي، وفقيه مجتهد، كان من أصحاب الرأي، وكان صاحب الفتوى بالمدينة وبه تفقه مالك بن أنس.

= وقال مالك: (ما أحد مـمّن نقلت عنه هذا العلمَ إلّا اضطرَّ إلـيّ حتّى سألني عن أمرِ دينِه)❶.

وأمّا الشافعيّ❷ فقد قال: (مالك أستاذي، عنه أخذت العلم، وهو الـحجّة بيني وبين الله -تعالـى-، وما أحد أمنَّ علـيّ من مالك، إذا ذكر العلمـاء فمـالك النجم الثاقب)❸.

وأمّا أحمد فأخذ عن الشافعيّ، فهو تلميذه.

وعقد القاضي عياض❹ فـي الـمدارك بابًا لترجيح مذهبه وبيان الـحجّة فـي وجوب تقليـده، ورجّـح ذلـك مـن طريـق النقل والاعتبار. وإلـى وفيات هؤلاء الأئمّة أشار القشتالـيّ❺ بقوله:

فنعمـان (عفّ) مالك (قطع) حجة * وللشافعي (ردّ) (أمر) ابن حنبل❻

=

❶ ذم الكلام وأهله، للهروي (5/ 88)؛ سير أعـلام النـبلاء للـذهبي(16/ 104)؛ تـذكرة الحفـاظ للـذهبي (3/ 91) بلفظ: (صَارَ إِلَـيَّ) بدل (.اضطرّ إلـيّ).

❷ الشافعي (150 – 204هـ، 767 – 820م) مـحمد ابن إدريس بن العبّاس بن عثمـان بن شافع القرشيّ بن عبد المطلب بن عبد مناف. ولد بمدينة غزة بفلسطين، حيث خرج والده إدريس من مكة إليها في حاجة له، فمات بها وأمه حامل به، فولدته فيها ثم عادت به بعد سنتين إلى مكة. يعد الشافعي أول من ألّف في علم أصول الفقه، ويتضح ذلك في كتابه المسمى الرسالة.

❸ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (1/ 81)

❹ القاضي عياض (476 – 544 هـ = 1083 – 1149 م) عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصـبيّ السـبتيّ، أبو الفضل: عالـم الـمغرب وإمام أهل الـحديث فـي وقته. من تصانيفه: الشـفا بتعريـف حقـوق الــمصطفى، وترتيـب الـمدارك وتقريب الـمسالك فـي معرفة أعـلام مـذهب الإمـام مالـك، وشرح صـحيح مسـلم، ومشـارق الأنـوار فـي الـحديث، والإلـمـاع إلـى معرفة أصول الرواية وتقييد السمـاع فـي مصطلح الـحديث.

❺ القشتالـيّ، اللّغويّ: مـحمّد بن مـحمّد بن أبـي بكر، شُـهِر بالصـغير الـدلائيّ، أبـو عبـد الله، القشتالــي الــمغربـي الـمـالكيّ. من مصنفاته: نتائج التحصيل فـي شرح التسهيل، وفصل الـخصمين فـي متعلّق الظرفين، والـجلائل القطعية فـي تقرير النصب علـى الـمعية، وغير ذلك. وفاته: سنة (1090 هـ)، وقيل: (1089 هـ).

❻ النعمـان هو الإمام أبو حنيفة توفّـي عام خمسين ومائة 150هـ، ورمزه (عف) (ع=70 + ف=80)، ومالـك توفّـي عـام تسع وسبعين ومائة 179هـ ورمزه (قطع) (ق= 100+ ط=9 + ع=70)، والشافعيّ عام أربع ومائتين 204هـ، ورمـزه (رد) (ر=200 + د=4)، وأحمد عام إحدى وأربعين ومائتين 241هـ ورمزه (أمر) (أ=1 + م=40 + ر=200). انظر: لوامع الدرر فـي هتك استار الـمختصر (1/ 138)

والطريقة إلى الجنيد؛ لذلك أيضًا①، والله أعلم.

= ورمز الشيخ أبو العبّاس الهلالي ❶ لميلادهم على الترتيب فقال:

وميلادهم (لِيمٌ) و(نجمٌ) و(صَيِّفٌ) * و(قَصْدٌ) على الترتيب فضلهم جلا ❷

① قوله: (والطريقة إلى الجنيد؛ لذلك أيضًا) أي لأنّه إمام الصوفيّة وقدوتهم علمًا وعملًا، وعنه انتشر التصوّف ❸.

قال الجلال المحلّي في شرح جمع الجوامع: وطريقه خالية عن البدع، دائرة على التسليم والتفويض والتبرّي من النفس ❹ اهـ، وكان أخذ هذه الطريقة عن خاله السريّ السقطيّ ❺ عن أبي محفوظ معروف الكرخيّ ❻..........=

---

❶ أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي العالم الزاهد ت 1175هـ/ 1761م، كانت ولادته رحمه الله بمدينة تافيلالت، وبها نشأ في أسرة عريقة مشتهرة بالعلم والصلاح، واشتهر بالفضل والصلاح، والزهد والكرم، وفاق علماء زمانه في تحصيل العلوم وتحقيقها، من فقه وحديث وتفسير ونحو وبيان ومنطق ولغة وأدب وسلوك وهندسة وتاريخ ونسب، وغير ذلك خلف وراءه تراثا علميا معتبرا في العقيدة والفقه وعلوم القرآن واللغة والتراجم والأدب والتصوف والأخلاق .. وعلم شامخ في الإصلاح الاجتماعيّ والتربويّ والفكريّ، من كتبه: عرف الندّ في حكم حذف حرف المدّ، الجواهر المنطقية، وهو شرح على منظومة أبي محمد عبد السلام بن الطيب الشريف القادري الحسني في علم المنطق.

❷ اللِّيم –بالكسر– الصلح، والصيِّف –بكسر الياء المشددة– مطر الصيف، ولا يخفى حسن الإشارة بهذه الرموز؛ لدلالتها على صلاح الدين وإحيائه بالمطر وطلوع نجم الاهتداء وظهور قصد السبيل الذي هو الصراط السالم من التفريط والإفراط بميلادهم رضي الله عنهم. لوامع الدرر في هتك استار المختصر (1/ 138).

وأبو حنيفة ولد سنة 80هـ (ل=30 +ي=10+ م=40)، ومالك 93هـ (ن=50 + ج=3 + م=40)، والشافعي 150هـ (ص=60 + ي=10 + ف=80)، وابن حنبل 164هـ (ق=100 + ص=60 + د=4).

❸ أبو القاسم الجنيد النهاوندي البغدادي القواريري، ولد ببغداد، أصله من نهاوند، ولذلك يكنى بالنهاوندي البغدادي. أما لقب القواريري، فأخذه عن أبيه لأنه كان يبيع الزجاج. ويعد الجنيد من علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف، بل و(سيد الطائفة) و(طاووس العلماء). ت 297هـ.

❹ وهذا عند شرح نص جمع الجوامع: (وأنّ طريقَ الشيخِ الجُنيدِ –رضي الله عنه– وصحبِه طريقٌ مُقَوَّم)، البدر الطالع في حلّ جمع الجوامع (2/ 452) ط1 2005 مؤسسة الريالة ناشرون، بيروت لبنان، تحقيق الداغساني.

❺ أبو الحسن سرى بن المغلس السقَطى، تلميذ الزاهد العابد معروف الكرخى. عرف عنه إلمامه بالسنة وعلوم التوحيد. أحد أكثر أهل زمانه ورعاً وتقوى، ولد سنة 160هـ، وتوفّي سنة 253 هـ.

❻ أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، ولد في بغداد بالعرق، كان نصرانيا ودخل الإسلام عن طريق عليّ بن موسى الرِّضا، واشتهر بزهده وورعه وتقواه. وصحب داوود الطائيّ، وسكن بغداد ومات فيها سنة (200هـ).

....

= مولى عليّ الرِّضا بن موسى الكاظم❶ عن داود الطائيّ❷ عن حبيب العجميّ❸ عن الحسن البصريّ❹ عن عليّ بن أبي طالب.

وهو❺ أوّل من تكلّم في التصوّف والفقر كما قاله الششتري❻ في رسالته العلميّة❼ نقلا عن الحسن البصري، ومن ثَمَّ جعله الوالد -قدّس الله سرّه- في نظمه للحِكَم واضعًا لعلم التصوّف فقال:

وله عَلِيٌّ واضع * هو ذو العلوم وذو الحِكَم

=

❶ أبو الحسن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب، له ألقاب عدة أشهرها الرِّضا، وُلد في المدينة المنوّرة سنة 148هـ وتُوفِّي في طوس سنة 203هـ. ذُكرت عدّة كتب ورسائل تعود نسبتها له، غير أنّ ثبوت نسبة هذه المصنّفات له، فيه نقاش بين المحقّقين والعلماء، من هذه الكتب والرسائل: كتاب العلل، مسائل علل الأحكام، كتاب فقه الرضا.

❷ داود بن نصير الطائي (توفي 165هـ/ 781م)، أبو سليمان. كان في أيام الخليفة المهدي وكان كبير الشأن. أصله من خراسان، ومولده بالكوفة، رحل إلى بغداد، فأخذ عن أبي حنيفة وغيره، وعاد إلى الكوفة، فاعتزل الناس، ولزم العبادة إلى أن مات فيها.

❸ أبو محمّد حبيب بن عيسى بن محمّد العجميّ البصري، زاهد وعابد من أهل البصرة، استوطن بلاد فارس، ولهذا سمي بالعجميّ، روى عن الحسن البصريّ، وشهر بن حوشب. سكن بغداد وتوفّي فيها سنة 119هـ.

❹ الحسن البَصْريّ (21 - 110 هـ = 642 - 728 م) الحسن بن يسار البصريّ، أبو سعيد: تابعيّ، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمّة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النُّسّاك. ولد بالمدينة المنوّرة، وشبَّ في كنف عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه-، واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة. وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولّاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحقّ لومة. أخباره كثيرة، وله كلمات سائرة وكتاب في فضائل مكّة. توفّي بالبصرة.

❺ أي سيّدنا عليّ بن أبي طالب.

❻ أبو الحسن الششتري (610هـ - 668هـ) شاعر زجال من الأندلس، كان زاهدًا .وصفه لسان الدين ابن الخطيب في الإحاطة بقوله: (عروس الفقراء، وأمير المتجردين، وبركة الأندلس... كان مجوّدًا للقرآن، قائما عليه، عارفاً بمعانيه، من أهل العلم والعمل).

❼ وتسمّى كذلك (الرسالة الششترية).

....

= وقال فيه بعض الشيوخ أنّه أعطي العلم اللّدنّـي❶.

ولا تصحّ النسبة إلـى الولاية التي هي منبع الولاية الـحقيقيّة والـمعارف الإلـهيّة إلّا من جهته وحقيقته، فهو إمام الأولياء الـمحمّديّين كلّهم، وأصلُهم ومَنشأُ انتسابهم إلـى الـحضرة الـمحمّديّة ومظهر الولاية الأحمديّة.

وهو أرفع عارف فـي الدنيا مـمّـا خصّه صلّـى الله عليه وسلّم بقوله: «أنا دار الـحكمة وعلـيّ بابها»، «أنـا مدينـة العلـم وعلـيّ بابها»❷. انظر شرح ميميّة الوالد -رحمه الله-.

---

❶ ويُسمّى كذلك بـ(علم الحقيقة) ويقابله (علم الشريعة). وقد رد العلـم اللّدنّـي فـي القـرآن الكـريم، قـال تعالـى: {وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًـا} [الكهف: 65] هو العلم الذي أخبر به الله -عزّ وجلّ- أنّه آتاه ذلك الرّجل الصالح، قيـل: هـو نبيّ، وقيل: لا. والعلم اللّدنّـي هو علم الـموهبة (يؤتيه الله من شاء من عباده بغير كسب)، والطريق إليه بالعمل الصـالح (من عمل بمـا علم أورثه الله علم ما لم يعلم)، وهو الذي قال عنه النّبيّ -صلّـى الله عليه وسلّم-: «أو فهمًـا أُعْطِيَهُ رجـل مسلم»، وعلامته أنّه مؤيَّد بالوحي، فلا يمكن قبوله إلّا بشاهد من الوحي (الكتاب أو السـنّة) فـإن خـالف رُفـض وكـان وهمًا، وهو ليس بحجّة، بمعنى أنّه ليس مصدرًا تشريعيًّا.

❷ الأول أخرجه الترمذي في الـمناقب، باب مناقب علـيّ بن أبـي طالب -رضي الله عنـه-. والثـاني رواه الـحاكم فـي الـمستدرك والطبراني فـي الكبير، وأبو الشيخ في السنة، وغيرهم كلهم عن ابن عباس مرفوعا مع زيادة: «فمن أتى العلـم فليأت الباب».

وفي هذا تنصيص على تخصيص علي -رضي الله عنه- بالعلم اللدني وأنه لا يصل واصل إليها إلا من بابه، وإلا كان مـدلول الحديث غير مطابق للواقع، إذا حُمِلَ على مُطلق العِلم؛ لأن عليا -رضي الله عنه- لم ينفرد به وحده، حتى يكون هو بابه، بـل شاركه جماعة من الصحابة فـي رواية العلم (علم الشريعة) ونقله عن النبي -صلّـى الله عليه وسلّم- فهـم في ذلـك كلهـم أبواب للوصول إليه.

ولكي يؤكد الرسول -صلّـى الله عليه وسلّم- القصد الروحي قال: «أنا مدينة الحكمة وعـلي بابهـا»، وفي روايـة: «أنـا دار الحكمة وعلي بابها». والحكمة هي العلم اللدني الذي يصل إلى قلب العبد بصورة مباشرة من الحق سبحانه وتعـالى، وهـذه الحكمة لها ينابيع من المعرفة والعلوم تجري من قلب العبد الملهم بهـا عـلى لسـانه، فيعطيهـا في الوقـت المناسـب للشـخص المناسب، {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [البقرة: 269]

ومعنى الحديث كمـا ذكر صاحب فيض القدير شرح الجامع الصغير هو: إن الإمام عـلي بـن أبي طالـب رضي الله عنـه هـو الباب الذي يدخل منه إلـى الـحكمة فناهيك بهذه المرتبة ما أسناها وهذه المنقبة ما أعلاها. فيض القدير (3/ 46).

وانظر التعريف بهؤلاء الأعلام في الشرح الكبير. توفّي الإمام أبو الحسن الأشعريّ سنة نيّف وثلاثين وثلثمائة ببغداد❸. وتوفّي الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس -رضي الله عنه- صبيحة يوم الأحد رابع عشر ربيع الأوّل سنة تسع وسبعين ومائة. وتوفّي الإمام أبو القاسم الجنيد سيّد الصوفيّة سنة سبع وتسعين ومائتين.

= ثمّ جلّ طرق أئمّتنا الصوفيّة الموجودة في هذه الأزمنة مرجعها إلى أربعين طريقًا ذكرها الشيخ سيدي حسن بن علي الفجّيجيّ في رسالة له، وبيّن ما يتميّز به أهل كلّ طريق، ونقل ذلك تلميذه أبو سالم العيّاشيّ ❶ في رحلته، وجلّها إنّما ينتهي للحسن البصري، قال بعض الشيوخ: ولا يبعد أن يكون أخذ الحسن عن عليّ بطريق الهمّة❷. انظر حاشية الوالد -رحمه الله- على الحِكَم.

---

❶ أبو سالم عبد الله بن محمّد بن أبي بكر العيّاشيّ المالكيّ المغربيّ ولد سنة 1037هـ وتوفّي سنة 1090هـ، صاحب كتاب (ماء الموائد) المشهور بـ(الرحلة العيّاشيّة).

❷ الهمة عند ابن العربي: قوة فعالة أو طاقة فعّالة في الإنسان ، لها مصدران فيه: المصدر الأول: أصل الجِبِلَّة، المصدر الثاني: التربية، والاكتساب. يقول ابن العربي: (إن اختلاف الهمم باختلاف المطامع؛ لأن الهمم متعلّقة بها... ولولا المطامع لانقطعت الهمم، ولولا الهمم لبطلت الأعمال...) بلغة ص: 15. ويقول في فعل الهمة: نُقْلَةٌ من الظاهر إلى الباطن (الهمة ... كلّ ما لا يَتوصّل إليه شخص إلا بجسمه أو بسبب ظاهر، يتوصّل إليه النبيّ والوليّ بهمّته، وزيادة، وهي -الزيادة- الأمور الخارجة عن مقدور البشر رأسا). مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم: 83 – 84. وقال في تأثير الهمة: (فقالت -شمس أم الفقراء-: تمنيت أن يأتينا غدا أبو الحسن بن قيطون، فاكتبوا اليه. فقال أبو محمد -الشيخ عبد الله المروزيّ-: هكذا تعمل العامّة. فقالت له العجوز: فماذا تفعل؟ قال: أسوقه بهمّتي. فقال: أفعل. فقال: قد حرّكت الساعة خاطره -تأثير الهمة في خاطر الإنسان عن بعد- بالوصول إلينا غدا إن شاء اللهّ تعالى) روح القدس ص 101. وهنا نستحضر قوله صلّى الله عليه وسلّم: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بالأبواب لو أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ». أخرجه مسلم في البر والصلة، باب فضل الضعفاء والخاملين، وفي صفة الجنة ونعيمها وأهلها.

❸ نقل ابن عساكر عدّة أقوال في تحديد تاريخ وفاة الأشعري، على النحو التالي: قيل: إنّه مات بعد سنة عشرين وقبل سنة ثلاثين وثلاثمائة، وقيل: إنّه توفّى سنة نيّف وثلاثين وثلاثمائة، وقيل: إنّه مات سنة 324هـ. ويرجح ابن عساكر القول الأخير، فيقول: (والأصحّ أنّه مات سنة أربع وعشرين)، وكذا ذكر الأستاذ أبو بكر محمّد بن الحسن بن فورك الأصفهانيّ تلميذ تلميذه أبي الحسن الباهلي وهو أعلم بأمره، وقد مات ببغداد بلا خلاف، ودفن بها، ونودي على جنازته بـ(ناصر الدين). نقلاً عن موقف الإمام الأشعري من المتشابهات.للدكتور: رجب محمود خضر.

....

....

= فـائـدة: بمناسبة ذكر الطرق الصوفية ننبه إلى أن سيدي عبد القادر بن مصطفى الطاهريّ شيخ زاوية زنينة (الإدريسية حاليًا) بالـجلفة (ت 1387هـ - 1967م) قد أخذ الطريقة الـخَلْوَتِية الرحمانية: عن شيخه عطيـة بـن أحمـد بـيض القـول شـيخ زاويـة الجلاليـة (ت 1334هـ - 1917م)، وهو عن الشيخ محمد بن أبي القاسم الحسني شيخ زاوية الهامل (ت 1314هـ 1897م)، وهو عن شـيخه المختـار بـن عبـد الـرحمن شيخ زاوية أولاد جلال (ت 1276هـ)، وهو عن الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة (ت 1258هـ)، وهـو عـن الشـيخ محمـد بـن عـزوز البرجي (ت 1233هـ)، وهو عن الشيخ عبد الرحمن باش تارزي القسنطيني (ت 122هـ)، وهو عن الشيخ امحمد بن عبـد الـرحمن الأزهـري الحسني (بوقبرين) مؤسس الطريقة الرحمانية (ت 1208هـ - 1794م). وقد أتى بها من الأزهر الشريف، من شـيخه سـيدي محمـد بـن سـالم الـحفناويّ (ت 1181هـ -1767 م)، وهو عن سيدي مصطفى بن كمال الدين علي البكري الصديقي (ت 1162هـ - 1749م)، وهـو عـن سيدي عبد اللّطيف بن حسام الـدين الحلبـي (ت 1121هـ)، وهـو عـن سـيدي مصـطفى الأدرنـاوى (نسـبة إلى أدرنـا بلـدة بتركيـا) (ت 1114هـ)، وهو عن سيدي علـي قره باش (قره باش = أسود الرأس - كلمة تركية) (ت 1097هـ)، وهو عن سيدي إسمـاعيل الجـورومي (نسبة إلى بلدة جوروم بتركيا) (ت 1070هـ)، وهو عن سيدي مـحيي الدّين القُسطمونيّ (نسبة إلى قُسطمون بلـدة بتركيـا) (ت 1000هـ)، وهو عن سيدي شعبان القطامونيّ (نسبة إلى القطامون بتركيا) (ت 976هـ)، وهو عن سـيدي خـير الـدّين التوقـادي (نسـبة إلى توقـاد، بلـدة بتركيا) (ت 940هـ)، وهو عن سيدي سلطان الاقسرائي (نسـبة إلى بلـدة اقسـراي بتركيـا) الشـهير بجـمال الـدين الخلـوتي (ت 899هـ أو 912هـ)، وهو عن سيدي محمد بن بهاء الدين الأرزنجاني (نسبة إلى ارزنجان بلدة بتركيا) ويقال: الشيرواني (نسبة إلى شيروان بلدة بقرب ديار بكر بالعراق) (ت 879هـ)، وهو عن سيدي يحي الباكوي الحلبي (ت 867 أو 868هـ)، وهو عن سيدي صـدر الـدّين الـخيّاوي (وخيـاوة مشكى اسم قريتين متقاربتين من شروان بالقوقاس) (ت حدود 832هـ)، وهو عن سيدي الـحاج عزّ الدّين الشرـواني (ت حـدود 815هـ)، وهو عن سيدي محمد بيرام الخلوتي (وبيرام لفظ أعجمى معناه: العيد) (780هـ)، وهو عن سيدي عمر الـخَلْوَتِـي (ت حدود 730هـ)، وهـو عن سيدي مـحمّد الـخَلْوَتِـي (ت حدود 665هـ)، وهو عن سيدي إبراهيم الزاهد الكيلاني (ت حدود 653هـ)، وهو عن سيدي جمال الدّين التبريزي المعروف بابن الصيدلاني (ت 640هـ)، وهو عن سيدي شهاب الدين محمد الشيرازي (ت حدود 629هـ)، وهو عـن سـيدي محمـد الـملقّب بركن الدين النجاشي (ت حدود 615هـ)، وهو عن سيدي قطب الدّين الأبهري (ت حدود 590هـ)، وهو عـن سـيدي أبي نجيـب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السُّهْرَوَرْديّ (ت 563هـ)، وهو عن سيدي عمر بن عبد الله بن محمد بن عمّويه البكـري (ت 532هـ)، وهـو عن عمّه سيدي وجيه الدّين القاضي، عمر بن محمد بن عمّويه، وهو عن سيدي مـحمّد البكـريّ، مـحمد بـن عمّويـه، وهـو عـن * سـيدي مـمشاد (مم شاد، بمعنى أنا المسرور) محمد الدِينُوريّ (دينور، من بلاد الجبل بإيران)، وهو عن سيدي أبي القاسم الجنيد بـن محمـد القـواريريّ (ت 297هـ)، وهو عن سيدي السـرّيّ السقطيّ (ت 253هـ)، وهو عن سيدي معروف الكرخي (ت 200هـ)، وهو عن سيدي داود الطّائيّ (ت 165هـ)، وهو عن سيدي حبيب العجميّ (ت 119هـ)، وهو عن سيدي الحسن البصـريّ (ت 110هـ)، وهو عن سـيدنا علـيّ بـن أبي طالب (ت 40هـ)، وهو عن سيدنا محمد -صلّى الله عليه وسلّم- (ت 11هـ)، وهو عن الروح الأمين سـيّدنا جبريـل الـمكين عليـه الصّلاة والسلام، وهو عن ربّ العزّة جلّ جلاله وعظم فيضه ونواله.

------

* بخصوص سند الشيخ مـحمّد البكريّ: عدد كبير من أهل التصوّف ذكروا أنّه أخذ من الشيخ محمـد الـدينوري، لكـن نجـد طائفـة أخـرى قالت بأنّه أخذ من شيخه أحمد الأسود الدينوريّ. ومنهم من قال بأنّ هذا الأخير لقّن عبد الله بن سعد البكري وهذا لقّن مـحمد البكريّ.

فهرس الأعلام

الفهرس التفصيلـيّ